

تأليف قاضي القضاة

عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد

المتوفى عام ٤١٥ هـ




بسم الله الرحمن الرحیم

تنزيه القرآن عن المطاعن

كاتب:

عبد الجبار بن احمد الهمذانى

نشرت فى الطباعة:

دارالنهضة الحديثة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تنزيه القرآن عن المطاعن

اشارة

نام كتاب: تنزيه القرآن عن المطاعن

نويسنده: عبد الجبار بن احمد الهمذانى

موضوع: پاسخ به شبهات قرآنى

تاريخ وفات مؤلف: ۴۱۵ ق

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: دارالنهضة الحديثة

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۶ / ۲۰۰۵

نوبت چاپ: دوم

حياة المؤلف

اشارة

هو قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدانى.

و هو الذى تلقبه المعتزلة قاضى القضاة و لا يطلقون هذا اللقب على سواه و لا يعنون به عند الاطلاق غيره قرأ على أبى اسحاق بن عياش مدة ثمّ رحل الى بغداد و أقام عند الشيخ أبى عبد اللّه مدة مديدة حتى فاق الاقران و صار فريد دهره.

قال الحاكم و ليس تحضرنى عبارة تحيط بقدر محله فى العلم و الفضل فانه الذى فتق علم الكلام و نشر بروده و وضع فيه الكتب الجليلة التى بلغت المشرق و المغرب و ضمنها من دقيق الكلام و جليله ما لم يتفق لأحد قبله و طال عمره مواظبا على التدريس و الاملاء حتى طبق الأرض بكتبه و أصحابه و بعد صيته و عظم قدره و اليه انتهت الرئاسة فى المعتزلة حتى صار شيخها و عالمها غير مدافع و صار الاعتماد على كتبه:

و شهرة حاله تغنى (عن الاطناب فى الوصف).

استدعاه الصاحب الى الرىّ بعد سنة ستين و ثلاثمائة فبقى فيها مواظبا على التدريس الى أن توفى رحمه اللّه سنة خمس عشرة أو ست عشرة و أربعمائة و كان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الأرض و مرة يقول هو أعلم أهل الأرض و يقال ان له أربعمائة ألف ورقة مما صنف فى كل فنّ:

و مصنفاته أنواع منها فى الكلام ككتاب الخلاف و الوفاق و كتاب المبسوط و كتاب المحيط. و منها نوع فى الشروح كشرح الاصول و شرح المقالات. و منها فى أصول الفقه كالنهاية و العمدة و شرحه و له كتب فى النقض على المخالفين كنقض اللمع و نقض الامامة. و منها جوابات مسائل وردت عليه كالرازيات

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶

و النيسابوريات. و منها فى الخلاف ككتابه فى الخلاف بين الشيخين. و منها فى المواعظ كنصيحة المتفقهة و له كتب فى كل فنّ و

علی الجملة فحصر مصنفاته کالمعتذر و هو من اهل الطبقة الحادیة عشرة من طبقات المعتزلة ذکر ذلک احمد بن یحیی المرتضی فی کتاب المنیة و الامل فی شرح کتاب الملل و النحل.

الناشر

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه علی نعمه و إحسانه فی الدین و الدنیا و صلواته علی محمد و آله الطیبین (أما بعد) فان أولی ما یتکلفه المرء فی أثارة العلوم ما یعظم النفع به فی دینه و دنیاه فیعرف کیف یعبد ربه فی الصلاة و الصیام و غیرهما (و ذلک) بقراءة القرآن و بالانقطاع إلی اللّه، و کل ذلک لا یتم الا بمعرفة معانی ما یقرؤه و ما یورده فی ادعیته من الأسماء الحسنی إما مفصلا و إما علی الجملة فانه تعالی قد أودع القرآن من المواعظ و الزواجر و غیرهما ما اذا تأمله المرء وقعت به الکفایة: و قد روی عن النبی صلّی اللّه علیه و سلم انه قال لعلیّ بن أبی طالب علیه السلام و قد حذره عن اختلاف الأمة بعده: علیکم بکتاب اللّه فان فیه نبأ من قبلکم و خبر من بعدکم و حکم ما بینکم ما یدعه من جبار إلا قصمه اللّه و من یتبع الهدی فی غیره اضله اللّه و هو حبل اللّه المتین و أمره الحکیم و هو الصراط المستقیم هو الذی لما سمعه الجن لم یتناءوا أن قالوا (إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً یَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ) هو الذی لا تختلف به الألسنة و لا یخلق علی کثرة الرد و لا تنقضی عجائبه: و معلوم انه لا ینتفع به إلا بعد الوقوف علی معانی ما فیه و بعد الفصل بین محکمه و متشابهه فکثیر من الناس قد ضل بأن تمسک بالمتشابه حتی اعتقد ان قوله تعالی (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ) حقیقة فی الحجر و المدر و الطیر و النعم و ربما رأوا فی ذلک تسبیح کل شیء من ذلک و من اعتقد ذلک لم ینتفع بما یقرؤه و لذلک قال تعالی (أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) و کذلک وصفه تعالی بأنه (یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ) و قد أملینا فی ذلک کتابا یفصل بین المحکم و المتشابه عرضنا فیه سور القرآن علی ترتیبها و بینا معانی ما تشابه من آیاتها مع بیان وجه خطأ فریق من الناس فی تأویلها لیکون النفع به أعظم و نسأل اللّه التوفیق للصواب ان شاء اللّه.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۸

(بسم اللّه الرّحمن الرّحیم) معنی بسم اللّه الابتداء به تبرکا و الاستعانة فی کل امر مهم: و معنی اللّه ان العبادة به تلیق دون غیره لأنه الخالق و المنعم بسائر النعم: و معنی الرحمن المبالغة فی الانعام العظیم الذی لا یقدر علیه إلا اللّه تعالی: و معنی الرحیم المبالغة فی الاکثار من الرحمة و النعمة و قد یوصف بذلک غیره أیضا.

[مسألة]

قالوا ما وجه الابتداء ببسم اللّه و هلا قیل باللّه الرحمن الرحیم فالاستعانة باللّه تقع لا باسمه. و جوابنا ان الأمر کما قالوا لکنه ذکر اسمه و أرید هو علی وجه الاعظام و هذا کقوله تعالی (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ) فأمر بتنزیه اسمه و أراد تنزیهه عما لا یلیق به لکنه ذکر الاسم تعظیما له و هذا کما یقال صلوات اللّه علی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و سلم.

[مسألة]

قالوا فما وجه ذکر هذه الاسماء الثلاثة دون غیرها. قیل له ذکر اللّه لأن المکلف قد اختص بأن لزمته عبادته و هو الذی یعرف أنواع نعمه و ذکر الرحمن الرحیم لأنه لأجل ذلک استحق العبادة.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۹

سورة الحمد

اشارة

معنى الحمد للّه الشكر للّه و كيف نشكره فعلمنا تعالى ذلك.

[مسألة]

قالوا الحمـد للّه خبر فان كان حمد نفسه فلا فائدة لنا فيه و ان أمرنا بذلك فكان يجب أن يقول قولوا الحمد للّه. و جوابنا عن ذلك ان المراد به الامر بالشكر و التعليم لكى نشكره لكنه و ان حذف الامر فقد دل عليه بقوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لأنه لا يليق باللّه تعالى و إنما يليق بالعباد فاذا كان معناه قولوا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فكذلك قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ) و هذا كقوله (وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) معناه و يقولون (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) و مثله كثير فى القرآن.

[مسألة]

و ربما قالوا لما ذا أعاد (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) و قد تقدم من قبل.
و جوابنا ان ذلك ليس بتكرار لأن المراد بالأول توكيد الاستعانة و المراد بالثانى توكيد الشكر له فلذلك كرر.

[مسألة]

قـالوا مـا معنى قوله (مالِكِ يَوْمِ الـدِّينِ) و يوم الـدين ليس بموجود حالا و كيف يملك المعـدوم و ما فائـدة ذلك. و جوابنا ان المراد القادر على (ذلك اليوم) الذى فيه الجنة على عظم شأنها و النار على عظم امرها و فيه المحاسبة و المساءلة فنبه تعالى بذلك على انكم ان شكرتم و قمتم بالواجب فلكم من الفوز فى الآخرة بالثواب نهاية ما تتمنون فصار ذلك ترغيبا فى الشكر و العبادة و زجرا
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ١٠
عن خلافه و اذا قرئ «مالك» فالمراد به القـدرة على يوم الـدين و اذا قرئ «ملك» فالمراد به القـدرة على العباد الـذين يتصرف تعالى فيهم بما يوجب الانقياد له.

[مسألة]

قالوا ما معنى (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) و عنـدكم ان اللّه تعالى قد هدى الخلق بالادلة و البيان فما وجه هذا الطلب و الدعاء. و جوابنا على ذلك انه تعالى و ان مكن و أقـدر المكلف ففى قـدرته تعالى من زيادة البيان و الادلـة و الالطاف و العصـمة ما ينتفع به العبـد اذا أمده بها و العبد يجوّز ذلك فيطلبه و هذا كما قال تعالى (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) فأمر تعالى العبد أن ينقطع الى اللّه تعالى فيقول (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) و ان لا يكـذب فى ذلـك فيكون مراده بالصـلاة الريـاء و السـمعة و أن لا يسـتعين الا باللّه تعالى و أن يسـتمد من جهته الالطاف و المعونة على الصراط المستقيم الذى هو دينه و طريقة من أنعم اللّه عليه لا طريقة الكفار الذين ضلوا فغضب اللّه عليهم.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ١١

سورة البقرة

[مسألة]

قالوا ما الفائـدة فى قوله تعالى (الم) و لا يعقل من ذلك فى اللغة فائدة و كيف يجوز ذلك و القرآن عربى و العرب لا تعرف ذلك. و

جوابنـا ان اللّه تعـالى جعل ذلک اسـما للسورة و على هـذا الوجه يقال سورة (ق) (و حم) السـجدة و سورة (طه) و للّه تعالى ان يجعل لهذه السورة اسما و هذا مروى عن الحسن البصرى و غيره و متى قيل فقد حصل فى ذلک اشتراک و لا بد من ضم زائدة اليه فلا فائدة إذا فى ذلـک. فجوابنـا أن الألقـاب كزيـد و عمرو يقع فيها أيضا الاشتراک ثمّ تمييزها بزيادة و قيل أيضا فى جوابه ان فائـدة ذلک أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التى تقدرون عليها «و مع» ذلک يتعذر عليكم هذا النظم بفضل رتبته فاعلموا انه معجز.

[مسألة]

و متى قيل و لما ذا قال تعالى (ذلِکَ الْكِتابُ) و لم يقل هذا الكتاب. فجوابنا أنه جل و عز وعد رسوله إنزال كتاب عليه لا يمحوه الماء فلما أنزل ذلک قال (ذلِکَ الْكِتابُ) و المراد ما وعدتک و لو قال هذا الكتاب لم يفد هذه الفائدة.

[مسألة]

قالوا ما معنى (لا رَيْبَ فِيهِ) و قـد علمتم أن خلقا يشـكون فى ذلک فكيف يصح ذلک و ان أراد لا ريب فيه عندى و عند من يعلم فلا فائـدة فى ذلک. فجوابنا ان المراد انه حق يجب أن لا يرتاب فيه و هذا كما يبين المرء الشـىء لخصـمه فيحسن منه بعد البيان أن يقول هذا كالشمس واضح و هذا لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲

يشک فيه أحد و هذا كما يقال عند اظهار الشهادتين ان ذلک حق و صدق و ان كان فى الناس من يكذب بذلک.

[مسألة]

قالوا لما ذا قال تعالى (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) و الهدى عندكم الدلالة و هو دلالة لكل فلما ذا خص المتقين دون غيرهم هلا دل ذلک على ان الهدى هو نفس الايمان. فجوابنا أنه تعالى قد بين فى غير موضع ان القرآن هدى للناس فعم الكل و إنما خص المتقين هاهنا من حيث اختصوا بقبوله و هذا كقوله تعالى (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) فخصـهم من حيث يخشون عند الانذار و ان كان صلّى اللّه عليه و سلم كان منذرا للكل كما قال تعالى (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً) و قد ثبت ان ذكر الواحد لا يدل على ان غيره بخلافه.

[مسألة]

يقال ما معنى قوله (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) ما الغيب الذى مدحهم بالايمان به أ و لستم تقولون (لا يعلم الغيب إلّا اللّه). و جوابنا ان هذا الغيب يراد به الغائبات التى قام الـدليل على صـحتها كأمر الآخرة و الجنـة و النار و الملائكة و الحساب فمدح المتقين و وصـفهم بأنهم يؤمنون بـذلک (وَ يُقِيمُونَ الصَّلاـةَ) أى يـدومون عليهـا و يؤدونها بحقها (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) على وجه البر و لا ينفقون من الحرام الـذى جعله اللّه رزقـا لغيرهم فغصـبوه ثمّ قـال (وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمـا أُنْزِلَ إِلَيْـکَ وَ مـا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِـکَ) حتى يؤمنون بكـل الرسل و لا يفرّقون بينهم (وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) فلا يدخلهم شبهة فى ذلک: ثمّ بين ان هؤلاء هم المفلحون الظافرون بثواب اللّه فدل بذلک على ان الثواب انمـا يكون بهـذه الطريقـة و رغب فى التمسـک بهـا و زجر عن خلافهـا و قـد قيل ان فى جوابه أن المراد أنهم يؤمنون بظهر الغيب باطنا كما يؤمنون ظاهرا و هذا أيضا حسن.

[مسألة]

يقال ما معنى قوله (أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ) و معلوم ان الهدى ان كان دلالة فكل المكلفين فيه سواء فهلا دل ذلك على انه
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳
نفس الايمان. فجوابنا ان المراد انهم على بصيرة مما تعبدهم به و تقبل الهدى يسمى هدى كما ان الجزاء على الامتثال للدلالة يسمى هدى و هذا كقوله تعالى فى أهل النار انهم قالوا (لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ سَواءٌ عَلَيْنا) و ارادوا بذلك النعيم و الثواب.

[مسألة]

يقال ما معنى قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) و معلوم ان فى الكفار من قرأه و آمن. فجوابنا أنه أراد قوما من الكفار مخصوصين فى أيامه صلّى اللّه عليه و سلم علم اللّه تعالى ان الصالح ان يخبر الرسول بأمرهم لكيلا يتشدد فى استدعائهم و لا يغتم ببقائهم على الكفر و ذلك كقوله تعالى (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ) و هذا من العموم الذى يراد به الخصوص. و ربما سألوا فقالوا اذا كان قد أخبرنا بأنهم لا يؤمنون فكيف كلفهم و كيف يقدرون على الايمان الذى لو فعلوه لكان تكذيبا لخبر اللّه تعالى. فجوابنا ان ذلك انما يدل على انهم لا يؤمنون اختيارا و ان قدروا عليه فلذلك ذمهم و قد يقدر القادر على ما لا يختاره كما أنه تعالى يقدر على افناء الدنيا فى هذا الوقت و ان كان لا يختاره و لو كان ايمانهم اذا قدروا عليه قدرة على تكذيب اللّه لكان اللّه تعالى اذا قدر على اقامة القيامة الآن و قد أخبر بأنه لا يقيمها الا بعد علامات أوجب أن يكون قادرا على تكذيب اللّه و كان يجب اذا قدر على الضدين و إنما يفعل أحدهما أن يكون قادرا على تجهيل نفسه و هذا كلام من لا يعرف التكذيب و التجهيل و ذلك ان التجهيل ما يصير به المرء جاهلا دون غيره و التكذيب ما يصير به كاذبا أو يتبين ذلك من حاله دون غيره.

[مسألة]

فى ذلك أيضا يقال اذا كان قد علم أنهم يكفرون فلما ذا حسن أن يكلفهم مع علمه بأنهم لا يختارون الا ما يؤديهم إلى النار. و جوابنا انه انما علم انهم لا يختارون الايمان مع تمكنهم من اختياره و تسهيله سبيلهم إلى اختياره بكل وجه فانهم انما يؤتون من قبل أنفسهم و أنهم لو اختاروا الوصول الى ثواب عظيم لصح ذلك منهم و يفارق حالهم حال من منع من الايمان و انما يقبح ذلك
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴
على مذهب من يقول انه تعالى يخلق فيهم هذه الأفعال من المجبرة.

[مسألة]

قالوا فقد قال تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ) و هذا يدل على أنه قد منعهم من الايمان و مذهبكم بخلافه و كيف تأويل الآية. و جوابنا ان للعلماء فى ذلك جوابين، أحدهما أنه تعالى شبه حالهم بحال الممنوع الذى على بصره غشاوة من حيث أزاح كل عللهم فلم يقبلوا كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فاذا لم يقبل صح أن تقول انه حمار قد طبع اللّه على قلبه و ربما تقول انه ميت و قد قال تعالى للرسول (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى و كانوا أحياء فلما لم يقبلوا شبههم بالموتى و هو كقول الشاعر.
لقد اسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياة لمن تنادى
و يبين ذلك انه تعالى ذمهم و لو كان هو المانع لهم لما ذمهم و انه ذكر فى جملة ذلك الغشاوة على سمعهم و بصرهم و ذلك لو كان ثابتا لم يؤثر فى كونهم عقلاء مكلفين. و الجواب الثانى ان الختم علامة يفعلها تعالى فى قلبهم لتعرف الملائكة كفرهم و انهم لا يؤمنون فتجتمع على ذمهم و يكون ذلك لطفا لهم و لطفا لمن يعرف ذلك من الكفار أو يظنه فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر و هذا جواب الحسن رحمه اللّه و لذلك قال تعالى (وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ).

[مسألة]

يقال كيف يجوز أن يقول (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) و ذلك يدل على الماضى ثمّ ينفى بعد ذلك بقوله (وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) فجوابنا انه أراد تعالى المنافقين الذين يظهرون الايمان و يبطنون الكفر و قص تعالى خبرهم لعظم مضرتهم فى ثلاث عشرة آية كما أنه ذكر صفة المؤمنين فى أربع آيات و صفة الكفار فى آيتين فقد كانت مضرتهم أعظم فى أيام الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فكشف تعالى بذلك حالهم لئلا يغتر بهم و لكى يتحرز من مخالطتهم و دل ذلك على ان اظهار الايمان ليس بايمان و ان المعتمد على ما فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵

القلب من المعرفة و على هذا الوجه قال صلّى اللّه عليه و سلم الايمان قول باللسان و معرفة بالقلب و عمل بالجوارح.

[مسألة]

يقال كيف قال تعالى (يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) و معلوم ان الخداع منهم و ان جاز على المؤمنين الذين لا يعرفون باطنهم فلا جائز على اللّه تعالى فكيف جاز أن يقول ذلك. و جوابنا ان فعلهم لما كان فعل المخادع قال تعالى ذلك و ان لم يكن خداعا للّه فى الحقيقة و لذلك قال تعالى بعده (وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ) لأن الذى فعلوه عاد بأعظم الضرر عليهم من حيث ينالهم ذلك بغتة و هم لا يشعرون.

[مسألة]

ان قيل ما معنى قوله تعالى (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً) و المراد فى قلوبهم كفر و نفاق فزادهم اللّه ذلك أو ما يدل على ان الكفر من خلق اللّه و من قبله. فجوابنا أنه تعالى ذكر المرض و لم يذكر الكفر فحمله على ان المراد به الكفر غلط و المراد بذلك أن فى قلوبهم غما أو حسدا على ما يخص اللّه تعالى به الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه فقد كانوا يغتاظون و يعظم غمهم ثمّ قال تعالى (فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً) أى غما بما يفعله بالرسول و يجدده له من المنزلة حالا بعد حال فقول من قال بحمله على الكفر غلط عظيم و لذلك قال (وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) فان كان اللّه تعالى خلق ذلك فيهم كما خلق لونهم و طولهم فأىّ ذنب لهم حتى يعذبهم و كيف يضيف اليهم فيقول (بِما كانُوا يَكْذِبُونَ) و على هذا وصفهم تعالى بأنهم مفسدون فى الارض و انهم السفهاء بعد ذلك و انهم (وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ).

[مسألة]

قالوا كيف وصف تعالى نفسه بالاستهزاء فقال (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ). فجوابنا أن الاستهزاء لا يجوز على اللّه تعالى لأنه فعل مخصوص يفعله من لا يمكنه التوصل الى مراده إلا بهذا الجنس فتعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا و إنما أراد بذلك أنه يعاقبهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶

و يجازيهم على استهزائهم كما قال تعالى (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) و ما يفعله اللّه تعالى لا يكون سيئة و لا اعتداء و يقول العرب الجزاء بالجزاء و الاول ليس بالجزاء و قال صلّى اللّه عليه و سلم أدّ الأمانة إلى من ائتمنك و لا تخن من خانك و انما أجرى اللفظ على جزاء الاستهزاء مجازا و اتساعا. فان قيل ما معنى قوله تعالى (وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ) أ

فتجوزون على اللّه تعالى ان يمدهم فى كفرهم و ان يريد ذلك. و جوابنا أنه تعالى أراد بمدهم فى جزاء طغيانهم لا نفس طغيانهم و يحتمل أن يكون ذلك عاقبة أمرهم فى ذلك لقلة قبولهم و يكون ذلك مآل أمرهم و على هذا الوجه ذمهم بقوله (أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فالمراد بقوله (وَ يَمُدُّهُمْ) أنه يبقيهم و هذا حالهم و يبين تعالى ذلك بأن (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) فان ظلمة المكان و قد كان فيه الضياء ثمّ فقد أعظم من الظلمة الدائمة.

[مسألة]

ان قيل كيف يصح أن يقول تعالى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) و لم يكونوا كذلك فى الحقيقة. فجوابنا انه تعالى شبه حالهم من حيث لم ينتفعوا بما يسمعون و يبصرون و يقولون بحال من هذا وصفه و ذلك بين فى اللغة فيمن لم يقبل و لا ينتفع و البيان انه يوصف بذلك على ما قدمنا من انه ربما يوصف بأنه ميت و بأنه بهيمة و بأنه حمار و قد تقدم ذكر ذلك و على هذا الوجه يقال حبك للشىء يعمى و يصم و المراد يصيره الى رتبة الأعمى و الأصم فى انه لا ينتفع و يتعدى وجه الصواب.

[مسألة]

فان قيل كيف يقول تعالى (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ) و لفظة أو يستعملها من شك فى الامور دون العالم و يتعالى اللّه عن هذا الوصف: (فجوابنا) انه تعالى كما يجوز أن يمثلهم بشىء يجوز أن يمثلهم بشىء آخر فى باب الضلالة و ليس المراد الا الجمع بين الامرين و قد يقال لفظة أو فيما طريقة الجمع فى ذلك كقوله تعالى (لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ)

(تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ) أراد الجمع و كذلك قوله (وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ) أراد الجمع و قد يقال جالس الحسن أو ابن سيرين و المراد الجمع و اذا جاز فى الواو أن يراد به معنى أو كقوله تعالى (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) فكذلك يجوز أن يذكر أو و يراد به الجمع.

[فصل ثمّ انه تعالى بعد وصف المنافقين بعث المكلفين على عبادته فقال (يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) و لا يصح أن يقول ذلك الا مع الامر بمعرفة اللّه تعالى ليصح أن يعبد و مع اقامة الدلالة التى يصل بالنظر فيها الى معرفة اللّه تعالى و ذلك ما نبه عليه بقوله (الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) و نبه بذلك على ان العبادة انما تليق به لانه خالقنا و المنعم علينا و نبه بذلك على بطلان التقليدى لأنه لا يصح أن يكون طريقا لمعرفته و نبه بذلك على انه ليس بجسم و أنه انما يعرف بفعله و خلقه.

[مسألة]

ان قيل فما معنى قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) و لعل انما يستعمله المتكلم بمعنى الشك: فجوابنا ان المروى عن ابن عباس و الحسن ان لعل و عسى من اللّه واجب فالمراد لكى تتقوا و لكى تشكروا و تفلحوا و ذلك أحد ما يدلنا على انه تعالى لا يريد من المكلف الا الطاعة التى هى التقوى و الشكر و ما شاكل ذلك و على هذا الوجه قال اللّه تعالى لموسى و هارون صلّى اللّه عليهما و سلم (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى لانه أراد بذلك تذكره و خشيته و هو الذى يفهم فى اللغة و اذا ذكر فى غير ذلك فهو مجاز. و قد أجاب بعض العلماء بان المخاطب اذا كان لا يعلم هل يختار ذلك أو لا يختاره صح من المخاطب ان يخاطبه بذلك ليترجاه فمن حيث كان المخاطب مترجيا غير قاطع جاز ان يخاطب بذلك فامر تعالى بعبادته ثمّ قال فى آخره (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً) و هذا هو معنى الاخلاص أى اعبدوه و وحدوه ثمّ نبه تنزيه القرآن (۲)

على وجوب الاعتراف بنبوة النبى صلّى اللّه عليه و سلم فقال (وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) فقد أوتيتم الفصاحة التامة فان كان غير صادق و لكم الحمية و الآنفة و قد الزمكم طاعة اللّه و الانقياد فما الذى يقعدكم عن ان تأتوا بمثله و هلا دل قعودكم عن ذلك على ان القرآن معجز يدل على صدقه فى النبوة و بين انهم كما لم يأتون بمثله فكذلك حالهم أبدا بقوله (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا).

[مسألة]

يقال لم قال تعالى (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ) و كيف تكون الحجارة وقودا و كيف يصح فى الناس ان يكونوا وقودا لها و هم لا يحترقون. فجوابنا انه تعالى نبه على عظمها و انها لذلك تحترق بالحجارة و ليس اذا كان الناس وقودها وجب ان يفنوا لانه تعالى يمنع وصول النار الى المقاتل و انما تحترق ظواهرهم كما قال عز و جل (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها) أعاذنا اللّه منها بالتقوى.

[مسألة]

قالوا فقد قال تعالى فى هذه النار (أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ) فهلا دل على ان غير الكفار لا يدخلونها. فجوابنا ان للنيران دركات فهذا صفة واحدة منها و بعد فليس اذا ذكر اللّه تعالى انها معدة للكافرين دل على نفى غيرهم و عقب ذلك بقوله (وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ) و بين ان لهم فيها أزواجا مطهرة من الامور التى ربما تنفر فى دار الدنيا من ضروب ما يتأذى به.

[مسألة]

ان قيل فما معنى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها). فجوابنا أنه تعالى لما ضرب مثل آلهتهم بالذباب (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹

وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) و ضرب أيضا مثلهم بالعنكبوت و ضعف نساجته قال الكفار طعنا فى ذلك كيف يضرب تعالى مثل آلهتنا بهذه المحقرات فأنزل اللّه تعالى هذه الآية و أراد أنه انما يضرب المثل بما هو أليق بالقصة و أصلح فى التشبيه فاذا ضرب مثلهم فى باب الضعف كان ذكر الحقير فى المنظر من الحيوان أحسن موقعا و معنى قوله (بَعُوضَةً فَما فَوْقَها) أى فى الصغر و الضعف و عجائب الحكمة فى البعوضة و صغار الحيوان أزيد من عجائبهما فى كبار الحيوان لمن تأمل.

[مسألة]

قالوا فقد قال تعالى (وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً) و ذلك يدل على أنه تعالى يضل و يهدى لا- كما تقولون بأنه تعالى لا يجوز عليه ذلك «قلنا» انا انما ننكر أن يضل تعالى عن الدين بخلق الكفر و المعاصى و ارادتها كما ننكر أن يأمر بها و يرغب فيها و لا ننكر أن يضل من استحق الضلال بكفره و فسقه و قد نص اللّه تعالى على ما نقوله فى تفسير هذه الآية و دل عليه لانه قال (وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ) فنبه بذلك على أن قوله «يضلّ به كثيرا» أريد به يضل بالكفر به كثيرا و الا كان لا يكون لقوله (وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ) معنى لان غير الفاسقين يضلهم على قول القوم ثمّ انه تعالى وصف من يضله فقال «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» فبين تعالى أنه

يضلهم بهذه الخصال لا أنه يبدؤهم بالضلالة و على هذا الوجه قال «فَرِيقاً هَدى أى الى الثواب «وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» بين كيف حق ذلك فقال «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و على هذا الوجه قال «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» فخصهم بذلك و قال «وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» أى الى الثواب و قال (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٢٠

(رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ) و قال (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) و قال (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً) أى بالالطاف و التأييد و قال تعالى (إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى أى بالادلة و قال (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) أى بالأدلة و قال (كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ) و قال تعالى (وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) أى بقبوله لذلك و قال (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا) و ذم تعالى الشيطان و فرعون و السامرىّ بما كان منهم من الضلال فالاضلال من اللّه تعالى مخالف لإضلالهم لا كما يقوله المجبرة و القدرية الذين يضيفون تقدير الفواحش إلى ربهم فنقول إنه تعالى هدى الخلق بالأدلة و البيان و يهدى من آمن بالثواب خاصة و يهديهم أيضا بالالطاف و نقول انه يضل من استحق العقاب بالمعاقبة و بأن يعدلهم عن طريق الجنة و بأن لا يفعل بهم من الألطاف ما ينفعهم و لا نقول انه يضل عن الدين بأن يخلق الضلال فيهم و لا انه يريده و لا انه يدعوهم اليه لان ذلك هو الذى يليق بالشياطين و الفراعنة و انما قال تعالى (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً) و أراد يعاقب بالكفر به (وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً) أى يثيب بالايمان به كثيرا و يجوز إضافة هذا الضلال إلى نفسه و قد قيل أيضا انهم لما ضلوا عنده جاز أن يضاف إلى نفسه كما قال تعالى (وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً) ثمّ قال من بعد (وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ) فأضاف ايمانهم و كفرهم إلى السورة لما آمن بعضهم عند نزولها و كفر بعضهم فكذلك أضاف هذا الضلال إلى نفسه لما كفروا بالمثل عند نزوله ثمّ بين تعالى بقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ) على أن الكفر من قبلهم و انهم قد كفروا نعمة ربهم و عدد نعمه عليهم معظما لذنبهم و كفرهم لأن عظم النعمة تعظم معصية المنعم و نعم اللّه علينا لا يدانيها نعم فلذلك يكون اليسير من المعاصى عظيما كما يكون اليسير من عقوق الوالد البار

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٢١

عظيما و دلّ بذلك على بطلان قول من يقول خلق اللّه فريقا للكفر و فريقا للايمان لان ذلك لو صح لكان لا نعمة له على من خلقه للكفر و النار.

[مسألة]

قالوا ما معنى قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ).

و جوابنا ان المراد ثمّ قصد خلق السماء لأنّ الاستواء عليه تعالى على الحد الذى يجوز على أشخاص لا يجوز و لذلك قال تعالى بعده (فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ).

[مسألة]

ان قيل أنتم تنزهون الملائكة عن المعاصى فكيف قال تعالى (وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ) أ فليس هذا القول منهم كالاعتراض على ربهم.

و جوابنا انه تعالى أعلمهم طريقهم فى العبادة و انه سيسكن الارض من يقع من بعضهم الفساد و القتل فلما قال تعالى و قد صور آدم و خلقه (إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) قالوا على وجه المسألة و التعرف (أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها) و على هذا الوجه يحسن ذلك و لذلك جعل تعالى جوابهم (إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) فبين سبحانه و تعالى انه العالم بالمصالح المستقبلة فاذا كان فى معلومها ما يظهر من الفضل و العلم من الانبياء و المؤمنين كان ذلك أصلح فى الحكم.

[مسألة]

قالوا أ فما يـدل قوله تعالى (وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْـماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْـماءِ هؤُلاءِ) على ان الامر بما لا يطاق يحسن لأن الملائكـهٔ لم تقـدر على هذه الأسـماء و لذلک قالت (سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا). و جوابنا ان ذلک جعله اللّه تعالى معجزهٔ لآدم و دلالـهٔ على نبوته من حيث عرفه أسـماء المسـميات جميعـا فعرفت الملائكـهٔ بـذلک انه نبى و عظّمته و جعـل اللّه تعالى ذلک مقدمهٔ الى ما أمرهم به

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲

من تعظيمه بقوله (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) و المراد عظموه بتوجيه السـجود اليه و ان كنتم تعبدون اللّه تعالى بذلک و لذلک قال تعالى (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) و انه تعالى قـد عرف الملائكـهٔ بمـا كتب فى أم الكتـاب من الآجال و الأرزاق و غيرهما إنه عالم بـذاته بكل شـىء فقال لهم (أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ) أ لم أدلكم منبها على ان الذى خص به آدم من الاسـماء لم يخصهم به ارادهٔ لاظهار نبوته و تعظيمه و قوله (أَنْبِئُونِي) هو على وجه التحدى و تقـدير عجزهم و لـذلک كان جوابهم (لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا) و لـذلک قال (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) و من لا علم له لا سبيل له الى العلم بانه صادق فى الاخبار عما لا يعلم و معلوم انهم لو أخبروا لجاز أن يكونوا كذبهٔ و لا يجوز أن يأمر تعالى بما هذا حاله.

[مسألة]

قالوا كيف اسـتثنى تعالى ابليس من الملائكـهٔ و هو من الجن فى قوله (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) و جوابنا انه لما دخل معهم فى الأمر له بأن يسـجد لآدم و أريـد منه ذلک بهـذا القول فصح الاسـتثناء لأن الاسـتثناء من جههٔ المعنى لا يكون الا كذلک و ذم اللّه تعالى له بأنه لم يسـجد و تكفيره اياه يدل على قدرته على السـجود بخلاف قول القدريهٔ انه تعالى يأمر بما لا يقدر العبد عليه و قوله تعالى فى وصـف ابليس (أبى) يدل أيضا على بطلان قولهم لانه لا يقال أبى الا اذا قدر على الشىء ثمّ امتنع منه اذ أبى فعل نفسه.

[مسألة]

يقال كيف أسـكن تعالى آدم و حواء الجنهٔ و كيف أذلهما الشـيطان عنها و كيف نفذ قول ابليس عليهما فخالفا أمر اللّه تعالى و كيف فعلا ما عوقبا عنده على الاخراج من الجنهٔ. و جوابنا انه لا يمتنع فى سـكنى تلک الجنهٔ أن يكون صـلاحا اذا لم يفعلا أمرا من الأمور و غير صلاح اذا فعلا ذلک فلما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳

وقع منهما أكل الشجرهٔ التى هى من جنس ما نهى اللّه تعالى عنه و يقال انها العنب و يقال التين و يقال الحنطهٔ و الأول أقرب أخرجهما تعالى من تلک الجنهٔ و لم يخرجهما عقوبهٔ لان معاصـى الانبياء لا تكون الا صـغائر و لو فعلوا كبائر لحسن ذمهم و لعنهم و النبوهٔ تمنع من ذلک فلما عصيا كان الصلاح اخراجهما الى الارض لما فى المعلوم من العواقب الحميدهٔ و كان ابليس يظهر لهما فوسوس اليهما و كان عنـدهما أن اللّه تعالى انما نهى عن شـجرهٔ بعينها و أراد اللّه تعالى ذلک الجنس كله فـذهلا عن هـذا التأويل و لـذلک قال تعالى (فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) و لو علمـا ان النهى عام فى ذلک الجنس لم يقـدما على اكل ذلک ثمّ من بعـد تاب اللّه عليهما فزال تأثير تلک المعصيهٔ فلذلک قال تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ) و كان اللّه تعالى يعظم محل الانبياء لعلمهم كيف يتوبون و ما الـذى يؤدون من الكلمـات ثمّ انه تعـالى ذكر من يعـد نعمه على بنى اسـرائيل و ذكر أولاـدهم نعمـهٔ على الآباء لأن النعمـهٔ على الآباء بحيث تخلصوا من قتل الأعـداء اياهم نعمـهٔ على الاولاد الـذين لو لا ذلک الخلاص لم يوجـدوا فعلى هذا الوجه خاطبهم بهذه النعم و

أمرهم بالوفاء بعهده لقوله تعالى (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) و هو المجازاة (وَ إِيَّایَ فَارْهَبُونِ) أی يجب أن تخافوا معصيتی فان ذلک يوقعكم فی العقاب و آمنوا بما أنزلت على محمد صلّى اللّه عليه و سلم و لا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب (وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِی ثَمَناً قَلِيلًا) فقد كانوا يطمعون فی الضعفاء فيضلونهم و يصرفونهم عن اتباع محمد صلّى اللّه عليه و سلم فلذلک قال (وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِی ثَمَناً قَلِيلًا) ثمّ قال (وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ) فدل بذلک على وجوب اظهار الحق بالدعاء اليه و دل به على ان من لبس الحق بالتشبيه فقد أقدم على عظيم و بين ان المرء كما يجب أن يدعو الى الخير يجب أن يتمسک به و من لم يتمسک به لم يؤثر دعاؤه للغير فقال (أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ وَ اسْتَعِينُوا)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴

(بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ) فجمع بذكر الصبر جميع ما منع تعالى منه و بذكر الصلاة جميع ما أمر به و بين ان الصلاة كبيرة (إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) أی ثواب ربهم فيعلمون المجازاة فيعظم خوفهم و يعلمون انهم اليه راجعون. و بين لبنی اسرائيل و لنا بقوله (وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ) ان من حكم ذلک اليوم ان المرء ينتفع بعمله دون هذه الامور و ان أهل العقاب لا يتخلصون الا بما يكون منهم فی الدنيا من التوبة و تلافی المعصية ثمّ قال عز و جل (وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) فمنّ عليهم بما كان منه تعالى من نجاة آبائهم على ما ذكرنا و ذكر نعمه حالا بعد حال إلى قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا) و قوله فی خلال هذه الآيات (وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ) يدل على أن الرؤية على اللّه تعالى لا تجوز و قوله (وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ) يدل على قدرة اللّه تعالى على الأمور العجيبة و ان عصا موسى كانت من الآيات العظام فمرة كانت تصير بيده ثعبانا فيتلقف إفک السحرة و مرة كان يضرب بها على الحجر فينفجر منه من الماء ما يحتاجون اليه و مرة كان يضرب بها على البحر فينفلق و يصير لهم طريقا يبسا و لما ذكر قوله (وَ أَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ) ظن بعضهم ان بنی اسرائيل أفضل من سائر الانبياء و ليس الامر كذلک و انما أراد به فضلهم على عالمی زمانهم و كذلک كانوا فی أيام موسى صلّى اللّه عليه و سلم دينا و دنيا.

[مسألة]

و ربما قالوا فی قوله تعالى (فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) كيف يدخل قتل النفس فی التوبة. و جوابنا انه تعالى أوجب أن يقتل بعضهم بعضا لعلمه بأن ذلک صلاحهم لا ان ذلک من شروط التوبة لان التوبة مقبولة اذا صحت بدون غيرها.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵

[مسألة]

و سألوا عن معنى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) فقالوا كأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم و هذا كالمتناقض. و جوابنا ان المراد فی الذين آمنوا الاستمرار على ايمانهم و فی الذين هادوا الانتقال الى الايمان و ذلک صحيح و قد قيل ان المراد بأن الذين آمنوا من أظهر الاسلام و المراد بمن آمن منهم كمال الايمان و ذلک مستقيم.

[مسألة]

و قد قيل كيف قال (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) و نحن نعلم ان المؤمنين قد يخافون و يحزنون. و جوابنا انه تعالى أراد ذلک فی الآخرة كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ) و قال (لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) و كل ذلک ترغيب فی التمسک بالايمان و الطاعة.

[مسألة]

قالوا فى قوله تعالى (وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) كيف يأمر بذبح بقرة لها صفة ثمّ باخرى لها صفة أو ليس ذلك يدل على البداء «و جوابنا» أنه أمر أولا بذبح بقرة على أىّ صفة كانت فلما عصوا كان الصلاح التشديد عليهم ثمّ كذلك حالا بعد حال الى أن أمرهم آخرا بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض و لا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها فيقال طلبوها فاشتروها بمال عظيم لأنه لم يوجد بتلك الصفة سواها و كان السبب فى ذلك ما بينه بقوله (وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى و كان هناك قتيل و كتموا القاتل فأخفوه فأراد اللّه تعالى اظهاره باحياء القتيل عند ضربه ببعض البقرة ليذكر ذلك المقتول قاتله فيقام عليه حد اللّه تعالى و اللّه تعالى و ان كان قادرا على احياء ذلك

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶

القتيل من دون أن يضرب ببعض البقرة فقد كان لطفا لهم لان عادتهم كانت التقرب بذبح البقرة كما تعبدنا اللّه تعالى بذبحها فى الاضحية و كان ذلك من معجزات موسى عليه السلام.

[مسألة]

يقال و قد قال تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) كيف يجوز أن يفضل قلبهم فى القسوة على الحجارة و الحجارة لا قسوة فيها أصلا و كيف قال (وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) و ذلك لا يصح على الحجارة. و جوابنا ان ذلك على وجه المثل ضربه اللّه تعالى لقلبهم فى القسوة لان الظاهر ان القسوة تكون لصلابة القلب فكذلك القول فى الخشية أورده على وجه المثل و قد قيل أن المراد و لو جعل الحجز حيا لكان يحصل فيه من الخشية ما ليس فى قلبهم و الاول أقوى لأنّ الحجارة اذا جعلت حية لا تكون حجارة.

[مسألة]

قالوا كيف يقول تعالى (أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ) يعنى اليهود ثمّ يقولون من بعد (وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا) فنفى فى الاول و أثبت فى الثانى و ذلك تناقض. و جوابنا ان المراد (أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا) ايمانا ظاهرا و باطنا و الذى عناه فى قوله (وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا) ما أوردوه ظاهرا على وجه النفاق فالكلام مستقيم و لذلك قال (وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) فذمهم بذلك على هذه الطريقة التى هى النفاق و بين انهم يحرفون التوراة و يشترون بها ثمنا قليلا و انهم كانوا يفعلون ذلك ليستأكلوا ضعفائهم فقال تعالى (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ) و دل بذلك على ان كتمان الحق فى الدين يوجب الويل و قوله تعالى (بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) زجر عظيم لمن يعصى ربه كما ان قوله تعالى (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) ترغيب عظيم فى التمسك بطاعته. ثمّ ذكر انه أخذ ميثاق بنى اسرائيل فى أن لا يعبدوا الّا اللّه و فى أن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷

يتمسكوا بسائر ما ذكر بعد ذلك و انهم خالفوا و تولوا الا قليلا و انهم سفكوا الدماء. و بين تعالى ان جزاء ذلك الخزى فى الحياة الدنيا و ان يردوا الى أشد العذاب و زجر بذلك عن مثل فعلهم و ذمهم على التكذيب بالقرآن بقوله (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ) كل ذلك رجز عن فعل مثلهم.

[مسألة]

و قالوا قال تعالى (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) فقالوا كيف يجوز تعليله لإنزاله القرآن بأنهم أعداؤه. و جوابنا انه أراد توكيد ذمهم بانه بالمحل الذى ينزل به الوحى و القرآن لاجله على الرسل و زجرهم بذلك عن عداوتهم ثمّ بين ان من كان عدوا للّه و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال فاللّه عدوه بقوله (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ).

[مسألة]

و سألوا عن قوله (وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ) و قالوا الآية تدل على ان السحر من عند اللّه و ان الملائكة أنزلت به و على انه اذا أدى الى مضرة فبإذن اللّه. و جوابنا انه تعالى حكى عن اليهود انهم نبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم و انهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين و المراد بذلك ما تخبر به الشياطين على ملك سليمان و يكذبون عليه فانهم يتبرءون من نبوّته أعنى اليهود و ينسبوه الى السحر كما حكت الشياطين فقال تعالى (وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ) نزهه عن السحر الذى نسبوه اليه ثمّ قال (وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا) بان نسبوا السحر الى سليمان على وجه الكذب و جحدوا نبوّته ثمّ قال تعالى فى وصفه الشياطين (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) على وجه الاضرار ثمّ قال تعالى (وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ) فبين انه تعالى أنزل ببابل السحر عليهما ليعرفا الناس فيتحرزوا من ضرره لان تعريف الشر حسن و معه يصح الاحتراز

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸

و لذلك قال تعالى (وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ) يعنى الملكين (حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ) فبين ان مرادهم بتعليم السحر لا أن يعمل به ثمّ قوله تعالى (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ) و هو ذم لمن يتعلم من الملكين فلا يتحرز بل يعمل به فهو بمنزلة أن يعرف من الرسول الزنا و غيره من الفواحش فبعضهم يعمل بذلك فلا يخرج بيان النبى صلّى اللّه عليه و سلم لذلك من أن يكون حسنا فكأنه قال (وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ) و اتبعوا (ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) فيما يعملون على وجه الذم لهم. و قد روى عن الحسن انه كان يقرأ (وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ) و يقول كانا علجين أقلفين يأمران بالسحر و يتمسكان به و القراءة المشهورة خلاف ذلك و قد قيل فى تأويله ان المراد و اتبعوا ما تتلوا الشياطين أى تحكى و تخبر على ملك سليمان و ما أنزل على الملكين ببابل فكأنهم كما كذبوا على ملك سليمان كذبوا أيضا على ما أنزل على الملكين لا أنهما أنزلا ليعلما السحر و يكون قوله (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما) أى من السحر و الكفر و الوجه الأول أقوى.

فان قيل و ما السحر الذى هو كفر أ تقولون ان جميعه كفر أو بعضه و ما حقيقته. قيل له ان السحر فى الأصل هو ما لطف مأخذه مما يقصد به الاضرار و الاحتيال لكن فى الناس من يوهم انه يفعل ما لا حقيقة له كما يدعى بعضهم أنه يطير بلا جناح و يركب المكانس و غيرها فيبعد بالوقت اليسير و انه يخيط الناس و يصور المرء بخلاف صورته الى ما شاكل ذلك و هو قال صلّى اللّه عليه و سلم (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقهما فيما يقولان فقد كفر بما أنزل على محمد) لانهم يوهمون انهم يعلمون الغيب و ذلك كذب منهم ربما صدق فى هذا الزمان بعض المنجمين فى مثل ذلك و هو عظيم يوجب الطعن فى نبوّة الانبياء صلوات اللّه عليهم الذين انما عرفت نبوّتهم بان أظهروا علم الغيب نحو قوله عز و جل فى وصف عيسى عليه السلام (وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) فمن أوهم ذلك فهو كافر فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹

فى الحقيقة فاما السحر الذى يصح وقوعه فهو ما لم يلطف من هذه الافعال التى تجرى مجرى الحيل فالأول هو الكفر و الثانى يحتمل أن يكون كفرا و يحتمل خلاف ذلك فان أوهم انه يفرق بين المرء و زوجه بان يفعل فى قلب الزوج أو قلبها ما لا يمكن و يكون

معجزا فهو كالأول و ان أوهم انه يزيل العقل و يحدث العيوب في أحدهما فهو كالاول و ان ذكر انه يحتال بما يمكن للمرء أن يفعله حتى يفرق بينهما أو يقتل أو يفعل ما يؤدى الى المرض فذلك فسق ليس بكفر و قد ذكر بعض مشايخ المتكلمين ممن عمل كتاب المتشابه ان رجلا تزوج امرأة على أخرى فعظم ذلك على الأولى و انها استعانت بغيرها فتوصل الى أن قال للثانية ان أردت أن تنغرس محبتك في قلب الزوج ليختارك على الاولى فخذى موسى فاقطعى ثلاث شعرات من لحيته و هى ما يقارب الحلق و ألقى الى الزوج بأن هذه المرأة ستحتال عليه بالقتل فلما قرّبت الموسى منه في المحل الذى حرره لم يشك الزوج بان الامر على ما قال الرجل من انها قصدت قتله فقام اليها و قتلها و كان ذلك تفرقة و قيل توصل اليها بهذه الحيلة فما يجرى هذا المجرى يكون فسقا و لا يكون كفرا و كل ذلك مما يصح تعرفه من الانبياء لكنهم يعلمون ذلك لكى يتحرز منه فيحسن ذلك و الشياطين يعلمون ليعمل به فيقبح ذلك فهذا تأويل الآية و قوله تعالى (وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يحتمل أن يكون المراد بهذا الاذن العلم دون الأمر و يحتمل أن يكون المراد فعلهم نفسه فيما عنده بفعل اللّه تعالى ما يضر من يضر غيره فيكون ذلك منسوبا الى اللّه تعالى و ما يفعله من حيث يقع بارادته يجوز أن يقال انه باذنه و بين ان من يفعل ذلك ماله عند اللّه من خلاق و زجر بذلك عن التمسك بالسحر و الحيل ثمّ قال (وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) لأن من باع نفسه بما يأتيه من السحر فهو خاسر الصفقة في هذه التجارة.

[مسألة]

قالوا ما معنى قوله تعالى (وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ) و كيف تكون المثوبة خيرا من السحر

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٠

و السحر لا خير فيه. و جوابنا ان قوله (وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا) يدل على ان الايمان باختيارهم يقع و انهم اذا لم يؤمنوا فهم مقصرون بخلاف من يقول انه تعالى يخلق ذلك فيهم و رغب بذلك في الايمان و التقوى و معنى قوله في المثوبة انها خير أى أن ما يؤدى اليها اولى أن يتمسك به و هذا كقوله تعالى (قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) و إنما أراد ان جنة الخلد هو الخير دون النار.

[مسألة]

يقال ما معنى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا) و معنا هما واحد فكيف يصح الامر بكلمة و النهى عن الاخرى و الفائدة لا تختلف. و جوابنا ان المنقول في الخبر ان اليهود كانت تقول للنبى صلّى اللّه عليه و سلم (راعِنا) بكسر العين و تقصد الهزء و قوله تعالى (وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ) يدل على ذلك فأمر اللّه تعالى بالعدول عنه الى نظيره و هو قوله (انظرنا) و في ذلك دلالة على وجوب تجنب الكلمة اذا أوهمت الخطأ و قوله تعالى في آخر الآية (وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ) يدل على ما قلناه من انهم قصدوا أمرا مذموما في راعنا فلذلك نقل اللّه تعالى المؤمنين عنها الى قوله (انظرنا).

[مسألة]

و قالوا كيف يجوز أن ينسخ تعالى شيئا بشيء كما قال (ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها) و هل يدل ذلك على ان لآية لا تنسخ الا بآية. و جوابنا انه يتعبد المكلف في كل وقت بما هو مصلحة له و اذا كان في زمن الوحى ربما يكون الصلاح انتظار نقل المكلف من عبادة الى عبادة فعلى هذا الوجه ينسخ تعالى العبادة بغيرها كما يفعل تعالى البرد بعد الحر و الليل بعد النهار و قوله (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها) أى بما هو أصلح من الاولى و لا فرق بين أن يعلمنا ذلك بقرآن أو بوحى الى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣١

ثمّ بين انه تعالى على هـذه المصالـح قدير بان يبينها كما شاء فلا يدل ذلك على ان كل شـيء داخل في قدرته كنحو أفعال العباد من كفر و ايمان و قـد يقال هو قـدير على كل شـيء لانه الذى يقدر غيره كما يقال للملك انه مالك للبلاد و ما فيها لما كان مقتدرا على ان يملك الغير و يسـلبه ملكه و لذلك قال (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ) و زجر المرء عن أن يتكل الا على عبادته.

[مسألة]

قالوا كيف قال تعالى (أَمْ تُرِيـدُونَ أَنْ تَسْـئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُـئِلَ مُوسـى مِنْ قَبْلُ) و كيف منع من مسألة الرسول و قد نصبه اللّه تعالى معلما و مبينا. و جوابنا ان المراد المنع من مسألته على الرد و التعنت لا على وجه التفهم و لـذلك قال (وَ مَنْ يَتَبَـدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ).

[مسألة]

و ربما قالوا كيف يبـدأ تعالى بقوله (أَمْ تُرِيـدُونَ) و عنـد العرب لا يبتـدأ بـذلك الاسـتفهام بل يبنى على كلام متقـدم. و جوابنا انه قد يحـذف المتقـدم اذا دل الكلام عليه و ذلـك كقوله (الم تَنْزِيـلُ الْكِتـابِ لا رَيْبَ فِيهِ) ثمّ قال (أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ) و قـد قيل ان معناه بل تريدون أن تسألوا رسولكم يقول ذلك لليهود و قد تقدم ذكرهم.

[مسألة]

و سـألوا فقـالوا كيف قال (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْـدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَـداً مِنْ عِنْـدِ أَنْفُسِـهِمْ مِنْ بَعْـدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) أ فتقولون كـانوا يعرفون الاسـلام و النبوّة مع اظهـارهم اليهوديـة. و جوابنـا ان ظـاهر الآيـة يـدل على ذلـك لأن كثيرا منهم كان يعرف ذلك و يبقى على اليهوديـة لاعراض الـدنيا و قوله تعالى (حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِـهِمْ) يدل على ان حسدهم للرسول و للمؤمنين لم يكن من خلق اللّه تعالى و الا لم يضفه الى أنفسهم و رغب تعالى بقوله

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲

(فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) و بقوله (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) على هذه الأعمال.

[مسألة]

و قالوا ان قوله تعالى (وَ قالُوا لَنْ يَـدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى لا يصـح لان الذين كان يحكى عنهم ان كانوا من اليهود لا يقولون ذلك فى النصارى و ان كانوا من النصارى لا يقولون ذلك فى اليهود فكيف تصح هذه الحكاية. و جوابنا ان الفائدة معقولة و المراد ان اليهود قالت (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً) و النصارى قالت لن يـدخل الجنة الا من كان نصارى لان ذكر أهل الكتاب قـد تقـدم و حـالهم فى طعن كـل واحـد منهم فى الآخر معلومـة فلا بـد من أن يكون المراد ما ذكرنا ثمّ بيّن تعالى ان تلك أمانيهم لا برهان عليه ثمّ قال (بَلى مَنْ أَسْـلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) يعنى بالتعبد (وَ هُوَ مُحْسِنٌ) و أراد بذلك مجانبة المعاصـى (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) فجمع بين الأمرين فى حصول الثواب لئلا يغتر المكلف فيقصر فى أحدهما.

[مسألة]

و ربما قيل ما فائدة قوله (وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ) و ذلك معلوم من حالهم فأىّ فائدة فى وصفهم بذلك. و جوابنا ان الفائدة بذلك قوله (وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ) فبين انهم ذهلوا عما تدل عليه كتبهم من تصديق البعض للبعض فيما أودعه اللّه تعالى فى الكتب و قد يقال ان فلانا ليس على شىء و ان كان فى جملة ما يقوله ما هو حق اذا لم يتكامل تمسكه بالحق كما يقول فيمن يخالف فى التوحيد و العدل ليس هو على شىء و ان كان يقول بالحق فى بعض الاشياء و لذلك قال تعالى بعده (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳

[مسألة] و قالوا قد قال تعالى (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) كيف يصح ذلك و معلوم انهم قد يدخلون المساجد و ليسوا مخالفين و ما معنى سعيهم فى خرابها و لم يتفق ذلك. و جوابنا انه قد روى ان أبا بكر الصديق كان بنى مسجدا بمكة يدعو الناس الى اللّه تعالى فسعى الكفار فى تخريبه فانزل اللّه تعالى ذلك و قد قيل ان المراد منعهم الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و الصحابة حتى اضطروا الى الهجرة فبين اللّه تعالى انهم كما أخافوهم حتى فارقوا مسجد مكة فسيرفعه بحيث لا يدخلونه الا خائفين و معنى قوله و سعى فى خرابها فى المنع عن عمارتها بالصلاة و سائر ما يبنى له المسجد كقوله (إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ) فكما جعل ذلك عمارة له جعل المنع من ذلك سعيا فى خرابه فان حمل الكلام على المسجد الحرام لم يكن لهؤلاء الكفار ان يدخلوها الا على وجه الخوف و الا فان حمل على سائر المساجد كما قاله قوم فالمراد انهم اذا دخلوا يكونون خائفين من المسلمين فلا يدخلونها الا لمحاكمة او غيرها فيكونون خائفين ثمّ قال تعالى (لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل أما يدل قوله (وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) على المكان قلنا المراد ان هناك يوجد رضا اللّه كقول القائل لغيره من شغلك ان تصلى لوجه اللّه أى طلبا لمرضاته لا على وجه الرياء و السمعة و لو كان المراد بذلك المكان لوجب ان يكون تعالى فى وقت واحد فى أماكن بحسب صلاة المصلين و قد يذكر الوجه و يراد به ذات اللّه و قد يقول القائل لغيره و قد سأله حاجة أحب أن تفعل ذلك لوجه اللّه تعالى اى تقربا الى اللّه فاما معنى قوله (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ان ذلك لكم بحسب تنزيه القرآن (۳)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴

الاجتهاد اذ يراد به فى الظلمة اذا عميت القبلة او فى النافلة فى السفر او فى المسايفة و ذلك مذكور فى الكتب.

[مسألة]

و سألوا عن قوله تعالى (وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) فقالوا كيف يكون ما ذكره آخرا مبطلا لما قالوا. فجوابنا انه بين ان من يخلق هذه الامور و يعمل عليها لا يكون الا قديما مخالفا لمن تصح عليه الولادة و لذلك اتبعه بقوله (بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فبين تعالى بكل ذلك انه مخالف للاجسام التى تصح عليها الولادة و قالوا ان قوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون يدل على ان كل ما يفعله يفعله بهذا القول و ان ذلك يوجب ان قوله و كلامه ليس بمحدث لانه لو كان محدثا لكان يحدثه بقول آخر و يؤدى الى ما لا نهاية له فجوابنا ان ما قالوه متناقض لان الظاهر يقتضى أنه يقول له كن و هذه اللفظة مشتملة على حرفين أحدهما يتقدمه الآخر و الآخر يتأخر عنه على اتصال بينهما و ما هذا حاله لا يكون الا محدثا فلا يصح اذا ما قالوا و لان قوله (فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) يقتضى انه يقول ذلك مستقبلا و ذلك علامة

الحدوث و لانه عطف المكوّن على القول بحرف الفاء و من حقه ان يكون عقيبا له و ما كان المحدث عقيبه لا يكون الا محدثا و عندنا ان المراد بذلك انه اذا قضى أمرا يكوّنه و يفعله من غير منع و ذكر هذا القول على وجه التوسع و مثل ذلك فى اللغة كما قال الشاعر: امتلأ الحوض و قال قطنى. و الحوض لا يقول و لكن المراد انه اذا امتلأ فحسبه من الماء و أراد تعالى بذلك ان الاشياء لا تتعذر عليه كما تتعذر على سائر القادرين و قوله تعالى عقيب ذلك (وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ) و معناه هلا يكلمنا اللّه يدل على انه تعالى يفعل الكلام فى المستقبل فكيف يجوز ان يكون قديما و قوله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً) و المراد بشيرا لمن اطاع و نذيرا لمن عصى و هو ترغيب فى الطاعة

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵

و زجر عن المعاصى و قوله من بعد لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ) دلالة على ان النبوّة لا تعصمه من الوعيد اذا عصى فكيف يكون حال غيره.

[مسألة]

و ما معنى قوله تعالى (وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) كيف يجوز فى كلمات اللّه ان يتمها ابراهيم. و جوابنا ان المراد فيه انه ابتلاه بما يدل عليه الكلمات من العبادات و انه بامتثال ذلك أتم ما يلزمه و قد قيل انه علمه من أسمائه الحسنى ما يصير بذلك من أهل النبوّة و لذلك قال تعالى بعده (إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً) فبين ان هذه الكلمات هى كالمقدمة لذلك و بين تعالى انه قد يكون فى ذريته من يكون ظالما فلا يستحق النبوّة و الامامة فقال (لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) و بين تعالى انه جعل بيته الذى هو الكعبة (مَثابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً) يثوبون اليه حالا بعد حال للعبادة فقد كان فى شريعة ابراهيم صلّى اللّه عليه و سلم الحج على قريب مما هو فى شريعتنا و جعل اللّه تعالى الحرم آمنا فى أشياء كثيرة ثمّ أمر أن يسأل ربه أن يجعل الحرم آمنا و أن يؤتيهم من الطيبات و قد فعل تعالى لكنه سأل ذلك للمؤمنين فاجابه اللّه تعالى للكل فقال (وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ) و ذلك لان عادة اللّه تعالى فى الدنيا أن يعم خلقه بالارزاق بحسب المصالح فلا يحرم العاصى بمعصيته و لا يفضل المؤمن لإيمانه لكنه يدبرهم بحسب الصلاح و دل قوله تعالى (وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ) على انهما تعبدا ببناء البيت فلذلك قالا (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا) الى سائر ما دعوا اللّه تعالى.

[مسألة]

قالوا ما معنى (رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) ان كان الاسلام من فعل العبد. و جوابنا ان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶

المراد مسألة الالطاف و التسهيل فى أن يصيرا مسلمين لان المرء و ان كان يفعل الاسلام فلا يستغنى عن زيادات الهدى و الالطاف و لو لا ذلك لما صح الأمر و النهى بالاسلام و الكفر و لما جاز المدح عليه و لم يكن لقوله تعالى (وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا) معنى و الوالد اذا توصل الى تأديب ولده بأمور جاز أن يقال جعله أديبا عالما لفعله الأسباب التى عندها تعلم و قيل ان المراد بذلك الانقياد لا الاسلام الذى هو تمسك بالعبادات و دلوا على ذلك بالاضافة فى قوله (مُسْلِمَيْنِ لَكَ) و دلو عليه بما بعده من قوله (إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) و من يفعل الاسلام التى هى العبادات لا يوصف بانه اسلم للّه و يوصف اذا أريد به الاسلام و الانقياد و قوله من بعد (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ) و المراد اختاره لكم يدل على ان الاسلام فعلهم.

[مسألة]

ان قیل لم قال (فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) و ما فائدة تعلیق الاسلام بالموت و هو واجب فی کل حال. و جوابنا انه لما کان المرء یخاف الموت فی کل وقت صار ذکر الموت دلالة علی وجوب التمسک بالاسلام و الخوف من ترکه فی کل وقت و یکون ذلک فی التحذیر أقوی.

[مسألة]

و سألوا فقالوا کیف قال (الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ) مع قوله فی غیر موضع انهم غیروا الکتاب و حرفوه. فجوابنا انه تعالی أراد القرآن و أراد من أهل الکتاب من آمن و لذلک قال (یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ) و الکتب المتقدمة لا یجب فیها هذه التلاوة و قد قیل ان المراد یتلون التوراة علی حقها من غیر تحریف لان من آمن بالرسول کان هذا حالهم فهذا أیضا یحتمله الکلام.

[مسألة]

و سألوا فقالوا کیف یقول تعالی (لِئَلَّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِینَ ظَلَمُوا) فکیف یصح ان ینفی ان یکون

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷

علیهم حجة ثمّ یقول الا الذین ظلموا فیکون لهم الحجة. و جوابنا لکن للذین ظلموا الحجة فانهم یحتجون علیکم بالباطل و ذلک استثناء منقطع.

[مسألة]

و قالوا کیف قال تعالی (وَ إِنْ کانَتْ لَکَبِیرَةً إِلَّا عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ) فخصهم بهذا الهدی. و جوابنا ان هذا الهدی من جنس اللطف الذی یتأتی فی المؤمنین کقوله (وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً) و قد بینا ان الهدی العام هو الدلالة و متی أرید به الاثابة أو الالطاف فذلک خاص.

[مسألة]

و سألوا عن قوله (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ) و قالوا کیف یصح ذلک فی الایمان و قد تقضی. و جوابنا ان المراد ابطال ثوابه و قد قیل انه نزل فی صلاتهم الی بیت المقدس فبین انه و ان نسخها فثوابها محفوظ لمن لم یفسد ذلک بکفر أو کبیرة.

[مسألة]

و سألوا عن قوله (الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ) قالوا لو عرف أهل الکتاب نبوّته لما صح مع کثرتهم أن ینکروا ذلک و یجحدوه فکیف یصح ما اخبر به تعالی عنهم.

و جوابنا ان المراد من کان یعرف ذلک منهم و هم طبقه من علمائهم دون العامة منهم و لذلک قال (وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ) و لا یجوز ذلک علی جمیعهم لعلمنا باعتقاداتهم و تجویزه علی من ذکرناهم یصح.

[مسألة]

قـالوا ان قوله (وَ مـا جَعَلْنَا الْقِبْلَـةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) يـدل على انه تعالى انما يعلم من يتبع الرسول و من لا يتبعه عند جعل القبلة كذلك و هذا يوجب ان علمه تعالى محدث.

و جوابنا أن المراد الا ليفعلوا اتباع الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فذكر العلم و أراد المعلوم لان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٨

المعلوم لا يكون الا بحسب العلم فذكر العلم يدل على حال المعلوم و ذلك كقوله تعالى (حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ) و المراد حتى يجاهدوا و نحن بذلك عالمون و قد قيل انه تعالى ذكر نفسه و أراد رسوله كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ) و المراد يؤذون أنبياءه و كأنه قال الا ليعلم الرسول من يتبعه.

[مسألة]

قالوا و قال تعالى (فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) ثمّ قال (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا) و ليس لـذلك تعلق بالأول فما الفائـدة فى ذلك. و جوابنا ان المراد فاذكروا اللّه كـذكركم آباءكم بأن تسألوه مصالحكم فى الدين و الـدنيا و لذلك قال (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) فكأنه قال اذكروا اللّه فى امر دينكم و دنياكم كما ان هؤلاء النـاس يقولون ربنـا آتنا فى الـدنيا حسـنة و فى الآخرة حسـنة و ضـرب اللّه تعالى المثل بالآباء لان المعتاد ان المرء ينشأ على محبتهم و ذكرهم و الا فنعم اللّه تعالى أعظم من ذلك فذكرهم اللّه يجب أن يكون اكثر من ذكرهم لآبائهم.

[مسألة]

قالوا فى قوله (الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) كيف يصح الرجوع الى اللّه و ليس هو فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٩

مكـان، و جوابنا ان المراد به الرجوع الى اللّه حيث لا حكم ينفـذ الا للّه تعالى كما يقال فى الخصـمين رجع أمرهما الى الحاكم او الى الأـمير و المراد انه هو صـار المتولى لـذلك و قـد جرت العـادة فى الـدنيا ان غير اللّه يملـك الأـمور بان ملكه اللّه و فى الآخرة خلاف ذلك و هـذه الآيـة تدل على ان غير الانبياء يجوز أن يقال فيهم صـلّى اللّه عليه و سـلم لان اللّه تعالى ذكر فى الصابرين على المصائب (أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ) و ان كانت العادة فى تعظيم الانبياء قـد جرت بان يخصوا بـذلك و زجر تعالى عن كتمان الحق زجرا عظيما بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) و قد قيل ان المراد باللاعنين الملائكة و ذلك نهاية الزجر فى كتمان الحق. ثمّ بين أن هذا اللعن يزول بالتوبة فقال (إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا) ما كتموه و نبه تعالى بقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ) على ان من تاب من الكفار خارج عن هذا الحكم و بين تعالى بقوله (وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) ان الواجب فى العبادة أن توجه اليه وحده و بين الأدلـة عليه و على وحـدانيته بقوله (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ) فـذكر هـذه الآيات الدالـة على اللّه تعـالى و على ان المنفرد بالألوهيـة و بين فى آخره بقـوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) انّ الواجب على العقلاـء أن يتـدبروا هـذه الاـمور فى سائر حالاتهم كما قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا) فالمعلوم ان العبادة بالصلاة و الصيام و غيرهما تلزمهم فى حال دون حال و العبادة بذكر اللّه و معرفته و التفكر فى نعمائه و القيام بشكر إفضاله تلزم فى كل حال و على هذا الوجه قال (أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴٠

السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ) فذم من لم ينظر فى هذين أحدهما التفكر فى سائر

ما خلق ليقرر به توحيده و الآخر التفكر فى قرب الاجل و للحذر من ترك التوبة و الاستعداد فنبه تعالى على وجوب هذين فى كل حال يذكرهما المرء.

و بعد ذلك قال تعالى (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) و بين ان الذين آمنوا أشد حبا للّه أى لعبادته و تعظيمه و بين أن هؤلاء اذا رأوا العذاب علموا أن القوة للّه جميعا دون الانداد و تتبرأ من اتبع ممن اتبعهم عند رؤية العذاب و الذين يتبعون يتمنون الرجوع مرة أخرى حتى يتبرءوا ممن تبرأ منهم ثمّ بين انه يريهم أعمالهم حسرات عليهم و من تفكر فى هذه الآيات يستغنى بتأملها عن كل تذكر. ثمّ قال (يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً) فشرط فيه كلا الشرطين (وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ) الذى يزين لكم اللهو و الهوى فانه عدو مبين. فخالفوه الى ما هو حلال و ان شق عليكم ثمّ قال (إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) فحذر من الشيطان بهذا النوع من التحذير و قبح قول من حكى عنهم اذا قيل لهم (اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا) فاختار تقليد الآباء و اتبع طريقهم على ما بينه اللّه تعالى من الحق و مثلهم بقوله (وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً) فوصف المنعوق بأنه و ان سمع فهو بمنزلة الصم البكم لما لم يؤثر قول من دعاه الى عبادة اللّه فيه و بين بعد ذلك ما أحل و ما حرم فقال (إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) و بين ان ذلك و ما أشبهه هو الحرام الا للمضطر و أعاد زجر من يكتم الحق و يشترى به ثمنا قليلا و بين انهم يأكلون فى بطونهم نارا تحقيقا لما يستحقونه من العذاب و انهم اشتروا الضلالة بالهدى و العذاب

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱

بالمغفرة فما أصبرهم على النار ثمّ انه تمم هذا الزجر و الوعظ بقوله (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ) و بين ان ذلك غير مقبول الا بأن يؤمن المرء باللّه فيعرفه حق المعرفة و يؤمن بالملائكة و النبيين و يؤتى المال و هو يحبه (ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ) و يقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و يوفى بعهد اللّه اذا عاهده و بعهد الناس و يصبر على البأساء و الضراء يعنى فيما ينزل به من جهة اللّه من الشدائد و الأمراض قال تعالى (أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) و ذكر فى موضع آخر (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) و بين تعالى حكم القصاص فى آيات فقال (وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ) لان من تصور انه اذا قتل يقتل كف عن القتل فيبقى حيا من قتله ثمّ ذكر تعالى فيمن يحضره الموت الوصية للوالدين و الأقربين و هذا و ان نسخ وجوبه فهو مرغوب فيه من الثلث او ما دونه ثمّ قال (فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) ترغيبا فى ازالة الخلاف و بقاء الالفة، ثمّ بين تعالى حكم الصيام فى آيات كثيرة و أوجب صيام شهر رمضان على المقيم الصحيح و زجر عن خلافه.

[مسألة]

فان قيل فلما ذا قال (وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ).

و جوابنا ان ذلك كان من قبل فانه كان المرء مخيرا بين الصيام و بين الإطعام ثمّ نسخ بوجوب الصيام و انما رخص فى ذلك لمن لا يطيق أو لمن خاف من الصيام و دل تعالى بقوله (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) على انه اذا كان لم يرد التشديد فى الصوم مع السفر و المرض رحمة بالعبد فبأن لا يريد منه ما يؤديه الى النار أولى و قوله تعالى (وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) لم يرد به تعالى قرب المكان و هذا كقوله (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) و كقوله (ما يَكُونُ مِنْ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲

نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ) و كقوله (وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) و ذلك مثله يحسن فى الكلام البليغ و قد يقول المرء لغلامه و قد وكله فى ضيعة على وجه التهديد له انى معك حيث تكون يريد معرفته باحواله و اللّه تعالى بكل مكان على وجه التدبير

للاماکن و علی سبیل المعرفة بما یبطنه المرء و یظهره فهذا معنی الکلام و لو لا صحة ذلک لوجب أن یکون قریبا ممن بالشرق و ممن بالغرب و ان یکون فی الأماکن المتباعدة تعالی اللّه عن ذلک فانه قد کان و لا مکان و هو خالق الامکنة. و بین تعالی انه یجیب دعوة الداع اذا دعاه لکن ذلک بشرط أن لا تکون فسادا و الذین یدعون لا یعرفون ذلک فلأجل ذلک ربما تقع الاجابة و ربما لا تقع و ربما تقدم و ربما تأخر، و قد کان من قبل یحرم علی الصائم الأکل إلا عند الافطار ثمّ أباحه اللّه تعالی و أباح غیره طول اللیل فهو معنی قوله (أُحِلَّ لَکُمْ لَیْلَةَ الصِّیامِ الرَّفَثُ إِلی نِسائِکُمْ هُنَّ لِباسٌ لَکُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّکُمْ کُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَکُمْ) فقد کان من بعض الصحابة اقدام علی الوطء ثمّ تاب من بعد ذلک فهو معنی قوله (فَتابَ عَلَیْکُمْ وَ عَفا عَنْکُمْ) ثمّ أباحه بقوله (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما کَتَبَ اللَّهُ لَکُمْ وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) و روی عن بعض الصحابة و من بعدهم انه کان یبیح الأکل الی قریب من طلوع الشمس و الصحیح انه انما یحل الی طلوع الفجر الثانی و هو الذی علیه العلماء و الظاهر یدل علیه.

[مسألة]

و سألوا عن قوله (حَتَّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللَّهِ) فقالوا ان ذلک یدل انه استبطاء النصر من جهة اللّه فکیف یجوز ذلک علی الأنبیاء. و جوابنا انهم لم یقولوا ذلک استبطاء بل قالوه علی وجه المسألة و الدعاء و خوفا علی ما یلحق المسلمین من جهة الکفار فبین تعالی ان نصره قریب و أمنهم مما خافوه و ذلک مما یحسن.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳

[مسألة] و یقال کیف یجوز أن یقول تعالی (کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ کُرْهٌ لَکُمْ) و ما کتبه اللّه علینا لا یجوز أن یکره لانه من مصالحنا. و جوابنا أن المرء تنفر نفسه عن ذلک لما فیه من المشقة و لیس المراد انه یکره ذلک کیف یصح هذا و قد أوجب اللّه تعالی أن یعزم علیه و أن یراد و کذلک معنی قوله (وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ) و المراد به کراهة المشقة و النفار و المراد بقوله (وَ عَسی أَنْ تُحِبُّوا شَیْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَکُمْ) محبة المیل و الشهوة و قوله من بعد (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) یبین صحة ما ذکرناه و هو أنه عالم بالمصالح و بما یؤدی الیه ما یشق من المنافع و بما یؤدی الیه ما یتلذذ به من المضار.

[مسألة]

و قیل کیف یقول تعالی إن فی الخمر و المیسر منافع للناس مع الإثم العظیم و جوابنا انه لا یمتنع أن یحصل فی شربه منافع ترجع الی مصالح البدن فاما ان یراد به منافع الآخرة فالذی بینه من أن الاثم فی شربه أکثر من نفعه یبطل ذلک و هذه الآیة من أقوی ما یدل علی تحریم الخمر لان اثم شربها اذا کان کبیرا فیجب ان تکون محرمة و معنی قوله (وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْیَتامی قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَیْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُکُمْ) یدل علی اباحة خلط أموالهم بأموالنا و استعمال الاجتهاد فیما یکثر منها و یحصل فیه النماء و کان ذلک فی أول الاسلام ثمّ نسخ بأن ینظر فی أموالهم متمیزة من أموالنا و تطلب لهم فیها المنفعة.

[مسألة]

و قیل کیف قال تعالی (وَ لا تَنْکِحُوا الْمُشْرِکاتِ حَتَّی یُؤْمِنَّ) ثمّ قال بعد ذلک (أُولئِکَ یَدْعُونَ إِلَی النَّارِ) و کذلک الفساق ربما دعوا الی النار و یحل نکاح نسائهم. و جوابنا ان الکفار قبل قوة الاسلام فی حال غلبتهم کان اللّه تعالی حرم نکاح نسائهم لهذه العلة ثمّ أباح نکاح الکتابیات و قد قوی الاسلام و ذلوا باداء الجزیة فخرجوا من أن یکون

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴

فيهم هـذه العلـة و لـذلك قـال تعالى (الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكَمُ الطَّيِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكَمْ وَ طَعامُكَمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنـاتُ مِنَ الْمُؤْمِنـاتِ وَ الْمُحْصَنـاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) فنبه تعالى بقوله (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ) على ان ذلك شـرع متجـدد و هـذا قول عامـة الفقهاء و ان كان فى الناس من يحرّم نكاحهن فى هذا الوقت أيضا فأما الفاسق من جملة من ينتحل الاسـلام فانه لا يوصـف بانه يدعو الى النار.

[مسألة]

و ربما سألوا فقالوا قـد قال (وَ لَأَمَـةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْـرِكَةٍ) و مع ذلك فعندكم ان الحرة الكتابية يقدم نكاحها على نكاح الامة فكيف يصـح ذلك و جوابنا ان المراد تقـديم الأمـة المؤمنـة على الأمـة الكافرة فلا يدل على ما ذكرته كأنه تعالى لما أباح نكاح الحرائر نفى تحريم نكاح الاماء منهن أصـلا أو تحريم تقـديم نكاحهن اذا كنا إماء على نكاح الأمـة المؤمنـة و قـد حصل فى الكتابية اذا كانت أمة النقص من وجهين فلذلك تقدم الأمة المسلمة على نكاحها عند كثير من العلماء.

[مسألة]

و سـألوا عن قوله تعالى (وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَـةً لِأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا) قالوا فكيف يمنع من ذلك مع البر و ذلك غير مكروه. و جوابنا ان المراد ان لاـ تبروا و مثـل ذلـك شائع فى اللغـة كقوله تعالى (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِـلُّوا) و معناه أن لا تضـلوا و قـد قيل ان المراد كراهة الاكثار من اليمين و ان بر فيه الحالف فيعظم ذكره جل و عز عن هذه الطريقة.

[مسألة]

و سـألوا عن قوله (لاـ يُؤاخِـذُكُمُ اللَّهُ بِـاللَّغْوِ فِي أَيْمـانِكُمْ) فقـالوا كيف يصـح و قـد يقع ذلـك تعمـدا. و جوابنـا أن المراد أنه تعالى لا يؤاخذكم به على حد المؤاخذة بالايمان اذا كان ذلك يقع منه لا عن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵

قصـد الى عقد اليمين و ان كان قاصدا الى نفس الكلام و هذا كما تعلم ان الأكل فى شـهر رمضان سـهوا لا يؤاخذ به من حيث قصـد نفسه الأول و ان كان ذلك الأكل مما يقبح.

[مسألة]

و سألوا عن قوله تعالى (وَ لكِنْ يُؤاخِـذُكُمْ بِما كَسَـبَتْ قُلُوبُكُمْ) فقالوا كيف يصـح ذلك و قـد ثبت فى الخبر عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم انه تعالى لا يؤاخذ أمته بما تحدث به نفسها ما لم تعمل به. و جوابنا ان كسب القلب اذا كان من باب الاعتقاد أو من باب الارادة و الكراهـة يؤاخذ المرء به و انما أراد تعالى بهذا الكلام مؤاخذة الحالف على ما يقصد اليه من الايمان و المراد أيضا المؤاخذة فى بـاب ما يلومه فيه الكفارة و ليس لحـديث النفس فى ذلك مـدخل و لا يؤاخـذ المرء بحـديث النفس اذا كان على وجه من التمنى فانه يتمنى أن يرزقه اللّه تعالى مال زيـد أو امرأة زيـد اذا مات على الوجه المباح فالمرء الذى يعمل فى ذلك عملا غير محرم لا يكون عليه فى ذلك اثم.

[مسألة]

و سـألوا فيمـا قيـل (إِنَّ الصَّفـا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَـعائِرِ اللَّهِ) فقالوا جعلهما من شـعائر اللّه و ذلك يقتضـى التعبـد ثمّ قال (فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ

يَطَّوَّفَ بِهِما) و ذلك يدل على الاباحة فكيف يصح ذلك. و جوابنا ان فى المتقدمين من قال أن المراد بذلك فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما كانه تعالى بين ان ذلك و ان كان من الشعائر فليس بواجب و فى الناس من قال قد كان المشركون يمنعون من ذلك أشد منع فورد عن اللّه تعالى ازالة هذا المنع بقوله (فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما) و لا يمتنع ان ذلك ينصرف الى ازالة المنع من التعبد و يقولون قد صح عنه صلّى اللّه عليه و سلم انه قال اسعوا فان اللّه كتب عليكم السعى و قوله (وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ) عقيب ذلك كالدلالة على ان ذلك تعبد لكنه يقوى الوجه الأول فى انه ليس بواجب.

و بعد فان رفع الجناح يقتضى ان ذلك ليس بقبيح ثمّ الكلام كيف حاله هل هو واجب أو ليس بواجب يقف على الدليل فليس فى الآية تناقض كما زعموا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶

[مسألة] و سألوا عن معنى قوله (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) فقالوا كيف جعل له أن يقصر فى حقها لمكان اليمين.

و جوابنا انه تعالى منع من ذلك بقوله (فَإِنْ فاؤُ) فان المراد فان فاءوا فيها و خالفوا ما اقتضاه يمينهم فان اللّه غفور رحيم فمنع الزوج من أن يفعل ما يقتضيه يمينه فالأمر بالضد مما سألوا عنه و المراد بقوله فان فاءوا العود الى خلاف ما منع نفسه منه باليمين و أباح له مع ذلك الطلاق اذا أراد بشرط أن لا يقصد الى مضارتها لمكان اليمين ثمّ بين انه ان طلق فعلى المطلقة العدة و بين تلك العدة فبين ان فى حال العدة لبعولتهن الرجعة ان أرادوا بذلك. و بين ان بعد الرجعة لهن حق كما أن عليهن حقا فبين كيف يطلق المرأة و كيف يخالع امرأته عند المضارة فبين فى الطلاق الثلاث انها تحرم الا بعد زوج و ان ذلك مخالف للطلقة و الطلقتين.

فبين تعالى ما فيه الرجعة مما لا رجعة فيه. و بين ان هذه الحدود متى لم يتمسك المرء بها عظم اثمه ثمّ بين فى هذه الآيات ما يلزمه من أدب الدين فى أحكام الزوجات و أحكام الرضاع و أحكام العدة و غيرها الى قوله (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى فاكد وجوب المحافظة على هذه الوسطى و لم يبينها فربما يكون ترك بيانها أصلح كما نقول فى ليله القدر لانها اذا لم تبين مفصلة يكون المرء أقرب الى ما يلزم فى حق عبادته و ان كان العلماء قد اختلفوا فى ذلك فذكروا الصبح و الظهر و العصر و ذكروا المغرب و الذى يقوى فى الخبر هو العصر.

[مسألة]

و قالوا كيف يقول (وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ) ثمّ يقول (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً). و جوابنا أنه فصل تعالى بين حال الأمن و بين حال الخوف الشديد لكن يتمسك المرء بالمحافظة و ان لم يتمكن من القيام و التوجه فى سائر الأركان كما يجب فقد روى فى الخبر ان المراد بقوله (فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً) مستقبلى القبلة و غير مستقبليها اذا كان حال

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷

المسايفة و المحاربة و لذلك قال تعالى (فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ) أى كما حده و بينه من أركان الصلاة.

[مسألة]

و ربما قيل ما حده اللّه تعالى فى المعتدة عن وفاة زوجها من الحول الذى بينه فى قوله (وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ) كيف أن يكون منسوخا بقوله (وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً) مع أنه المتأخر فى القرآن فكيف يجوز فى المنسوخ أن يكون هو المتأخر و معلوم من حال الناسخ أن يكون آخرا و جوابنا انه متأخر فى نظم التلاوة و هو متقدم فى الانزال على الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و هذا هو المعتبر و هذا بمنزلة ما يثبت أن الناسخ فيه مقارن للمنسوخ و ان وجب أن يكون متأخرا. و من أصحابه أيضا أن ينزل تعالى المنسوخ أولا و يتعبد بالتوقف فيه ثمّ يرد الناسخ

فعنده يؤمر بالعمل به ثمّ بالعمل بالناسخ و يكون معهما قرائن و جعل اللّه على النساء الفراق بالموت أو الطلاق أو الفسخ مدة عدم احتياط الانسان فاذا لم يقع الدخول فلا عدة فى الطلاق و تجب العدة فى الوفاة. و جملة العدة تكون فى الوفاة أربعة أشهر و عشرا اذا لم يكن حمل فان حصل الوضع قبلها انقضت العدة به و فى الطلاق بانقضاء أيام الحيض و هى ثلاث حيض و اذا لم يكن الحيض ممكنا فبالشهور و هى ثلاثة أشهر فى الحرائر و فى الاماء على النصف من عدة الحرة و كل ذلك ما لم يكن حمل فاذا كان فالعدة تنقضى بوضع الحمل و قد بين اللّه تعالى كل ذلك و بين أيضا ما يجب للزوجات من نفقة و غيرها.

[مسألة]

و قوله (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) و هو أمر بالاعتداء و كيف يجوز ذلك و الاعتداء قبيح. و جوابنا انه تعالى أجرى اسم الاعتداء على ما هو مقابل له من الجزاء كقوله (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸

(سَيِّئَةٌ مِثْلُها) و لا يجوز عليه تعالى أن يأمر بالاعتداء مع قبحه.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ) كيف يصح أن يريهم ذلك فى الآخرة.
و جوابنا أنه يحتمل أن يريهم ذلك فى الصحف و يحتمل أن يريهم ثواب عملهم من الجنة لو كانوا لقد أطاعوا فاذا صرف ذلك الى غيرهم كثرت حسراتهم.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ) و كيف يصح ذلك و يتعالى اللّه عن جواز الاتيان عليه. و جوابنا ان المراد إتيان الملائكة أو متحملى أمره كما قال تعالى فى سورة النحل (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) و هذا كقوله (وَ جاءَ رَبُّكَ) و المراد رسل ربك.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا) و لا يجوز عليه أن يزين الكفر. و جوابنا انه لم يقل من الذى زين و المراد الشياطين و غيرهم ممن يحسن ذلك للكفار و يحتمل ان يراد ان اللّه تعالى زين الحياة الدنيا بالشهوات ليكون المكلف بالامتناع من ذلك مستحقا للثواب و هذا يكون من قبل اللّه تعالى لكنه يضيف الى ذلك النهى و الزجر و لذلك قال (وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ).

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ) و معلوم فى الثلاثة و السبعة انها عشرة فأى فائدة فى ذلك و جوابنا ان المراد انها كاملة فى الاجر لانه كان يجوز ان يقدر ان الهدى أعظم أجرا من هذا الصيام اذا لم يجد الهدى فبين تعالى انه مثل ذلك فى الاجر و يحتمل أن يكون المراد أن أجرها فى الكمال كأجر من أقام على احرامه و لم يتحلل و لم يتمتع و قد قيل ان المراد أن صوم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹

السبعة و ان فارق صوم الثلاثة فهو كامل كما يكمل لو اتصل. و قيل ان المراد بكاملة مكملة فكأنه قال تعالى فاكملوا صومها و قيل إن المراد قطع التوهم بوجوب شيء آخر بعدها.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) و لا اتصال لذلك بما تقدم. و جوابنا ان المراد انه سميع لقول القائل عليم بفعله رغب بذلك في الجهاد و القيام به كما يجب.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) و عندكم قد هدى اللّه كل الخلق.
و جوابنا أنه خصهم لما اختصوا بان قبلوا و عملوا كقوله في أول السورة (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) و لا و لا يجوز عليه عندكم ذلك. و جوابنا ان قوله لو يدل على نفي ما ذكر فدل بذلك على انه تعالى لا يشاء ما يكون قبيحا من العنت و غيره.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله في قصة طالوت (وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ) و عندكم ان الملك في الظلم لا يكون من قبل اللّه تعالى.
و جوابنا أن المراد بالملك الاقتدار و النعمة و الرأي الصادر عن العقل و كل ذلك من جهة اللّه أما نفس الظلم فلا يكون من فعله و هو سيئة.

[مسألة]

و ربما قالوا في قوله عز و جل (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) ان ذلك يدل على ان كل غلبة من المحاربين من قبل اللّه.
و جوابنا ان الاذن قد يراد به التخلية و ذلك يكون من تنزيه القرآن (۴)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۰

قبله تعالى لأنه لا يأمر بما يقبح فأما الغلب في الجهاد فانه من قبل اللّه من حيث وقع بأمره و ترغيبه.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (قالُوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ) كيف قطعوا بذلك و هو حكاية عن طالوت و الذين آمنوا معه. و جوابنا ان المراد بذلك انه لا طاقة لنا الا من قبله على وجه الاتكال على اللّه تعالى و اضافة الحول و القوة اليه و قد قيل ان ذلك هو من قول أهل الشرك فيهم لا من قول المؤمنين.

[مسألة]

و ربما قیل کیف قال تعالی (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ) و کیف قال (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) أو ما یدل ذلک علی انه یرید القتال من الکفار أیضا و انه لم یرده من المؤمنین.

و جوابنا أن المراد مشیئة الا کراه و المراد لو شاء اللّه أن یلجئهم فلم یقتتلوا لکن لم یشأ ذلک بل مکن من الأمرین تعریضا للثواب و قیل ان المراد بذلک و لو شاء اللّه أن لا یقتتلوا بسلب عقولهم لفعل ذلک لکن اختلفوا لما أعطاهم العقول فی القدر و لما اختلفوا فلو شاء اللّه أیضا ما اقتتل الذین من بعده بأن یمنعهم من القتال بالقتال.

[مسألة]

و ربما قیل إن قوله فی قصة طالوت (رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً) یدل علی ان الصبر من قبل اللّه و أنتم تقولون انه من فعل العبد.

و جوابنا انهم سألوا من الألطاف فیقوی نفوسهم علی الصبر علی القتال کما ذکرناه فی قوله (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ).

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالی (اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ) و قالوا ان ذلک یدل علی ان الاسلام من فعل اللّه فیهم. و جوابنا ان ذلک کقوله (وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُماتِ)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۱

و معلوم انهم لم یفعلوا فیهم الکفر لکنهم رغبوا و دعوا الی ذلک فالمراد انه تعالی یخرجهم من الظلمات الی النور بالالطاف التی یفعلها فی هذا الباب و الاخراج من الکفر و الایمان فی الحقیقة لا یجوز و انما یذکر علی وجه المجاز و التشبیه فی انتقال الأجسام.

[مسألة]

و ربما قالوا ان قوله تعالی (وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) یدل علی انه تعالی عالم بعلم و أنتم تقولون أنه عالم بذاته. و جوابنا ان المراد بذلک المعلومات و لذلک قال (إِلَّا بِما شاءَ) فأدخل فیه ما یدل علی التبعیض و ذلک لا یتأتی الا فی المعلومات.

[مسألة]

و ربما قالوا کیف قال (وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) أ فما یدل ذلک علی انه یستوی علی الکرسی. و جوابنا ان المراد بهذه الاضافة انه مکان لعبادة الملائکة کما یقال فی الکعبة إنها بیت اللّه و قد قیل ان المراد بالکرسی العلم و القدرة و الاول أصح أراد تعالی أن یبین قدرته علی العظیم من خلقه لتعلم بذلک قدرته علی ما عداه.

[مسألة]

و ربما قیل ان قوله (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتی یدل علی جواز الشک علی الأنبیاء فی مثل ذلک. و جوابنا أن طلبه لذلک أن یریه ذلک عیانا من غیر تدریج کما یخلق تعالی الحی من النطفة و العلقة لا انه لم یعرف اللّه فطلب زیادة شرح الصدر و لذلک قال (بَلی وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) ان قوله بعد قول ذلك الكافر (أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ) يدل على ان ابراهيم انقطع في القول الأول و ذلك لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۲

يجوز على الانبياء. و جوابنا في ذلك من وجوه (أحدها) ان خصمه المنقطع لان ابراهيم عليه السلام أراد إحياء من لا حياة فيه فلم يكن له في ذلك حيلة و ادعى الاحياء على وجه التبقية و مع ذلك زاده بيانا آخر لا يمكنه التمويه فيه (و ثانيها) انه أراد اثبات الالوهية بأمر لا يصح منا و ذكر إحياء الميت لدخوله في هذه الجملة فاذا عدل الى ذكر الشمس و طلوعها فانما عدل عن مثال الى مثال لأن الأمثلة تذكر للايضاح (و ثالثها) انه بين له انه لم يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب مع ان ذلك من جنس الحركات التي يقدر العبد عليها فكيف يصح منه ما ادعاه في إحياء الميت (و رابعها) أنه استأنف له حجة أخرى لما انقطع في الاول و ادعى ما هو خارج عن طوق الاحياء (و خامسها) أن المحاجة من الأنبياء تقع على طريقة الاستدعاء فلهم ان يؤدوا حالا بعد حال ما يكون أقرب الى الاستجابة و لا يقع ذلك على طريقة المناظرة، و اذا كان اللّه تعالى نبه المكلفين بذكر الأدلة على وجه التحقيق يكلهم بذلك الى التدبير و التفكر.

فالأنبياء صلى اللّه عليهم مثل ذلك بحسب ما يغلب في ظنهم من تأثيره فيمن يخاطب بذلك فلذلك قال تعالى بعده (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) لانه في الفصل الثاني تحير و لم يتمكن من إيراد شبهته كما أورد في الفصل الأول (فان قيل) فلو إنه قال لإبراهيم صلّى اللّه عليه و سلم عند قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ) إن كان اللّه تعالى يأتي بها من المشرق فليأت بها من المغرب فكيف يكون حاله (قيل له) لو قال ذلك يسأل ربه أن يأتي بها من المغرب حتى يصير مشاهدا لها و قوله تعالى بعد ذلك (وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يدل على أنه أراد بالهداية الاثابة أو طريقة الجنة أو الألطاف التي هي زيادات الهدى فان الهدى الذي هو الدلالة قد هدى به الظالمين كما هدى به المتقين. و في هذه الآية دلالة على بطلان التقليد لانّ الأنبياء صلّى اللّه عليهم و سلم اذا لم يقتصروا على قولهم بل استعملوا المحاجة مع خصومهم فكيف يسوغ لأحد في الديانات التقليد.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۳

[مسألة] و ربما قيل ما فائدة قوله في الذي (مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ) و أي معنى في هذا السؤال. و جوابنا التنبيه على قدرته تعالى لانه ظن انه لبث يوما أو بعض يوم فأراه اللّه تعالى في أمر الطعام و الشراب و الحمار ما عرف به قدرته و لا يجوز في جوابه أن يحمل الا على الظن لأن الميت لا يعرف مقدار ما بقي ميتا إلا ان أحياه اللّه و كل ذلك يظهر و يكون معجزة لبعض الأنبياء.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى كيف يبطل ذلك. و جوابنا ان المراد بطلان ثوابها بما يقع من المتصدق من المنّ عليهم و أذية قلوبهم نحو أن يقول المتصدق للفقير ما أشد إبرامك و خلصنا منكم اللّه الى ما يجري هذا المجرى فأدب اللّه تعالى المتصدق بأن لا يكسر قلب الفقير فكما أحسن في الفعل يحسن في القول و لذلك مثله (كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً) و أدب أيضا بقوله (وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) لان ما ينفق للّه و طلبا للثواب يجب أن لا تكون منزلته دون منزلة ما يتلذذ به في الدنيا و هذا تأديب حسن. و أدب أيضا بقوله (الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) فيبعث على البخل و ترك الصدقة (وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا) فيبعثكم على الصدقة و على خلاف الفحشاء و المعاصي. و بعث اللّه تعالى أيضا على إخفاء الصدقة بقوله (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) و العلماء يقولون ان الأولى في الواجب أن يظهر و فيما عداه أن يكتم فيكون أقرب الى أن يكون مفعولا لذات اللّه تعالى.

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم (لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۴

اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) مع أن اللّه تعالى بعثه هاديا و مبينا. و جوابنا ان المراد ليس هو الدلالة لان اللّه تعالى قال (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) بل المراد اللطف لان ذلك ليس فى مقدوره صلّى اللّه عليه و سلم و لا يعلم الحال فيه فلذلك قال (وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) و يحتمل ان يريد به الثواب لان ذلك فى مقدوره تعالى، فقد كان صلّى اللّه عليه و سلم يغتم اذا لم يؤمنوا فبين ان ان ذلك ليس اليه.

[مسألة]

و ربما قيل ان قوله (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ) كيف يصح ذلك و عندكم ان الشيطان لا يقدر على مثل ذلك. و جوابنا إن مس الشيطان إنما هو بالوسوسة كما قال تعالى فى قصة أيوب (مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ) كما يقال فيمن تفكر فى شيء يغمه قد مسه التعب و بين ذلك قوله فى صفة الشيطان (وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) و لو كان يقدر على ان يخبط لصرف همته إلى العلماء و الزهاد و أهل العقول لا الى من يعتريه الضعف و اذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة فتغلب عليه المرة فيتخبط كما يتفق ذلك فى كثير من الانس اذا فعلوا ذلك بغيرهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى فجعل العلة ما يعترى من النسيان و ذلك قائم فى الرجلين أيضا فكيف يقتصر عليهما فى الشهادة و جوابنا ان الأغلب فى النساء لنقصهن جواز النسيان و ليس كذلك فى الرجال فلذلك فصل بين الامرين.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۵

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) ان هذا يدل على جواز تكليف ما لا يطاق و الا لم يكن لهذه المسألة معنى. و جوابنا ان مسألة الشيء لا تدل على أن خلافه يحسن أن يفعل يبين ذلك قوله تعالى (قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) و لا يجوز أن يحكم بغيره و قول ابراهيم عليه السلام (وَ لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) و لا يجوز أن يخزى اللّه تعالى الانبياء فبطل ما ذكرته و بعد فيجوز أن يكون المراد بذلك (وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) من العذاب فى الآخرة و الطف بنا حتى ننصرف مما يؤدى الى ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۷

سورة آل عمران

[مسألة]

ربما قيل اذا كان فى القرآن ما يخالف ما فى التوراة و الانجيل من النسخ و غيره فكيف يقال (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ). و جوابنا ان الناسخ به لا يكون مخالفا لان المنسوخ تعبّد به فى وقت و الناسخ تعبّد به بعد ذلك الوقت فلا خلاف فيه و فى شريعتنا ناسخ و منسوخ و ليس ذلك بموجب ان لا يصدق بعضه بعضا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ) أ فما يدل ذلك على ان ننظر فيهما كما ننظر فى القرآن و جوابنا ان من عرف تلك اللغة و أمن التحريف يحسن منه أن ينظر فيهما لكنه لا يجب من حيث كان العقل و القرآن يغنى عن ذلك و انما يمنع من النظر فيها لما يجرى من التحريف الذى لا يميزه مما لا تحريف فيه.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله (هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ) كيف يجوز أن ينزل ما يشتبه و المراد البيان. و جوابنا ان ذلك ربما يكون أصلح و أقوى فى المعرفة و فى رغبة كل الناس فى النظر فى القرآن اذا طلبوا آية تدل على قولهم و يكون أقرب اذا اشتبه الى النظر بالعقل و مراجعة العلماء و هذا يجوز ان يعرف المدرس انه اذا ألقى المسألة الى المتعلم من دون جواب يكون أصلح ليتكل على نفسه و غيره.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۸

[مسألة] و ربما قيل فما معنى قوله (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) كيف يجوز فى بعض القرآن أن لا يعلمه العلماء و انما يؤمنون به و قد أنزله اللّه بيانا و شفاء. و جوابنا ان فى العلماء من يتأوله على ما تؤول اليه أحوال الناس فى الثواب و العقاب و غيرهما فبين تعالى انه جل جلاله يعلم ذلك و هو تأويله و ان الراسخين فى العلم يؤمنون بجملة ذلك و لا يعرفونه و لم يمن بذلك الأحكام و التعبد و هذا كقوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ) و أراد به المتأول و قال بعض العلماء المراد ان الراسخين يعلمون أيضا و هم مع ذلك يؤمنون به فيجمعون بين الامرين بأنه قد يعلم معنى الكلام من لا يؤمن به و قد يؤمن به من لا يعلم معناه بقوله تعالى (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) أى و الا الراسخون فى العلم و يقولون مع ذلك (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) و كلا الجوابين صحيح و بيّن تعالى ان من فى قلبه زيغ يتبع المتشابه كاتباع المشبهة و المجبرة ظاهرة ما فى القرآن فذمهم بذلك. و الواجب اتباع الدليل و ليس فى المتشابه آية الا و يقترن بها ما يدل على المراد. و العقل يدل على ذلك فاللّه تعالى جعل بعض القرآن متشابها ليؤدى الى اثارة العلم و الى أن لا يتكلوا على تقليد القرآن ففيه مصلحة كبيرة. و قد قيل ان المراد لا يعلم تأويله على التفصيل عاجلا أو آجلا الا اللّه تعالى و ان كان الراسخون فى العلم يعلمون ذلك على الجملة دون التفصيل.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله فى أول السورة (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ) و يقولون انه تعالى ذكر ذلك ثمّ كرره بقوله (وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ) و أنتم تمنعون من مثل هذا التكرار فى كتاب اللّه تعالى. و جوابنا ان المعنى و الغرض ذا اختلفا لم يكن تكرارا ففى الاول بين انه أنزل الكتاب بالحق و أنه مصدق لما بين يديه من الكتب و فى الثانى ان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۵۹

التوراة و الانجيل كما جعلهما هدى للناس كذلك الفرقان جعله هدى و مفرّقا بين الحق و الباطل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) ما فائدة الشهادة منه تعالى و من لا يعلم و يعرف بصفاته و عدله لا يوثق بقوله؛ و كذلك شهادة الملائكة فما الفائدة فى ذلك. و جوابنا أنه تعالى قد نبه على طريق معرفته فى مثل قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ

الَّذِی خَلَقَکُمْ) و فی آیهٔ المحاجهٔ لإبراهیم صلّی اللّه علیه و سلم و غیر ذلک فأراد تعالی أن یحقق التوحید بذکر شهادهٔ الملائکهٔ و العلماء و مثل ذلک بعد البیان یکون مصلحهٔ و لیس المراد بذلک الشهادهٔ التی هی مثل البینات فی الحقوق بل المراد التنبیه علی وضوح الشیء و وضوح أدلته و بعث السامعین علی تأمل طریقته.

[مسألهٔ]

و ربما قالوا فی قوله تعالی (رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا) ان ذلک کالدلالهٔ علی أنه یزیغ قلوب البعض من العباد و انه یصرفهم عن الهدی.
و جوابنا ما تقدم من أن السائل قد یسأل ما المعلوم أنه تعالی لا یفعل خلافه فلیس فی هذه المسألهٔ دلالهٔ علی أنه تعالی یفعل ببعضهم زیغ القلب کما لیس فی قوله (رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ) دلالهٔ علی انه یحکم بالباطل و المراد انهم سألوا أن یلطف بهم فی أن لا یزیغ قلبهم بعد الهدی لأن المهتدی قد یحتاج الی الالطاف لیثبت علی ذلک و یزداد هدی الی هدی.

[مسألهٔ]

و ربما قالوا فعلی هذا التأویل سألوا اللّه تعالی أن یلطف لهم فی أن لا یزیغ قلبهم عن الهدی و هو اللطف فیجب فی قوله (وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً) أن یکون تکرارا لأنّ الاول أیضا رحمهٔ و نعمهٔ. و جوابنا ان المسألهٔ الاولی هی اللطف فی باب الدین و الثانیهٔ فی التفضل فی المعجل فی مصالح الدنیا فالمعنی مختلف.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۰

[مسألهٔ]

قالوا لم ذکر تعالی فی قوله (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِآیاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ) و لا تعلق لوصفه تعالی بأنه سریع الحساب بقوله و من یکفر بآیات اللّه فکیف یصح ذلک. و جوابنا ان المراد بالحساب المجازاهٔ علی ما یأتیه المرء لان العلماء فی الحساب مختلفون فمنهم من یقول المراد به بیان ما یستحقه المرء علی عمله و منهم من یقول بل المراد نفس المجازاهٔ و علی الوجهین جمیعا للثانی تعلق بالأول فکانه قال (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِآیاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ) المحاسبهٔ له و لغیره فیظهر ما یستحقه و یحل به و هذا نهایهٔ فی التهدید و فی بیان العدل لانه تنبیه علی ما ینزل به من العقاب فهو بحسب ما یستحقه لانه یفعل به علی وجه المجازاهٔ و لذلک قال تعالی بعده (وَ اللَّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ) لما کان من باب التفضل.

[مسألهٔ]

و ربما سألوا عن قوله (إِنَّ الَّذِینَ یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ) ما الفائدهٔ فی ذکر قتل الأنبیاء بعد الکفر و قتل المؤمنین و معلوم انهم یستحقون العقاب علی کفرهم و ان لم یفعلوا شیئا من ذلک. و جوابنا ان ما بشر به من العذاب لا یجب أن یرجع الی مجموع ذلک بل یرجع الی کل خصلهٔ منه فکأنه قال (إِنَّ الَّذِینَ یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ) فکمثل ذلک فلا یدل ذکر الکل علی ما ذکره لان الوعید راجع الی کل واحد و قد قیل ان الآیهٔ نزلت فی الیهود الذین کان سلفهم بهذه الصفات.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ اللَّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ) إنه یقع من العباد فکیف أضافه اللّه الیه. و جوابنا ان النصر قد یقع من العباد

بعضهم على بعض و الأكثر منه ما يقع من اللّه بأمور يفعلها فتقوى
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۱
القلوب عندها فى الجهاد و غيره.

[مسألة]

و قالوا فى قوله (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ) الخ: اذا كان تعالى زينه فكيف يعاقب العبد على ما زينه له. و جوابنا انه تعالى لم يذكر من الذى زين فيحتمل أن يريد من يدعو الى المعاصى من شياطين الانس و الجن و يحتمل أنه تعالى زين لهم بالشهوات و خلق المشتهى لكنه يضم الى ذلك فيما هو معصية التخويف و الوعيد و ذلك مما يحسن و لذلك ذكر المال و الخيل و الأولاد ثمّ قال فى آخره (ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) فرغب فى الآخرة العاقبة و زهد فى العاجلة فلهذا تأولناه على ان المراد ما جبل العباد عليه من الشهوات و اللذات و لذلك قال بعده (قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ) ثمّ وصفها بما ذكره بعده و أضاف الى ذلك رضوان اللّه تعالى ثمّ اتبعه بقوله (وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ) ليتصور المرء فى كل ما يأتيه أنه تعالى مطلع عليه و ذكر فى وصف الجنة (وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ) و المراد بذلك انهن مطهرات مما ينفر فى الدنيا من حيض و غيره و قيل من الذنوب و الاول أقرب لأن فيهن من لم يكلف، و من كلف منهن فليست الحال حال تكليف فيذكر ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ) كيف يكون العلم و حصوله طريقا للاختلاف المذموم. و جوابنا ان من علم فعاند و بغى فذلك يكون عقابه أعظم فيحتمل أن يريد بذلك أهل الكتاب الذين عرفوا فعاندوا، و لذلك خص اللّه تعالى أهل الكتاب بالذكر، و يحتمل أن يكون المراد بقوله (مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ) الدلالة و ما هو طريق العلم لان من قصر فى النظر فيه يعظم عقابه و يوصف بأنه قد بغى فى ذلك.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۲

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ) فيقولون كيف يبطل بذلك محاجتهم. و جوابنا ان المحاجة اذا كانت بغير الحجاج لا تدفع الا بمثل ذلك فاذا كان النبى صلّى اللّه عليه و سلم قد بيّن و كرر ذلك البيان ثمّ وقع منهم محاجة صح دفعها بمثل هذا الكلام و الواحد منا اذا بيّن لمن خالف الحق حالا بعد حال لصح من بعد؛ و قد كرر على المخالف أن يقول أنا أتوكل على اللّه و أستسلم له و أسلمك فيما تأتيه الى خالقك و ربما يكون ذلك أوكد و أرفع لباطله ممن أراد الحجاج عليه حالا بعد حال و لذلك قال تعالى بعده (وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ) فنبه بذلك على ان الابلاغ قد تقدم منه صلّى اللّه عليه و سلم حالا بعد حال.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله (قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ) فقالوا أضاف تعالى ملك الملوك الى نفسه و انه يفصل بين الظالم و العادل و قال مع ذلك (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) و الطاعة أجمع من الخير فيجب أن تكون من فعله. فجوابنا أن الأصل فى كل ملك هو العقدة و العقل و التمكين و لا يكون ذلك الا منه تعالى و انما

يختلف حال الملوك فيما عدا ذلك فمنهم من يفعل بعد ذلك أنواعا من أنواع الظلم فيقوى بها. و منهم من لا يتعدى. فاذا حملنا الملك على ما ذكرناه أولا، و هو الاصل فكل ذلك مضاف الى اللّه تعالى، و هو الذى يؤتيه و هو الذى ينزعه فأما العز فلا يكون فى الحقيقة الا ـ من اللّه تعالى؛ على كل حال لان من يعز بالمعاصى فهو ذليل، و لذلك لا يعد الكفر عزا و ان كان بعضهم يعز بعضا بذلك. و بعد فانه تعالى ذكر أولا انه مالك الملك و ان ما يملكه يؤتيه من يشاء و ينزعه عمن يشاء فلا يدخل فى ذلك ما لا يضاف الى ملكه من ظلم الظلمة.

فأما قوله تعالى (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) فالمراد انه لا وصول الى الخير الا باللّه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۳

تعالى و على هذا الوجه نقول فى الطاعات إنها من اللّه لما كان المطيع لا يصل الى فعلها الا بأمور من قبله و قصده بتلك الامور أن يفعل الطاعة فينال الثواب و لذلك قال تعالى بعده (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ) فذكر ما هو كالاصول لمنافع الخلق و سائر ما يصلون به الى الملك و غيره.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) كيف يصح ذلك و معلوم من حال كثير أنهم يتخذونهم أولياء. و جوابنا ان ذلك بمعنى النهى و لذلك قال بعده (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ) فان قيل فما المراد بهذه الولاية.

فجوابنا انها الولاية الراجعة الى الدين دون ما يتصل بأمور الدنيا، لان للمؤمن معاملة الكافر و معاوضته و معاشرته فى الاكل و غيره و انما يحرم عليه ان يتولاه فى باب الدين بالمدح و بالذب عنه فيما يتصل بالدين.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله (وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) ان المحذّر غير المحذّر منه فكيف يصح ذلك. و جوابنا انه تعالى يذكر نفسه على وجه التأكيد و طريقة اللغة تشهد بذلك و المراد بذلك التحذير من عقوبته ليتوق المرء من المعصية لاجل ذلك، و ذلك معقول فى الشاهد لان الوالد قد يقول لولده و قد نهاه عن العقوق و غيره، و أنا أحذرك نفسى فاتق اللّه فيما تأتى و تدبر و يعنى بذلك المجازاة و التأديب و لذلك قال بعده (وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ) لأن من جملة الرأفة هذا التحذير الذى هو طريق الثواب و زوال العقاب.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ) و ذلك يدل على أنه يخصهم بهذا الفضل؛ و ذلك يوجب أن، فضلهم من قبل اللّه تعالى. و جوابنا ان المراد أنه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۴

اصطفاهم بالنبوة و الرسالة و ذلك لا يكون الا من قبله تعالى و ان كان جل و عز لا يختارهم إلا لأمور كثيرة كانت من قبلهم و تكون أيضا من قبلهم فيما بعد.

و ربما أورد ذلك من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة. و جوابنا أن المراد بذلك اصطفاهم بالرسالة على عالمى زمانهم، و ذلك لا يتأتى فى الملائكة لأن الملائكة كلها رسل على ما ذكره اللّه تعالى. و اختلفوا فى العالمين فقال بعضهم يدخل فيه كل الخلق و قال بعضهم العقلاء و من هو من جنسهم، و قال بعضهم الناس دون غيرهم لانهم الذين يظهر فيهم الجمع و التفريق و لذلك يقول القائل جاء فى عالم من الناس و لا يقول جاء فى عالم من البقر و كل ذلك يزيل هذه الشبهة خصوصا و قد ثبت بآيات كثيرة أن الملائكة

أفضل كما ثبت أن نبينا صلّى اللّه عليه و سلم أفضل فكما لا يمكن فى هذه الآية أن يقال ان هؤلاء الانبياء أفضل من رسولنا صلّى اللّه عليه و سلم فكذلك ما ذكرناه فى الملائكة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ) انه يدل على أنه جعلها صالحة لانها لم تكن نبية.
و جوابنا أنه تعالى خصها بولادة عيسى عليه السلام من بين سائر الانبياء و ذلك من قبل تعبدها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً) كيف يصح تحرير ما فى البطن.
و جوابنا ان المراد بذلك أنها نذرت أن يكون ما فى بطنها مسلما للّه تعالى ذكرا كان أو انثى موفرا على عبادة اللّه تعالى. و قد كان مثل ذلك من عبادات ذلك الزمان فلذلك قال تعالى (فَتَقَبَّلْ مِنِّي) و لذلك قال (فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً) و كل ذلك لما فى المعلوم من أمر عيسى عليه السلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۵
ما الفائدة فى ذكر ذلك. و جوابنا ان التعبد فيما يحرر من الحمل فى الذكر يخالف التعبد فى الانثى فلذلك قال (وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) فبين حكم الانثى و بين انه مخالف لحكم الذكر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا) كيف يجوز ذلك و ليست نبية و المعجزات لا تظهر الا على الانبياء. فان قلتم ظهر على زكريا فكيف يصح أن يسألها فنقول هو من عند اللّه و عليه ظهر.
و جوابنا ان ذلك من معجزات زكريا فانما قال لها أنى لك هذا لا لأنه لم يعلم أن ذلك من معجزاته لكن ليعرف حالها و ما تعتقده فى ذلك، فلذلك قال تعالى (هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) لأنه عرف منها اليقين فلما أعجبه ذلك سأل اللّه أن يرزقه ولدا فبشره اللّه بيحيى على ما نطق به الكتاب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) كيف يصح ذلك و قد كان هذا الخبر موجودا عند النصارى و غيرهم.
و جوابنا أنه صلّى اللّه عليه و سلم لم يخالطهم مخالطة يقف بها على تفصيل هذه الامور و كان كسائر العرب. فبيّن تعالى انه قد خصه بهذا الغيب ليعرف به صحة نبوته و لذلك قال (وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ) فحكى تفصيل ما كان يجرى فى أمر مريم و ذلك من أعظم معجزاته صلّى اللّه عليه و سلم و ربما قيل فى قوله (إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ) كيف قالت الملائكة لها و ليست بنبية. و جوابنا أنها قالت فى زمن نبى و هو زكريا و ذلك مما يجوز عندنا و على هذا الوجه يحمل ما روى أن جبريل عليه السلام ظهر فى صورة دحية الكلبى بحيث يراه الناس.

تنزيه القرآن (۵)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۶

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى يبشرك بكلمة منه و ما فائدة تسمية عيسى عليه السلام كلمة مع انه جسم و الكلمة لا تكون الا عرضا. و جوابنا أن ذلك في وصف عيسى مجاز عندنا و المراد أنه يكون حجة و دلالة كالكلام و ان كان في العلماء من يحمله على الحقيقة و يزعم أنه مخلوق من كلمة كن فهو اذا كلمة و ربما جعلوه كلمة لا من جنس الكلام و الذى قلناه أصوب.

[مسألة]

و يقال كيف يجوز أن يتكلم في المهد و ذلك مخالف للعادة و كيف يقوى لسان الصبى على الكلام و يتكامل عقله. و جوابنا أنه من حيث خرج عن العادة صار معجزا و انما قواه اللّه على الكلام و أكمل عقله في ذلك الحال و جعل ذلك معجزة لشدة الحاجة في براءة ساحة امه عما كان يذكر عند ولادتها و لو تأخر ذلك لكان مفسدة و متى ظهر ذلك منه و هو صغير كان أقوى في الباب و البالغ انما يكمل عقله و قوته بعد ذلك، فاللّه تعالى هو قادر على ذلك في حال الصغر و انما لا يفعل في غيره الا في حال الكبر للعادة و المصلحة.

فان للآباء مصالح في نشوء الاولاد على هذا الترتيب و لو لا ذلك لكان الصغير كالكبير في جواز كمال العقل و لذلك يختلف كمال العقل فهو في واحد اسرع منه في آخر.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ) لا- يجوز ان يكون عيسى خالقا. و جوابنا انه من حيث اللغة كل من قدر فعله ضربا من التقدير يوصف بذلك و ان كان من حيث الشرع لا يطلق فيه بل يقيد كمالا يقال ان فلانا رب دون أن يقيد بذكر داره و عبده (فان قيل) أ فكان يحيي الموتى كما أضافه اللّه تعالى إليه (قيل) له ليس كذلك لانه تعالى أضاف اليه خلق الطير من الطين و لم يضف اليه الاحياء بل قال و أحيي الموتى باذن اللّه فأضافه الى اللّه لما كان هو المحيي عند ادعائه النبوة و انما أضيف اليه من حيث كان هو السبب في ذلك. و جعل من معجزاته أيضا انه ينبئهم بما يأكلون و ما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۷

يدخرون في بيوتهم لان مثل ذلك لا يعرفه الغائب الا من جهة اللّه تعالى فلذلك قال (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ) كيف يصح مع أن اللّه لم يتوفه بل رفعه اللّه. و جوابنا ان العطف بالواو لا يوجب الترتيب فرفعه اللّه ثمّ توفاه و ذلك جائز أيضا أن يكون توفاه من حيث لم يشعر به ثمّ رفعه فأعاد حياته و ربما سألوا في ذلك عن قوله (وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) و ما الفائدة في ذلك. و جوابنا أن المراد يطهرك من أعمال الكفار و من أحكامهم و من الاضلال بهم على وجه يؤثر في حال النبوّة. و ربما سئل أيضا عن قوله (وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فقيل ما معنى ذلك و معلوم أن من اتبعه لا- شك أنه فوق الكفار. و جوابنا ان المراد أنه جعلهم فوقهم في كثير من مصالح الدنيا لان ذلك هو يصح الاشتراك فيه دون ما يتصل بأمر الآخرة مما لا يصح الاشتراك فيه بين المسلم و الكافر و لذلك قال (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ) فيقال انهم فى الدنيا يتمتعون لا يلحقهم شيء من العذاب فكيف يصح. و جوابنا أن ذلك فى الكفار المخصوصين فى أيام عيسى عليه السلام فلا يمنع أن يلحقهم بعض عذاب الدنيا و لو لم يكن الا الذم و اللعن و الحدود لكان ذلك كافيا فى عذاب الدنيا، و الكفار فى أيامنا قد يلحقهم العذاب من القتل و القتال و من أخذ الجزية الى ما شاكله و اختلفوا فقال بعضهم فى أمراضهم أنها تجوز أن تكون عذابا و ان كان فى العلماء من يمنع ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۸

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) كيف يجوز ان يخلقه ثمّ يقول (كُنْ فَيَكُونُ) و قد تقدم خلقه له و ذلك يتناقض. و جوابنا ان المراد خلق آدم من تراب ثمّ قال له كن حيّا و على سائر الصفات فالذى كونه من حياته و غيرها هو غير الذى خلقه من قبل. و كذلك القول فى عيسى أنه خلق الصورة ثمّ قال له كن على هذا المثال هذا متى حمل قوله كن على الحقيقة فاما اذا أريد بذلك أنه كوّنه حيّا بعد ان خلق الشخص فلا تناقض فى ذلك و انما بيّن تعالى بأنه مثل آدم أنه مخلوق لا من شيء متقدم يجرى مجرى الاصل له كالنطفة و العلقة لتعرف قدرته على ابتدائه و ليعلم اصحاب الطبائع بطلان قولهم فقد كان فى ذلك الزمان فيهم كثرة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ) كيف ترفع محاجة النصارى فى عيسى اذ قالوا انه اللّه و انه ابن اللّه و محاجة اليهود إذ كذّبوا بولادته من غير ذكر بالمباهلة التى ذكرها اللّه. و جوابنا ان الحجة فى ابطال قولهم اذا ظهرت و لم يقع القبول و علم اللّه تعالى ان فى المباهلة مصلحة لم يمنع ذلك و معلوم ان عند المباهلة و الملاعنة يخاف المبطل فربما يكون ذلك من اسباب تركه الباطل إما ظاهرا و اما باطنا و لذلك قال تعالى بعده (إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) لان ما ينذر و يخوف يوصف بذلك ثمّ قال (وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ) دفعا لقول النصارى فى باب التثليث ثمّ قال (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) ثمّ قال تعالى (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً) دفعا لقول النصارى ثمّ قال (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ثمّ بيّن بطلان قولهم ان ابراهيم كان على ملتهم بقوله (لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۶۹

وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) و بيّن بقوله (فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) ان المقلد و المبطل فى المحاجة مخطئ لانه يحاج فيما لا علم له به و بعث بذلك على النظر فى الأدلة لأن هذا الناظر العالم هو الذى اذا حاج غيره يكون محاجا فيما له به علم.

و بيّن ان أولى الناس بابراهيم من اتبعه و نبينا صلّى اللّه عليه و سلم لأنه على ملته فى الحج و غيره و أنما وصف ابراهيم بأنه كان حنيفا مسلما لأنه كان على هذه الملة و ان كان فى شريعة نبينا صلّى اللّه عليه و سلم زيادات و تفصيلات و فى قوله بعد ذلك (وَدَّتْ طائِفَةٌ

مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) دلالة على ان اللّه تعالى لا يضل عباده و لا يخلق الضلال و الكفر فيهم لانه لو كان كذلك لما نسب الاضلال الى أهل الكتاب و لما نسب اضلالهم الى أنفسهم.

[مسألة]

و يقال كيف قال تعالى (يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ) ثمّ قال (وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) كيف يكونون كفارا بما يشهدون. و جوابنا أن المراد انهم يكفرون بالآيات و هم يعرفونها و يشاهدونها فينصرفون عن النظر فيها و يتبعون الشبهة و التقليد و لذلك قال بعده (لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ) و لا يمتنع انه كان فيهم من يعرف الحق فى نبوّة نبينا صلّى اللّه عليه و سلم و يعاند فقد كان فيهم من علم البشارة بمحمد صلّى اللّه عليه و سلم فى الكتب و كانوا يلبسون ذلك على العامة ثمّ ذكر بعده (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ) يعنى الالطاف و انه يخص بذلك من يشاء فمن المعلوم أنه عند ذلك يختار الايمان. ثمّ بين تعالى بقوله (وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ان ليهم ألسنتهم بذلك من فعلهم لا من خلق اللّه فيهم و لو كان من حق من ينسب ذلك اليه هو اللّه تعالى لوجب أن يقال هو من عند اللّه و لما صح أن يقول تعالى (وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) و نزّه تعالى عيسى عن قول النصارى لقوله (وَ ما كانَ لِبَشَرٍ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۰

(أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ) فان أكثر النصارى يقولون بعبادة عيسى صلّى اللّه عليه و سلم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً) كيف يصح ذلك و قوله (أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) يدل على نفى الاسلام عنهم و قوله (وَ لَهُ أَسْلَمَ) يدل على اثبات الاسلام و هذا يتناقض. و جوابنا ان المراد بقوله (وَ لَهُ أَسْلَمَ) الاستسلام و الانقياد و ليس المراد اختيار الدين و الاسلام فبين تعالى انه قادر على أن يجعلهم كذلك لكنه لا ينفعهم الا اذا اتبعوه اختيارا فلذلك قال طوعا و كرها و أمر نبيه صلّى اللّه عليه و سلم أن يقول (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ) الى قوله (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) فبين انه قد آمن و مع ذلك هو مسلم أى منقاد للّه تعالى على وجه الاختيار و ان هذا هو الذى ينفع، و بيّن بقوله (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) ان الدين كله هو الاسلام و الاسلام هو الدين و ان ما عدا ذلك ليس من الدين و الاسلام و بيّن أن من ليس بمسلم من الخاسرين فى الآخرة.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يقول تعالى (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ) و عندكم أن اللّه قد هدى الكافرين. و جوابنا انه قد هداهم بالأدلة و المراد بهذا الهدى هو الثواب و طريق الثواب و لذلك قال بعده (وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) فخصهم بنفى الهدى عنهم ثمّ بين ما نفاه عنهم بقوله (أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ) فبين انه لم يهدهم الى الجنة بل عاقبهم بهذه العقوبة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۱

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) و قد ينفق المرء ما لا يحبه و يعد فى البر. و جوابنا ان كل ما يخرجه المرء من وجوه البر لا بد من أن يحبه المرء و يريد الانتفاع به و لو لا ذلك لم يستحق الثواب عليه، و يحتمل أن يريد تعالى ترغيب المرء فى أن لاـ يتصدق الا بأحب الأموال و أنفسها كما قال تعالى (وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) و لذلك قال بعده (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجازى بحسب ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله (إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ) و التحريم يكون من قبل اللّه تعالى لا من قبل الانبياء. و جوابنا انه لا يمتنع فى شريعته أن يحرم على نفسه الشىء فيحرم، كما ان فى شريعتنا أن نوجب على أنفسنا أشياء بالنذر فتجب، فهذا أقرب ما يتأول عليه و ذلك لأن سبب التحريم و الإيجاب من قبل العبد و ان كان اللّه تعالى أوجب ذلك و هذا كما اذا أحرم المرء لزمه من المناسك ما كان لا يلزمه لو لا احرامه و ذلك كثير فى العبادات.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۲

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ) و معلوم ان قبله كانت الدنيا و المنازل. و جوابنا ان معنى قوله (وُضِعَ لِلنَّاسِ) ليعبد اللّه عنده فهو أول بيت وضع لذلك و لذلك قال (وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ) فى وصفه و لذلك قال بعده (فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً) و لذلك قال بعده (وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) و هذا من أقوى ما يدل على ان الانسان قادر قبل أن يحج و قبل دخوله فى الحج بخلاف قول المجبرة و القدرية.

[مسألة]

و ربما قيل فلما ذا قال (وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) و ما المراد بذلك و ما الفائدة فى أنه غنى عنهم اذا كفروا و هذه صفتهم لو آمنوا أيضا. و جوابنا ان المراد و من كفر بأن جحد وجوب الحج و قصد هذا البيت و بين بقوله (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) ان ما لزمهم عند هذا البيت انما أوجبه لمصالحهم لئلا يقدر أنه تعالى يوجب لا لهذا الوجه فلذلك أطلق قوله بأنه غنى عن كل العالمين و قد روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ان المسجد الحرام أول مسجد وضع ثمّ المسجد الأقصى و روى أن اليهود فضلت بيت المقدس على الكعبة و فضل المسلمون الكعبة فنزلت هذه الآية تصديقا لقول المسلمين.

[مسألة]

و يقال ما معنى قوله (وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ) و معلوم ان هذين الامرين قد كفر بهما الخلق و هما لا يوجبان ايمان المكلفين فما الفائدة فى ذلك.

فجوابنا ان قوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) هو على التوبيخ و الذم لهم من حيث كفروا مع ظهور آيات اللّه و ظهور أمر الرسول مع ان ذلك يوجب الايمان ايجابا و انما يقتضى أن يختار المرء للايمان و قد ظهرا و اتضحا و لذلك قال بعده

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۳

(وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) و المراد من يعتصم بكتابه و برسله فيعمل بما يقتضيان العمل به (فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) و من لم يفعل فقد ضل و كفر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ) انه يدل على لزوم التقوى فوق استطاعته فقد روى عن بعض من لا يحصل انه منسوخ بقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ). و جوابنا ان حق تقاته لا يكون الا ما يستطيعون لانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا اختلاف بين الآيتين و لذلك قال (وَ لا تَمُوتُنَّ) فان من حق تقاته ان يتمنى المرء حتى يموت مسلما و لذلك قال بعده (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً) فدعا الى الاجتماع أيضا و على التقوى و ترك الاختلاف فيه و لذلك قال بعده (وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) فان من أعظم نعم اللّه زوال التحاسد و التباغض و التنافس عن القوم و لهذا أقوى أمر الرسول صلّى اللّه عليه و سلم لما انقادوا له على عظم محلهم و كان من قبل لا ينقاد بعضهم لبعض و حبل اللّه هو دينه و شرعه و التمسك بكتابه و سنة رسوله و لذلك قال (وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها) و لذلك قال (كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) و المراد لكى تهتدوا فدل بذلك على انه أراد الاهتداء من جميعهم و قوله تعالى بعده (وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) يدل على انه أوجب على طائفة ممن يهتدون بالآيات أن يدعوا الى الخير و يأمروا بالمعروف و ينهوا عن المنكر و انهم المفلحون و هم العلماء الذين يدعون الى اللّه و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلم، العلماء أمناء الرسول على عباد اللّه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ) فيقال أ فما يدل ذلك على

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۴

ان ليس فى المكلفين الا كافر و مؤمن بخلاف قولكم ان بينهما فاسقا لا يوصف بأنه مؤمن و لا كافر. فجوابنا ان ذلك ان دل على ما قلت فيجب أن يدل على أن ليس فيهم الا كافر مرتد لقوله (أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ) و قد ثبت خلاف ذلك و اذا جاز اثبات كافر أصلى لم يذكره تعالى جاز اثبات فاسق لم يذكره تعالى و معلوم ان الموحد المصدق باللّه و رسوله اذا أقدم على شرب الخمر و السرقة و الزنا لا يوصف بأنه مؤمن مطلقا لأن المؤمن هو الذى يمدح و يعظم و هؤلاء يلعنون. و لا يوصف بأنه كافر لأن الكافر هو الذى يختص بأحكام من قبله و غيره و ليس فى اثبات و صفين دلالة على نفى ثالث و اتبعه تعالى بقوله (تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ) فبين انه لا يريد الا الحق و نزّه نفسه عن ارادة الظلم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) كيف يصح ذلك و فى جملة أمته الفساق و من يفسد فى الأرض و من هذا حاله لا يوصف بهذا الوصف. و جوابنا ان ذلك اشارة الى أمة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فى أيامه و المراد ان الخيار فيهم أكثر و التفاضل اذا كان فى جميع لا يراد به كل عين فمتى قيل ان أهل بلد أصلح من أهل بلد آخر لا يراد به ذكر كل واحد بل المراد ما يرجع الى جماعتهم من كثرة خيارهن و بيّن ذلك بقوله (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) و ذلك لا يرجع الى كل واحد. و قد قيل أراد تعالى أهل الصلاح فيهم فلا يدخل من عداهم فيه بدليل قوله من بعد (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ) فبين فى هذه الآية انها خالصة عن الشر بخلاف أهل الكتاب و فى قوله (وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ) ما يدل على صحة الجواب الاول فنبه بأن الاكثر منهم فساق بخلاف هذه الامة التى الاكثر منها أهل الخير و يقوى من يقول بالوجه الآخر قوله تعالى (لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۵
(يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) فدل ذلك على ان المراد بالاول من يختص بالخير دون أهل الشر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) ثمّ قال (مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ) كيف يصح ذلك و المعلوم من حال الكفار انه ينتفع بما ينفقه فى وجوه البر و يكون ذلك تخفيفا فى عقابه. و جوابنا أن المراد بذلك ان ما ينفقه لا يحصل له ثمرته من الثواب و ان كان عقابه أقل من عقاب كافر لم يفعل من البر ما فعله و لذلك قال تعالى بعده (وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) و هذا دلالة على انه تعالى منزه عن الظلم و لو كان هو الذى خلق الكافر و كفره ليدرجه الى النار لما صح هذا التنزيه.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله (لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) و اللّه تعالى قال بعده (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) و ذلك تناقض.
و جوابنا أن المراد لو آمن من لم يؤمن منهم لانه لا يصح الا فيهم و قوله (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) يعنى من تقدم ايمانهم فلا تناقض فى ذلك.

[مسألة]

و ربما قالوا كيف يقول تعالى (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً) و الاذى هو الضرر فكأنه قال لن يضروكم الا ضررا. و جوابنا ان المراد انهم لا يتمكنون الا من الضرر اليسير بما يكون من كلامهم و لذلك قال بعده (وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ) و قال (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) و بين انهم لا يضرون المسلمين الضرر الذى يظنون و انما ينالهم من جهتهم التأذى فالكلام متفق.

[مسألة]

و ربما قيل ثمّ وصف جل و عز أهل الكتاب الى أن قال
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۶
(وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ثمّ قال (لَيْسُوا سَواءً) فما المراد بذلك و قد وصفهم بالكفر و بهذه الصفات. و جوابنا انه لما قصد وصف الكثير منهم بذلك بين انهم يقاربون فى ذلك لئلا يقدر بأن حالتهم واحدة و يحتمل ان بعضهم آمن فلذلك قال (لَيْسُوا سَواءً) و قوله من بعد (مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ) يقوى الوجه الثانى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ) الى قوله (وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) كيف يجوز أن يحبهم مع نفاقهم و جوابنا ان المنافق و الكافر يلزمنا ان نحب صلاحه فى الدين و الدنيا و ان كانوا لا يحبون شيئا من مصالحنا و هذا كما يريد تعالى صلاحهما و ان يلطف لهم و ان كان هم لا يحبون طاعة ربهم و عبادته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) كيف يصح أن يكون محيطا بعملنا و الإحاطة لا تجوز الا على الأجسام و ما يجرى مجراها و جوابنا ان المراد احاطة علمه بما نعمل و ذلك مشبه بالجسم المحيط بغيره فكما ان ذلك الغير لا يخرج عن ما أحاط به فكذلك أعمالنا لا تخرج عن أن تكون معلومة للّه و ذلك من اللّه تعالى ترغيب فى عمل الخير و تحذير من المعاصى.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) كيف يوصف الفضلاء من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بأنهم أذلة و جوابنا انه تعالى نبه بقوله (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ) على ان المراد بقوله (وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) قلة العدد و العدة و الآلات و الخوف من غلبة الكفار و لم يرد الذل الذى يجرى مجرى الذم و النقص و منه يقال لقليل العدد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۷

اذا كان فى مقابلتهم الجيش العظيم انهم أذلة و لذلك قال بعده (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ) فبين انه نصرهم بهم و أخرجهم من أن يكونوا أذلة.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز (أن يمدّهم بثلاثة آلاف من الملائكة) من ان صورة الملائكة بخلاف صورة البشر منا فكيف يصح ذلك و جوابنا انه تعالى يغير خلقهم حتى يكون الظاهر منهم مثل صورة الانس رجالا و ركبانا، و اللّه تعالى قادر على ذلك و بهذا القدر لا يخرجون من ان يكونوا ملائكة لان ما لأجله صاروا ملائكة من الصورة ثابت فيهم.

[مسألة]

و ربما سألوا فقالوا كيف يقال للكفار (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) فيأمر نبيه بأن يبقوا على الكفر لانهم إن لم يبقوا عليه لم يموتوا بغيظ المؤمنين.

و جوابنا ان ذلك بصورة الامر و هو دعاء بهلاكهم كما يقول الانسان لمن يخالف فى الحق مت كمدا و ذلك مشهور فى اللغة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ان ذلك يدل على ان فعل المجاهد خلقه. و جوابنا أن المراد ان مجموع النصر لا يتم إلا بأمور من قبله و ان كان لا بد من سعى المجاهد و هذا كما تقول فى فضل الابن و علمه انهما من جهة الوالد لما كان ذلك لم يتم الا من قبله و لذلك قال بعده (لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) انه قد نفى ان يكون له صلّى اللّه عليه و سلم فعل و صنع و ذلك بخلاف قولكم.

و جوابنا أن المراد أنه ليس له فى تدبير مصالح العباد و ما يكون صلاحا لهم فى الدين شيء لان كل ذلك من قبله تعالى و ليس المراد نفى صنعه و فعله و كيف يجوز

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۸

ذلك و قد نصبه مبشرا و نذيرا و قال (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) و أضاف له الطاعة و مدحه بضروب المدح و قوله تعالى من بعد (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ) يدل على ان المراد بذلك ما قدمنا لانه بين أن صلاحهم يحصل بالتوبة و لا يحصل بمحبته صلّى اللّه عليه و سلم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ) كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين و يقولون فيمن ليس بكافر من الفساق إنه يدخلها و كيف يصح من العباد اتقاء النار و هم يقهرون عليها. و جوابنا أن المراد بقوله (وَ اتَّقُوا النَّارَ) اتقاء المعاصى التى توجب استحقاق عقاب النار و ذلك ظاهر اذا قيل للمرء اتق ربك و اتق السلطان أن المراد اتقاء ما يؤدى الى تأديبهم فأما قوله (أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ) فلا يمنع من كونها معدة لغيرهم لان ذلك الشيء بحكمه لا ينفى ان ما عداه مثله و هذا كقوله تعالى فى وصف النار (وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) و معلوم ان من لا يوصف بذلك من الحور و الاطفال يجنبون النار أيضا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) كيف يصح فى الجنة و هى فى السماء أن يكون عرضها السموات و الارض. و جوابنا أنه قادر فى نفس السماء و الارض أن يزيد فيها أضعافا كثيرة و كذلك يقدر على الجنة التى عرضها كعرض السماء و الارض و زيادة على ذلك. و قوله تعالى بعده (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) و ان كان يدخلها من ليس بمتقى فبطل قولهم انه لما ذكر (أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ) دل على أنه لا يدخلها سواهم ثمّ بين تعالى صفة المتقين الذين يستحقون الجنة فقال (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۷۹

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا) ثمّ قال تعالى بعده (أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) ثمّ قال تعالى بعده (وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ) و كل ذلك ترغيب التمسك بطاعة اللّه و بالتوبة و الانابة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ) فعم ثمّ قال (وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) لما ذا فرق بين الأمرين و عندكم انه بيان للكل و هدى و موعظة للكل. و جوابنا أنه بيان و هدى للكل لكنه تعالى فى كونه بيانا عم و فى كونه هدى و موعظة خص المتقين من حيث تمسكوا به فصار كأنه ليس بهدى و لا موعظة الا لهم كما ذكرناه فى أول سورة البقرة فى قوله (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ) كيف يصح أن يقول ذلك فى الكافرين و كيف يصح أن يقول (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) و اللّه تعالى عالم لم يزل قبل أن يمس القوم القرح الذى ذكره.

و جوابنا أنه تعالى قد قوّى الكافر و مكنه بالآيات و غيرها و أمره و نهاه كما فعل ذلك بالمؤمن و انه خص المؤمن بالالطاف و غيرها فصح لذلك أن يقول فى تلك الايام (نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ) و لذلك قال بعده (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ) و قال (وَ

لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ) فجعل تعالى المداولة محنة على الكافرين و نعمة على المؤمنين و أما (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) فالمراد وقوع المعلوم و نبه بذكر العلم عليه لما كان معلوم العلم يحب ان يكون على ما تناوله العلم و لذلك قال اللّه تعالى بعده (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۰

(يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) فنبه بذكر العلم على وقوع الجهاد منهم لان ذلك هو الذى يستحق به الجنة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) كيف يصح أن يلقى الموت و هو ينظر. و جوابنا أن المراد رؤيته أسباب الموت و مقدماته دون نفس الموت لان الميت لا يتمكن من أن يكيف الموت و يراه و هو كقوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) و المراد به المرض الذى يخاف منه و هو كقوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام (إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) و المراد الاضجاع الذى هو مقدمة الذبح. و ربما سألوا فى هذه الآية فقالوا أ ليس تمنيهم الموت هو تمنى قتل الكفار لهم و ذلك مما يقبح فكيف يصح ذلك. و جوابنا ان الموت غير القتل أو يكون من قبل اللّه تعالى لا من قبل الكفار فيصح أن يتمنوه تخفيفا للتكليف عليهم. فبعث بذلك على الجهاد لكى لا يزهدوا فيه خوف الموت و قد يتمنى ذلك على وجه لا يحصل معه من الثواب ما يحصل بالموت فى الجهاد.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ) ان ذلك لا تعلق له بما تقدم من الترغيب فى الجهاد. و جوابنا ان المروى فى ذلك انهم قالوا لما انهزم أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنه قد قتل فنحن نعود الى ديننا الاول فقال اللّه تعالى (أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ) و قال أيضا (وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) فلما انهزمتم و قد رغبكم اللّه فى الثواب العظيم ان انتم ضربتم و ان أتى القتل عليكم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۱

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا) ان ذلك يدل على ان قتل الكفار لهم يوم أحد من قبل اللّه لا من فعل الكفار. و جوابنا انه تعالى اراد بالاذن العلم و الكتابة و لم يرد الأمر لأن الموت لا يؤمر و لا الميت يؤمر بالموت و يحتمل اذنه تعالى الملائكة بالتوفى و الاماتة و ليس فى الآية ذكر القتل و لو دخل فيها كان لا يمتنع لان المجاهد فى الاكثر يجرح ثمّ تكون الاماتة من قبل اللّه تعالى و فى العلماء من يقول انه و ان دخل فلا بد من وجود الموت من قبل اللّه تعالى فيه و نبه بقوله تعالى من بعد (وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها) على أن اختيار الراحة بترك الجهاد ليس فيها الا النفع المعجل و فى المصابرة على الجهاد ثواب الآخرة فرغب تعالى بذلك فى المجاهدة.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) بعد ذكر الموت و انه لا يكون إلا باذنه تعالى. و جوابنا أنه أراد مجازاة الصابرين على الجهاد و جعل صبرهم على الجهاد شكرا من حيث عبدوه تعالى تقربا اليه و طلبا لمرضاته و هذا كقوله تعالى (اعْمَلُوا آلَ داوُدَ

شُكْراً) فجعل عبادتهم شكرا للّه تعالى لما فعلوه تعظيما له كما يشكر المنعم على وجه التعظيم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ) كيف يصح ذلك و نحن قد نجد فى الذين كفروا من لا رعب فى قلبه و ربما يكون الرعب فى قلوب المؤمنين.

و جوابنا انه لا- كافر يلقى الحرب مع المسلمين الا- و فى قلبه رعب كما ذكره اللّه تعالى لانه لا يرجع فى مقاتلته الى دين يسكن اليه كالمؤمن، و لأن المؤمن يزداد تنزيه القرآن (۶)

لطفا الى لطف و يعرف ذلك عنه الكافر و هذا كقوله (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) و قيل ان ذلك نزل فى كفار مخصوصين يوم أحد و هم الذين قال اللّه تعالى بحقهم (وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) فبين تعالى انه سيلقى الرعب فى قلوبهم فيغلبهم المسلمون.

[مسألة]

و ربما قيل قد قال (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) و ذلك فى يوم أحد و هو كالدلالة على أنه تعالى يفعل فيهم الاقدار و الصرف.

و جوابنا أنه تعالى ذمهم فى قوله (حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ) فأراد انه يوم بدر أراهم ما يحبون لما لم يعصوا و يوم أحد عصوا و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم رتب لهم فى مجاهدة الكفار ترتيبا خالفوه فلما لم يثبتوا فى المحاربة على ما رسمه لهم لم يلطف لهم لاجل المعصية بل شدد التكليف عليهم فجاز ان يقول (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ) و لذلك قال تعالى (لِيَبْتَلِيَكُمْ) أى ليمنحكم بمصالح العاقبة ثمّ قال (وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ) و لو كان الصرف من خلق اللّه تعالى فيهم لم يكن لذلك معنى و انما ضمن لهم النصرة بشرط طاعة الرسول فلما خالفوه و لحقهم بذلك الغم الصارف جاز أن يصفهم تعالى بذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) و فى قوله من بعد (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) ان ذلك يدل على ان لا صنع للعبد. و جوابنا أنه تعالى حكى عنهم ما ذمهم عليه و هو قوله (لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا) فلا دلالة فيما حكاه عنهم فأما قوله تعالى (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) فالمراد به ما يتصل بالنصرة و التمكين و لو لا- ذلك لما أمرهم بالجهاد و لما ذمهم على تركه و لذلك قال بعده (يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ) فنبه على انه تعالى يعلم من حالهم ما لا يعلمه صلّى اللّه عليه و سلّم و قوله تعالى بعد ذلك (وَ لَوْ)

(كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) ترغيب للرسول صلّى اللّه عليه و سلم فى جميل الاخلاق ليكون قبولهم أقرب و يدل على أن صرفهم فعلهم لانه لو كان خلقا من اللّه فيهم لما صح ان يقول (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) لانه لا يصح منا أن نشاور فيما يخلقه تعالى و لما صح قوله (فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) و لما صح قوله (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ) لان ما يوجد فى الغالب و المغلوب هو من قبل اللّه تعالى.

[مسألة]

و ربمـا قیـل فی قوله تعـالی (وَ ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَغُلَّ) کیف یصـح ذلک علی الانبیاء. و جوابنا ان المراد ما کان له أن ینسب إلی ذلک فی إحدی القراءتین و فی القراءة الاخری ما کان له ان یفعل فنزهه عن الأمرین.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً) کیف یصح ذلک و قد قتلوا و ماتوا. و جوابنا ان المراد شهداء یوم أحد بین تعالی أنه قد أحیاهم فلا ینبغی أن یظن فیهم انهم أموات و ذلک صحیح و قد قال بعضهم مثل ذلک فی کل الشهداء اذا ماتوا علی توبة و طهارة.

[مسألة]

و ربمـا قیـل فی قوله (وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً) کیف یصـح أن یبقیهم لتقع منهم المعاصـی. و جوابنـا أن المراد عاقبـة أمرهم و ذلـک کقوله تعـالی (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) و الا فمراده من جمیعهم العبادة و الطاعة کما قال تعالی (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ).

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۴

(قـالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیـاءُ سَنَکْتُبُ ما قالُوا) کیف یصـح ذلک ممن یـدین بالإله أن یقول ذلک. و جوابنا أن حکایـة اللّه تعالی عنهم و قـد ثبتت حکمته لا طعن فیه فمن سـلم حکمته فلا کلام له و ان لم یسـلم دللنا علی الأصل و لم نتکلم فی الفروع فقد کان فی العرب علی مـا ذکره اللّه تعالی فی سورة الأنعام من یقول ذلک حتی یجعل من الانعام نصـیبا من اللّه و لا یمتنع فی المشـبهة أن یکون فیهم من یقول ذلک فاذا جاز أن یـدینوا بأنه تعالی رمدت عینه فعادته الملائکة الی غیر ذلک لم ینکر ما حکاه اللّه عنهم، و من الیهود من یقول بنهایة التشبیه فیصح أن یکون هذا قوله.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ یُحِبُّونَ أَنْ یُحْمَدُوا بِما لَمْ یَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ) فما الفائدة فی أن کرر قوله (وَ لا تَحْسَبَنَّ). و جوابنا أنه قد حکی ان قوما من الیهود کانوا یفرحون باضلالهم الناس و اجتماع کلمتهم علی تکـذیب الرسول صـلّی اللّه علیه و سـلم و مع ذلـک یقولون نحن ابنـاء اللّه و أحبـاؤه فقوله أولا (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَفْرَحُونَ) أراد به ما ذکرناه أولا و قوله (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ) أراد به ما ذکرناه ثانیا و یصح ایراد ذلک اذا طال الکلام بعض الطول فیکون من باب التوکیـد الذی یحتاج الیه ثمّ ذکر تعالی قوله (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ) و المراد بذلک أن یعتبر الخلـق بـالنظر فی ذلـک و یسـتدلون به علی اللّه تعـالی و قـوله (الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ) یـدل علی ان الواجب علی المرء أن لا یفارق ذکر اللّه تعالی علی اختلاف أحواله و لـذلک قال تعالی (وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و یقولون (رَبَّنا مـا خَلَقْتَ هـذا باطِلًا) و لو کان تعالی یخلق الظلم و سائر القبائـح لما صـح ذلک و لما صـح قوله (سُبْحانَکَ) لان معنی ذلک تنزیهه تعالی عن کل سوء کما روی عنه صلّی اللّه علیه و سلم.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۵

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ) كيف يصح أن يسألوا ذلك و خلافه لا يجوز على اللّه تعالى. و جوابنا أن المسألة بالمعلوم أنه تعالى يفعله تحسن اذا كان فيه فائدة للمكلف و على هذا الوجه يقول في الدعاء اللهم صل على محمد و يقول اللهم اغفر للمؤمنين و لذلك قال (فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ) فبين أنه يفعل ذلك و أنه لا يضيع أعمال المكلف بل يجازى عليها على ما فيه من التفاضل و التفاوت و في ذلك اثبات العمل للعبد لانه تعالى لو خلق ذلك لكان انما يجازى على عمل نفسه و اللّه يتعالى عن ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۷

سورة النساء

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ) ما الفائدة في ذكر الارحام مع ذكر اللّه. و جوابنا أنه تعالى ذكر الارحام ليرغب الناس فيما يلزم من حقها و ذكرها مع ذكره إعظاما لذلك و لذلك قال بعده (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) يعلم ما تقدمون عليه في حق عبادته و ما تفعلونه في حق ذي الارحام فهذا هو الفائدة.

[مسألة]

و ربما قيل في معنى قوله تعالى (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) و أى تعلق لهذا بحديث الايتام. و جوابنا أن في الرواية أن من كان يقوم بحق اليتامى كان ربما يطمع في تزوجهن و البسط في أموالهن و يقفون أنفسهم عليهن للطمع فأباح اللّه تعالى هذا النكاح من غيرهن و حرم البسط في أموالهن و لذلك قال من بعده (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا) و قال بعده (وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا) و كل ذلك يؤيد ما قلنا و أمر من كان غنيا في أموال اليتامى أن يستعفف و من كان فقيرا أن يأخذ من أموالهم ما يجرى مجرى الاجرة على ما يأتيه من الاحتياط في أموالهم ثمّ قال تعالى (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۸

فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) لان ذلك هو الاحتياط من وجهين أحدهما أن لا يقصر فيما سلف و الآخر ان يعرف حال اليتامى فيما دفع اليهم من افساد و اصلاح.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ) ما الفائدة في ذكر النساء مع الرجال و ذلك معلوم. و جوابنا انهم كانوا من قبل يورثون الرجال دون النساء و كان ذلك عادة له فأنزل اللّه تعالى ذلك ليعلم ان النساء كالرجال في حق الارث ثمّ بيّنه تعالى فيما بعد قطعا لهم عن العادة المتقدمة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ) ما الفائدة فی ذلک و لا حق لهم فی الترکة. و جوابنا أن ذلک کان قدیما مما أوجبه اللّه کما کان تعالی أوجب الوصیة للوالدین و الاقربین اذا لم یرثوا ثمّ نسخ ذلک بآیات المواریث فبین اللّه تعالی فیها حق کل ذی حق و صارت هذه العطیة مندوبا الیها و تکون عطیة من جهة الورثة، و ندب تعالی الی حفظ المال لمکان الورثة بقوله (وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَیْهِمْ فَلْیَتَّقُوا اللَّهَ) و علی هذا الوجه ثبت الحجر بالمرض المخوف لحق الورثة خصوصا اذا کانوا ذریة ضعافا و بین فی آیات المواریث ما أنعم اللّه تعالی به علیهم و ان کان سببه موت المورث فذکر جملة المال و أنه یرثه من له حق التعصیب إما بانفراده و إما مع الاناث، و ذکر فی الانصباء الثلثین و النصف و الثلث و الربع و السدس و الثمن فهذا جملتها التی یقع علیه القیمة فی المواریث ثمّ قال تعالی معظما للتعدی فی ذلک (تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) (وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِیها) فأوجب النار لمن تعدی فیما یتولی جل و عز قسمته.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۸۹

[مسألة]

و ربما قیل کیف أوجب تعالی فیمن یأتی الفاحشة من النساء الامساک فی البیوت و قد أوجب فیهن الحدود و الرجم و کذلک فی اللذین یأتیان النساء أوجب الأذی مع ایجاب الحد. و جوابنا ان ذلک کان قدیما ثمّ نسخ بالجلد و الرجم فالجلد فی البکرین و الرجم فی المحصنین اذا حصلت شرط الاحصان و یوجب تعالی فی العبد النصف من الجلد و ذلک مبین فی کتب الفقه.

[مسألة]

و ربما قیل کیف قال تعالی (وَ لَیْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَتَّی إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ) کیف یصح أن لا تفید هذه التوبة. و جوابنا ان ذلک ورد فیمن أیس من الحیاة لأنه عند ذلک یصیر المرء ملجأ إلی ترک المعصیة و انما یقبل التوبة ممن یتردد بین خوف و رجاء فیشق علیه التوبة، فأما فی حال الإلجاء فذلک لا ینفع کما لا ینفع أهل النار التوبة و الندامة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ کَرْهاً) ما الفائدة فی ذلک و لا یحل أخذ المال من أحد کرها. و جوابنا انه انما خص النساء لما یحصل لهن من الاختلاط بالأزواج حتی یتوهم فی مال أحدهما انه مال الآخر فبیّن تعالی أن ذلک لا یمنع من تحریم أخذ ما لهن من دون الرضا و لذلک قال (وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَیْتُمُوهُنَّ) و المراد بذلک المنع من الطمع فیهن و علی هذا الوجه حرم اللّه تعالی الخلع الا عند ضرب من الخوف علی ما ذکره فی قوله (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما فِیمَا افْتَدَتْ بِهِ).

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ یَجْعَلَ اللَّهُ فِیهِ خَیْراً کَثِیراً) کیف یصح ذلک، و انما یحسن أن یکره ما یکون قبیحا و لا یجوز أن یجعل اللّه تعالی فی القبائح خیرا

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۰

کثیرا. و جوابنا أن المراد بالکراهة فی هذا الموضع نفار الطبع لا الکراهة التی هی فی مقابلة الارادة فذکر اللّه تعالی ذلک فی کراهة

النساء بأن يكون نافر الطبع عن عشرتها و بيّن إن ذلك إذا صبر عليه ربما حصل الخير الكثير فى عاقبته لأن المرء قد يكره بعض النساء فى وقت ثمّ يتفق فيما بعد أن يعظم محبته لهن و انتفاعه بهن فلا- ينبغى لمن تزوج أن يقدم على ما يقتضيه نفار طبعه بل يتوقف و يتبصر لجواز تغير الحال عليه و عليهن فهذا هو المقصود و اللّه أعلم. و يحتمل و عسى أن تكرهوا فراقهن و يكون فى ذلك خير كثير على نحو قوله تعالى (وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ) و لذلك قال تعالى (وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ) و بيّن أن ما يؤتيهن من الصداق لا يحل له أن يأخذ منه شيئا.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله (وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً) كيف يكون أخذه ما أعطاهن من الصداق بهتانا و البهتان من صفات الكلام فهو الكذب و جوابنا انه شبهه بالكذب من حيث كان أخذه كالنقض للعطية و الخلف لها فعظمه اللّه تعالى بأن شبهه بالكذب الذى مخبره على خلاف ما هو به من حيث كان كالمتكفل بالعقد و الدفع اليها بأن لا يأخذ ذلك فاما كونه إثما مبينا فبين، لان وصفه و تجليه و ظهوره مبين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ) كيف استثنى ما سلف من هذا النهى و مثل ذلك يستحيل لأنّ ما سلف لا يصح أن يباح و يحظر. و جوابنا ان النهى يتضمن التحريم و اذا كان محرما بالشرع فى المستقبل و ما سلف جرى على حد الاباحة لم يمتنع ذلك فكانه قال ما نكح آباؤكم من النساء حرام عليكم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۱

الا ما قد سلف فانه وقع مباحا و يكون المعنى صحيحا و قد قيل ان المراد به سوى ما قد سلف، كما يقول الرجل لمن ينهاه عن بيع متاعه بعد ان كان قد أذن له، لا تبع متاعى الا ما بعته و يحتمل أن يكون المراد الا ما قد سلف فلا تؤاخذون به و قوله بعده (إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا) يقوى التأويل الأوّل لانه كانه قال إن ذلك فاحشة دون ما سلف فانه ليس كذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ) أ ليس ذلك يقتضى اباحة سوى من ذكر لقوله و أحل لكم ما وراء ذلكم. و جوابنا أنه قد دخل تحت الأمهات كل من له حظ فى الولادة و ذلك معلوم بالاجماع و ان كان نفس اللفظ لا يوجبه لأن الأم اذا أطلق فالمراد به من لها لولادة خاصة و على هذا الوجه لم يعقل من قوله تعالى (وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ) الجدة فحرم اللّه تعالى على الانسان أمه و كل أم له بواسطة، و حرم عليه ابنته و كل ابنة له بواسطة، و كما حرم عليه ذلك حرم عليه الاخوات و أولادهن و ان كان ذلك بواسطة، و حرم عليه بنات جده من العمات و الخالات و لم يحرم أولادهن فجلة ما حرم من النساء لمكان النسب هذه السبعة و حرم بالنسب أيضا سبعة فحرم حليلة الابن و حرم أمهات نسائه و حرم بنات نسائه و هن الربائب بشرط الدخول بالأم، و حرم الجمع بين الاختين و حرم بالرضاع مثل ما حرم بالنسب فقد روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب و ان كان تعالى انما نص على الامهات و الأخوات و قد ثبت بالسنة تحريم الجمع بين العمة و بنت أخيها و الخالة و بنت أختها و أجرى ذلك مجرى الجمع بين الأختين فهذا هو طريق يبين ما حرم اللّه تعالى من النساء فى عينهن و على وجه الجمع بين ما أحله من ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۲

ان ذلك يدل على ان المتعة تحل كما يحل النكاح. و جوابنا ان من تعلق بذلك فقد اغتر بهذه اللفظة و انما أراد تعالى ان ما أحله من النساء محصنين غير مسافحين فله أن يستمتع و لم يذكر تعالى سبب الاستمتاع في هذه الآية و قد ذكر من قبل في قوله (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) فانما أباح الاستماع بشرط النكاح على ما ذكرنا و لذلك قال من بعد (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) و ذلك لا يليق الا بعقد و قد ثبت فيه الاجر المسمى و لذلك قال (وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) يعنى بنقصان و زيادة و لذلك قال (وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ) فكل ذا يزيل هذه الشبهة و انما ورد في الخبر المتعة و انه صلّى اللّه عليه و سلم أباحه في حال الضرورة ثمّ حرمه و قد حرمه اللّه تعالى في كتابه بقوله (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ) و ظهر عن الصحابة تحريم ذلك فان عمر بن الخطاب خطب بتحريمه على المنبر و أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم متوفرون فصار ذلك كالاجماع و أنكر ذلك على عليه السلام لما بلغه اباحة ذلك عن ابن عباس انكارا ظاهرا و قد حكى عنه رضى اللّه عنه الرجوع عن ذلك فصار حظره اجماعا من كل الصحابة و ذكر تعالى عقيب هذه الآيات التي بيّن فيها ما يحل و ما يحرم من النساء ما يريد من العبادة فقال تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً) فبين انه يريد الهداية و البيان و التوبة و العبادة دون اتباع الشهوات فأبطل بذلك قول من يقول إنه تعالى كما يريد الحسن يريد القبيح تعالى اللّه عن قولهم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۳

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ) كيف يصح أن يأكل مال نفسه بالباطل. و جوابنا ان اللّه تعالى ذكر الاكل و أراد سائر التصرف و يحرّم على المرء في مال نفسه أن يتصرف فيه بالامور المحرمة و أن يسرف في ماله و يبذر و أن يتجر فيه بالربا و غيره فهذا هو المراد فأما أكل مال الغير بالباطل فالامر فيه ظاهر و لذلك قال تعالى (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) كيف يصح ذلك و بالمعاقدة لا يرث المرء. و جوابنا أن ذلك قد كان في أول الاسلام ثمّ نسخ بآية المواريث كما قد كانوا يرثون بالهجرة ثمّ نسخ.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ) كيف أوجب ذلك لأجل انه فضل بعضهم على بعض و لأجل انفاقهم لأموالهم فقد تكون المرأة أفضل من الرجل و أكثر انفاقا. و جوابنا أنه تعالى جعل ذلك علة في جملة الرجال لا في آحادهم لأن الغالب انهم أفضل في التدبير و الرأى و طلب المعاش من النساء في أحوال كثيرة و انهم الذين يتولون الانفاق و العلة اذا صارت للجملة لم يطعن فيها بالأندر في الآحاد و اللّه تعالى جعلهم بهذا الوصف في مقابلة انه جعل النساء حافظات للغيب على الرجال مؤتمنات على ما يتصل

بتدبير المنزل فلكل فريق فى ذلك من الحظ ما ليس للآخر.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح قوله تعالى (وَ اللَّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ) و معلوم أن نشوزهن اذا زال بالوعظ لم يحسن الهجران و الضرب فكيف جمع تعالى بين الثلاثة. و جوابنا أن المراد بذلك الترتيب لا الجمع فمن يؤمل زوال نشوز امرأته بالوعظ لم يحسن منه الهجران و من يرجو ذلك بالهجران لم يحسن منه الضرب و اذا لم يرج زوال ذلك إلا بالضرب على وجه التأديب يحسن منه ذلك، فكأنه تعالى قال فعظوهن و اهجروهن اذ لم ينفع ذلك أو اضربوهن ان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۵

لم يؤثر ذلك و انما صح ذلك لأن مراد المرء فيما يغمه من غيره أن لا يقع ذلك فاذا أمكنه التوصل الى أن لا يقع بالسهل لم يكن له أن يعدل الى ما فوقه و هكذا مذهبنا فى النهى عن المنكر و مثل ذلك يتعلق حسنه باجتهاد المرء فكأنه تعالى بيّن أن الذى يحسن منه عند نشوز المرأة أحد هذه الثلاثة على الترتيب الذى ذكرناه و لذلك قال تعالى (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) فنبه بذلك على ان لا سبيل لكم عليها اذا أطاعت بالموعظة فدل بذلك على صحة ما ذكرناه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً) بعد قوله (فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) كيف تعلق ذلك بهذا النهى.

و جوابنا انه تحذير من هذا الفعل لأن معنى قوله ان اللّه كان عليا كبيرا انه مقتدر على المؤاخذة بما نهاكم عنه و كذلك قوله (كَبِيراً) فحذر تعالى من المخالفة بذكر هذين الوصفين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما) فما يدل ذلك على انه تعالى يفعل فيهما الموافقة و ان فعلهما من خلق اللّه تعالى. و جوابنا ان التوفيق لا يكون الا من قبل اللّه تعالى و هو الأمر الذى يدعو العبد الى الصلاح فعند الشقاق أمر تعالى بالحكمين من قبل الرجل و المرأة ثمّ بيّن ان ذلك معنى و أن بذل الجهد غير التوفيق من اللّه فليس الأمر كما قدروه بل يدل على ان فعل العبد من جهته لأنه لو كان من خلق اللّه تعالى فيه لاستغنى عن التوفيق و لذلك قال تعالى فى هذا التوفيق ان من شرطه أن يريدا اصلاحا لا افسادا ليتخفف ذلك الواقع من قبله تعالى.

[فصل و لما بين لنا ما نعامل به النساء عند الصلاح و عند النشوز و عند الشقاق بيّن، أيضا ما يلزم المرء أن يفعله لصلاح دينه فقال (وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۶

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) و ذلك يجمع كل العبادات و الطاعات التى تختص به ثمّ قال (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) يجمع تعالى بذلك الاحسان الى كل محتاج و ان كان بعضهم أقرب الى المرء كنحو ذى القربى و الجار الجنب و الصاحب بالجنب و ملك اليمين و بعضهم أبعد كنحو اليتامى و المساكين و ابن السبيل فأمر بالاحسان الى الكل ثمّ من بعد ذلك نبه المرء على طريقة التواضع فقال (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً) فهذه الآية جامعة لكل ما يحتاج المرء اليه فتدخل فيه العبادات بكمالها و ضروب الاحسان و الانفاق فى سبيله و المنع من ضروب التكبر و العدول عنه الى التواضع فهو على اختصاره بجمع ما يدخل فى المجلدات الكبار ثمّ قال تعالى (الَّذِينَ

يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) فجعل ذلك من صفات من يكون مختالا فخورا فنبه بذلك على ان الانفاق هو الذى يخرجه من أن يكون فخورا و من أن يكون بخيلا فالذى يخرج من ذلك لا يكتم ما آتاه اللّه من فضله فيرى شكورا معترفا بنعم اللّه قولا- و فعلا- فكل ذلك تأديب من اللّه تعالى فى باب الدين. و بين من بعد كيف ينبغى أن ينفق فى ذات اللّه تعالى فقال (وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا- يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا- بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً) فرغب فى ذلك حتى ختم الكلام بقوله جل و عز (إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) فبين كيف يدبر المكلفين و لا يظلم أحدا منهم حتى يمنعه المصالح و يمنعه الثواب أو يزيد فى عقابه و بين انه فى الحسنات

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۷

يضاعف ثوابها و بيّن أنه يؤتى المرء الاجر العظيم على ما ينزل به من الشدائد و دل بقوله إنه لا يظلم مثقال ذرة على بطلان قول هؤلاء القدرية الذين يقولون لا ظلم الا من قبل اللّه و بخلقه و إرادته. تعالى اللّه عن قولهم علوا كبيرا ثمّ بيّن تعالى أنه صلّى اللّه عليه و سلم يكون شاهدا على أمته بما يقع منهم من خير و شر فحذر بذلك من المعاصى و أن المرء اذا علم ان الرسول صلّى اللّه عليه و سلم مع عظم محله يشهد عليه كان أبعد من المعصية و بين أن شهادته تكون يوم القيامة و ان (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ) فيتمنون أن يبقوا فى التراب و فى القبر لما رأوه من العذاب و يصيرون بحيث لا يكتمون اللّه حديثا حتى تشهد عليهم أيديهم و ألسنتهم بما كانوا يعملون فلو لم يتدبر المرء الا هذه الآيات لكفاه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ) كيف يصح ذلك و السكران لا يخاطب لزوال عقله. و جوابنا ان المراد المنع من السكر الذى لا يمكن اقامة الصلاة معه لا انه اذا سكر يؤمر و ينهى هذا هو الوجه.

و روى عن بعض الصحابة انه جعل ذلك أول دلالة على تحريم الخمر و دل قوله (حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ) على ان الصلاة لا تصح إلا بقول فذلك احد ما يدل على وجوب الذكر و القراءة فى الصلاة و يدل أيضا على ان المصلى يجب ان يكون عالما بصلاته و بقراءته متدبرا لها فلا- يصلى و هو غافل و نهى تعالى الجنب ان يقرب الصلاة الا عابر سبيل حتى يغتسل فدل بذلك على انه متى لم يكن مسافرا لم تصح صلاته الا بالاغتسال و نبه جل و عز على انه اذا كان مسافرا يجوز ان يصلى بلا اغتسال بل بالتيمم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ) تنزيه القرآن (۷)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۸

(وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ) كيف يصح أولا- ان يكون القرآن مصدقا لما معهم و كيف يصح فى الوجوه ان ترد على أدبارها و ذلك يخرجها من أن تكون وجوها. و جوابنا أن القرآن مصدق لكتبهم من حيث فيها البشارة بمحمد صلّى اللّه عليه و سلم و مخالفة شريعتهم لما فى القرآن لا- تمنع من أن يكون مصدقا كما أن ثبوت الناسخ و المنسوخ فى القرآن لا يمنع من ذلك. فأما طمس الوجوه وردها على أدبارها فمن عظيم ما يخوف به المرء من المعصية و لم يقل تعالى انه بعد ردها على ادبارها تكون وجوها لهم و لو قيل ذلك كان لا ينكر لان صورة الوجه اذا لم تتغير اجرى عليه هذا الاسم و بين تعالى من بعد انه لا يغفر ان يشرك به و المراد الاصرار على الشرك ثمّ انه (يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ) و المراد مع الاصرار و اذا صح ذلك فانما أراد أصحاب الصغائر دون أصحاب الكبائر لقوله تعالى (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ) و ليس فى اليهود من يعبد الصنم و يؤمن به فكيف يصح ذلك. و جوابنا انه ليس المراد بالجبت و الطاغوت الأصنام بل المراد به الشيطان و السحرة على ما روى عن الحسن و غيره و المروى عن ابن عباس ان كعب بن الاشرف قال لقريش أنتم خير من محمد و وعدهم بمعونة عليه فقالوا له أنتم أهل الكتاب و لا نأمن ان يكون ذلك خديعة فان أردت أن نثق بقولك فاسجد لهذين الصنمين و آمن بهما ففعل فنزلت هذه الآية «و قد قيل ان المراد به الكهنة و السحرة كقوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت» و بعد فليس فى قوله (أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ) انهم أهل كتاب لان كثيرا ممن بعث اليه موسى و عيسى صلّى اللّه عليهما و سلم يدخلون فى هذا الوصف و ان لم يؤمنوا فلا يدل على ما ذكروه و قد يقال لمن تبع طريقة من يعبدون الاصنام انه يؤمن بها كقوله تعالى (اتَّخَذُوا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۹۹

أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) لما اطاعوهم و كل ذلك يسقط هذه الشبهة.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ) ان ذلك يوجب تعذيب من لم يذنب أو تعذيب بعض من العاصى لم يكن بعضا له فى حال الذنب و يوجب أيضا ان يصير الواحد من أهل النار على الايام فى نهاية العظم بأن يخلق له الجلد حالا بعد حال و كل ذلك لا يحسن. و جوابنا ان المراد بهذا التنزيل انه تعالى يغير ذلك الجلد عن صورة الاحتراق الى صورة الصحة فيقال انه بدل و ان كان الجلد ثانيا هو الذى كان أولا كما يقال فى الماء انه قد تغير و تبدل اذا اذا صار ملحا بعد ان كان عذبا. و قد قيل ان اللّه تعالى يخلق جلدا بعد جلد و لا يوجب ذلك فسادا لان المعذب هو العاصى دون ابعاضه و يصح عندنا ان يعظم اللّه تعالى جسد أهل النار على ما روى فى الخبر و يعذبون و هذا كما يذم و يلعن الكافر و ان صار بعد كفره سمينا و لا يؤدى الى العظم الذى ينكر فانه تعالى كما يخلق جلدا بعد جلد يفنى ذلك حالا بعد حال و لذلك قال تعالى (لِيَذُوقُوا الْعَذابَ) فجعل ذلك عذابا لهم لا للجلد.

[فصل و قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ) يدل على ان العبد هو الفاعل و الا لم يكن لهذا الامر معنى و لا للوعظ فائدة اذا كان تعالى هو الخالق لرد الامانة و للحكم و أى نفع فى هذا الوعظ ان كان مراده تعالى ذلك و أى تأثير بهذا الوعظ حتى يصفه بهذا الوصف و حتى يمن تعالى على عباده بذلك و كذلك قوله تعالى من بعد (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا يصح الا اذا كان العبد هو المختار لفعله فيكون موافقا لما فى الكتاب و لسنة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۰

و لطريقة العلماء. و قد اختلفوا فى أولى الامر منكم فمنهم من قال الامراء و منهم من قال العلماء و قوله من بعد (فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) يدل على انهم الفاعلون لهذا الرد عند التنازع و الا كان قوله (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ) لا يفيد اذا الفائدة فى ذلك ان إيمانكم باللّه يقتضى امتثال أمره بهذا الرد وصف تعالى بعد ذلك المنافقين بانهم يزعمون انهم آمنوا باللّه و الرسول و يريدون مع ذلك (أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) و المراد بذلك شيطان الانس أو الجن على ما تقدم ذكره و لذلك قال بعده (وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) كيف يصح ان يكلفهم قتل أنفسهم مع ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه. و جوابنا ان المراد قتل بعضهم لبعض كقوله تعالى (فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ) و على هذا الوجه تأوله المفسرون و يحتمل ان يكون المراد التعرض لاسباب الهلكة و قد يقال لمن يفعل ذلك انه قتل نفسه و لذلك قال بعده (وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) فنبه بذلك على ان الايمان منهم مما يصح و يصح خلافه و ذلك يدل على ان ذلك فعلهم لانه لا يقال لمن لا يصح منه الا القيام فقط لو فعل القعود لكان خيرا له و بيّن من بعد حال المطيع بما يرغب نهاية الترغيب فى الطاعة فقال (وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً) ثمّ رغب تعالى فى الجهاد فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً) و وصف

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۱

بعده حال المنافقين بقوله (وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) ثمّ رغب تعالى فى الجهاد و بيّن ان للمجاهد الثواب قتل أو غلب فقال (فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) لان الذى يحصل له هو لتحمله المشقة لانه يقتل و قتل الكفار له مصيبة فبيّن انه سواء قتل أو غلب فله الثواب الجزيل على ما تحمله من الكلفة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها) كيف يصح ذلك ان يحكى عن الولدان و هم لا يعرفون ربهم. و جوابنا انه تعالى ذكر جملة من يحب ان يهاجر و يتخلص من القرية الظالم أهلها و المراد بقوله ربنا أخرجنا من يصلح ان يقول ذلك كما يقال ان أهل البصرة معتزلة يقولون بالعدل و التوحيد و يراد بذلك كبارهم و ان لم يفصل و لذلك قال (وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) و مثل ذلك لا يقع من الولدان فهو كقوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) و المراد انه من تصح منه العبادة.

[مسألة]

و ربما قالوا كيف قال تعالى (أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) ما فائدة ذلك و قد علم كل أحد ان آخر أمره الموت. و جوابنا انه تعالى بعث على الجهاد و بيّن ان المؤمن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۲

يقاتل فى سبيل اللّه و الكافر يقاتل فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا. ثمّ بيّن ان من كتب عليهم القتال قالوا (رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ) و بيّن ان حياة الدنيا قليل و ان الآخرة خير لمن اتقى ثمّ بين ان الذى لأجله تحذرون الجهاد نازل بكم و ان كنتم فى القصور و البروج فلا وجه لرغبتكم عن الجهاد مع الثواب العظيم حذرا من ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) أو ما يدل على ان الحسنات و السيئات من خلق اللّه. و جوابنا أن المراد بهذه الحسنة الخصب و الرخاء و بهذه السيئة الشدة و الأمراض فقد كانوا يقولون في مثل ذلك انها بشؤم محمد صلّى اللّه عليه و سلم ينفرون العوام عن اتباعه و لذلك قال تعالى عنهم (وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) و الأمر يذهب في السيئات الى انها من عند غير المكتسب و غير اللّه يدل على ذلك قوله تعالى من بعد (ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) و أراد بذلك ما يفعله المرء من الطاعة و المعصية و لو لا صحة ما ذكرناه لكان الكلام متناقضا و لقالت العرب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنت تزعم في القرآن انه لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا و قد وجدنا ذلك و انما عدلوا عن هذا القول لأنّ المراد بالأوّل المصائب و الأمراض و بالثاني المعاصي فأضافها الى نفس الانسان.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا) كيف يصح أن يستثنى القليل و فضل اللّه و رحمته على الجميع و جوابنا أن هذا الاستثناء قد اختلف فيه فقال بعضهم انه راجع الى ما تقدم و هو قوله (وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۳
أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ) فكأنه قال أذاعوا به الا قليلا منهم و قال بعضهم هو راجع الى قوله (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) الا قليلا و قال بعضهم هو راجع الى قوله (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ) فكأنما كان يصح طعن هذا الطاعن لو لم يصح رجوع هذا الاستثناء الى هذا الوجه الآخر فأما اذا صح رجوعه الى الوجهين الأوّلين فقد زال الطعن و مع ذلك فانه يحتمل في هذا الفضل أن يكون المراد به باللطف في باب الدين فبيّن تعالى انه لو لا ذلك اتبعوا الشيطان الا قليلا فانهم مما لا لطف لهم و اذا لم يكن لهم لطف لم يكن لفعل ذلك بهم معنى فهم يطيعون مع عدم هذا الفضل فهذا الطعن زائل على كل وجه.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) ان ذلك يقتضي أنه المخصوص بتكليف الجهاد.
و جوابنا أن المراد أنه لم يكلف هو الجهاد الا في نفسه و لم يكلف جهاد غيره و انما كلف في غيره البعث على ذلك و الأمر به و لذلك قال تعالى بعده (وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) انه يدل على انه يضل الكافر. و جوابنا ان ذلك دليلنا لانه تعالى قال في المنافقين (فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا) فبين تقدم نفاقهم و بيّن نزول اللعن بهم ثمّ قال (أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا) و أراد هنا الثواب و المدح من أضل اللّه على ما تقدم من كفره و قد بيّنا ذلك في أول الكتاب.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله (وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۴
مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً) أنه يدل على أن له أن يقتل خطأ. و جوابنا ان المراد ان ايمان المؤمن لا يثبت مع قتل المؤمن و قد ثبت مع قتل الخطأ

فكأنه قال لا- يصح و هو مؤمن أن يقتل مؤمنا الا أن يكون قتله خطأ ثمّ بيّن حكم قتل الخطأ فى الكفارة و قد قيل أن المراد لكن أن قتله خطأ و أنه استثناء منقطع و الأوّل أبين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ) أ فما يدل ذلك على أن توبة قاتل العمد لا تقبل كما روى عن بعضهم. و جوابنا أنه تعالى قد قدر فى العقول أن التوبة من كل المعاصى مقبولة و بيّنه أيضا فى القرآن بقوله (إِلَّا مَنْ تابَ) فى سورة الفرقان بعد تقدم ذكر الكفر و القتل و الزنا، فالمراد اذا فجزاؤه جهنم ان لم يكن معه توبة بيّن ذلك قوله (وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ) و معلوم من حال التائب انه حبيب اللّه و أنه لا يلعن و لا ينزل به الغضب من اللّه بل يناله الرضا من جهته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ) ما فائدة هذا التخصيص و هو عالم بسرائر القلوب. و جوابنا ان ذلك تهديد من اللّه تعالى و اذا خص قلوبهم بالذكر كان أقوى و لا يمنع من كونه عالما بكل شىء اذ العادة جارية فى الوعيد أن يخص كقول القائل لوكيله احذر مخالفتى فانى عالم بما تأتيه.

[مسألة]

و ربما قيل ما فائدة قوله تعالى (لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ). و جوابنا أن ذلك كالدفع لتقدير من يقدر أن المراد فى اكتسابها للطاعات ناقصة عن الرجل كنقصان حظها فى الميراث فبيّن تعالى ان حالهم فى الآخرة لا تختلف فلذلك قال من بعد (وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) فبيّن أنه فى مصالحهما لا يتغير ما يفعله كما لا يتغير ما يستحقانه من الثواب.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۵

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً) لما ذا كرر و المراد واحد و لما ذا قال (ثُمَّ يَرْمِ بِهِ) و لم يقل بهما.
و جوابنا ان من المعاصى ما يكون خطأ و منها ما يكون عمدا فالاثم لا يكون إلا عمدا و الخطيئة قد تقع و هو غير عالم بها و ذلك نحو أن يأكل و يعلم أنه صائم و أن يأكل و لا يعلم ذلك و ان كان فى الأمرين قد يكون عاصيا فلذلك ذكرهما تعالى و معنى قوله (ثُمَّ يَرْمِ بِهِ) أى يرم بذلك فأشار إلى ما تقدم فلذلك لم يقل بهما.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ) كيف يصح ذلك. و جوابنا ان المراد من آمن فأمره اللّه أن يدوم على ذلك و يثبت عليه فى المستقبل و يحتمل أن يريد مجموع ما ذكره فى قوله (آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) ان مجموع ذلك ربما لا يحصل للكثير من المؤمنين و لذلك قال بعده (وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ) فتوعد بكل ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۶

(بَعْلِها نُشُوزاً) هلا قال علمت و ذلك مما يعلم. و جوابنا ان النشوز من الزوج و ان ظهر فان ذلك يبدو منه لا محالهٔ و لا يعلم و انما يخاف و لا جل ذلك يستحب الصلح فلذلك ذكر اللّه تعالى الخوف دون العلم.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) كيف يصح ذلك و الكثير منهم مات على كفره. و جوابنا انه خاص بقوم منهم و يحتمل أن يكون المراد عند المعاينهٔ يعرفهم اللّه تعالى ذلك و يؤمنون به و ان كانوا ملجئين الى ذلك.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ) كيف يصح لاجل ظلمهم ان يحرم عليهم و لهم فى اجتناب ذلك ثواب و هو نفع لهم فكيف يعاقبون به. و جوابنا ان المراد ان عند ظلمهم كان الصلاح تحريم ذلك الا انه عقوبهٔ لان التكليف نعمهٔ و ليس عقوبهٔ.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) كيف قال تعالى بعده (وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ) و ذلك لا يجوز فى اللغهٔ. و جوابنا ان بعضهم قال هو نسق على ما التى فى قوله بما أنزل اليك فكانه قال انهم يؤمنون بما أنزل اليك و بالمقيمين الصلاهٔ و قيل أيضا قال بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و بالملائكهٔ المقيمين الصلاهٔ و قيل كانه قال و يؤمنون بالمقيمين الصلاهٔ و قيل كانه قال و باقام الصلاهٔ و قيل لما طال الكلام نصب المقيمين على وجه المدح.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ) أ ليس ظاهر الآيهٔ أنه يخص من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۷

يشاء بالتزكيهٔ. و جوابنا أن التزكيهٔ من اللّه هى المدح و الثناء و ذلك لا يكون الا من قبله أو بأمره.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أ ليس يدل على أنه يضل و أنه لا سبيل لمن ضل الى الهدى. و جوابنا ان المراد من أضله اللّه عن الجنهٔ لا يصح أن يهديه الى الجنهٔ و الثواب و قد حكم عليه بالعقاب.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) أنه يدل على أن يسلط الكفار على المؤمنين. و جوابنا أن المراد به لو شاء لفعل لكنه لا يفعل لقبحه و ذلك جائز عندنا.

[مسألة]

و ربمـا قيل فى قوله تعالى (وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ مُحِيطاً) ان ذلک يوجب انه تعالى جسم يحيط بالأشـياء. و جوابنا ان المراد به إحاطهٔ العلم لقوله تعالى (وَ لا يُحِيطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ).

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ) كيف يصـح ذلک و قـد أمرنا أن نعـدل بين النساء. و جوابنا أن المراد بـذلک أن نعدل بينهن فى الشـهوهٔ و المحبهٔ لا فيما يتصل بالنفقات و القسم و غيرها و روى عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلم انه قال هذا قسمى فيما أملک فلا تؤاخذنى فيما لا أملک فانه صلّى اللّه عليه و سلم كان يقسم الليالى بين نسائه على السواء لكنه فيما يرجع الى شهوهٔ القلب كان لا يمكنه التسويهٔ لان الشهوهٔ من قبل اللّه تعالى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا). فبيّن انه لا سبيل لهم الى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۰۸

ترک الكفر و هـذا خلاف قولكم ان اللّه تعالى قـد مكن و أزاح العلهٔ. و جوابنا أن المراد انه لا يغفر لهم فى الآخرهٔ و لا ليهديهم سبيلا الى الثواب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) ان ظاهره يدل على انه منعهم من الايمان.

و جوابنـا ان المراد بـالطبع و الختم قـد فسـرناه و انه علامـهٔ و ليس يمنع و لـذلک قـال تعـالى (فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) و لو كان منعا فمنع القليـل كما يمنع الكثير و ربما قيل فى قوله تعالى (كَذلِکَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ) انه قال بعـده (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) فـدل بـذلک ان الايمان من فعله.

و جوابنـا انـا نقول فى الايمـان انـا وصـلنا اليه بـاللّه تعالى و بفضـله و ألطافه. و بعـد فليس فى الظاهر ما قالوه بل المراد فمنّ اللّه عليكم بالأدلهٔ و البيان و إرسال الرسل و ذلک صحيح.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ) كيف يصح أن يهديهم الى طريق جهنم و الهدايهٔ لا تكون الا فى المنافع.

و جوابنا ان ذلک مجاز فشبه ذلک بالهدايهٔ الى الثواب لما كان طريقا اليها و يحتمل أن يريد لكن يسوقهم الى جهنم فيكون فى حكم المبتدأ من الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ) ما الفائدهٔ فى اثنتين و قد عرف ذلک بقوله كانتا. و جوابنا إنه كان يجوز أن يقال بعد قوله

كانتا صغيرتين أو صالحتين الى غير ذلك من الصفات فأفاد بقوله اثنتين ان المراد العدد و ذلك فائدة صحيحة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ١٠٩

سورة المائدة

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) كيف يليق بـذلك قوله من بعـد (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ). و جوابنا أن قوله عز و جـل أوفوا بالعقود قـد دخل تحته عقـد التكليف كما يـدخل تحته العقود فى المعاملات و غيرها فجعله تعالى مقدمـة لـذكر التعبـد فلذلك قال (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ) ثمّ بين بعده ما حرمه من الميتة و الدم و غيرهما و مثل ذلك يعظم موقعه من الحكيم اذا قدمه امام أمره و نهيه كما يحسن من أحدنا أن يقول لولده التزم عهدة البر فمن سبيلك أن لا تخالفنى فى كيت و كيت فالكلام متسق و الحمـد للّه و قيل ان تقدير الكلام كأنه قال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) يا أيها الذين آمنوا أحلت لكم بهيمة الانعام فعلى هذا الوجه يكون الكلام أبين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ) كيف يصـح أن يحل الأماكن و الأوقات. و جوابنا ان المراد لا يحل ما حرم فى هذه الاماكن و الاوقات فلا يجرى ذلك مجرى الأمور التى يحل التصرف فيها مطلقا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) كيف يصـح ذلك و لم يكن الـدين من قبل ناقصا اذ لا يجوز أن يقال كان دينه صلّى اللّه عليه و سلم قبل ذلك اليوم ناقصا. و جوابنا أن المراد الكمال الذى لا يتغير

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ١١٠

بعـده و لا ينسخ و يقال انه آخر ما أنزله اللّه على الرسول. و الدّين و ان كان كاملا فى كل وقت من حين بعثه اللّه تعالى فقد يصح فيه الزيادات فى الادلـة و فيما يلزم المرء يبين اللّه تعالى اسـتقرار ذلك و كـذلك قوله تعالى بعد ذلك (وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) أن المراد انه اسـتقر حتى لا يتغير لا انه كان من قبل غير مرضـى و قد يكون الشـىء كاملا مرضيا و هو أنقص من شيء آخر كامل و على هذا الوجه فقول فى الايمان و الاسـلام و الدين انها تزيد و تنقص و على هذا الوجه يكون دين المسافر كاملا و ان قصـر فى الصـلاة و أفطر فى الصيام كما يكون دين المقيم كاملا و كذلك القول فى الغنى و الفقير.

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قـوله تعـالى (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) كيف يصـح ذلك و قد كان قبل ذلك اليوم حلالا و كيف يصح ذلك و قد أكمل اللّه تعالى الدين من قبل. و جوابنا أن فى جملة ما أحله اللّه ما لا يعلم الا بالشرع و هو نكاح الكتابيات و على هذا قال الفقهاء ان بذلك نعلم إباحة نكاحهن حتى قال بعضـهم ان ذلك ناسخ لقوله تعالى (وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ) و قال بعضهم بل هو مخصص فلما كان ذلك فى جملة ما أحله اللّه تعالى جاز أن يقيده باليوم.

و بعـد فقـد يقال اليوم أحل كـذا و أن كان حلالا من قبل و هذا هو اليوم الذى ذكر اللّه تعالى انه أكمل فيه الدين فذلك داخل تحت الدين هذا هو مذهب أكثر القدماء و قد قال بعضهم إن المراد بقوله (وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) من أسلم منهن و لم يجوز نكاحهن و هن على كفرهن و القول الاول أبين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۱

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) كيف يصح الكفر بالايمان و انما يكفر المرء باللّه تعالى.

و جوابنا ان المراد جحـد الايمان فان من جحـده فقـد غطاه فشبه ذلك بالكفر الـذى هو التغطيـة كما يقال يكفر بالسـلاح و على هـذا الوجه قال تعالى فى آية الحج (وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) و يقال ان فلانا كفر بالصـلاة و كفر بالنبى و المراد ما قدمنا لكنه لا يطلق ذلك الا فى جحد هذه الشرائع أو الجهل بها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثاقَهُ الَّذِى واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَ أَطَعْنا) كيف يصح ذلك و المكلف منا و من غيرنا لا يـذكر ذلك و يعلم ان القول لم يقع منه قبل التكليف. و جوابنا ان ذلك أمر من اللّه تعالى أن يذكروا ذلك و الذكر هو العلم بما يتجـدد من النعم حالا بعد حال و نفس العلم ربما علم باضـطرار و ان كان انما يعلم انه من نعم اللّه باسـتدلال فأما الميثاق من اللّه تعـالى فهو العلم بما أودع فى العقل من التكليف و لا عاقل الا و يقر بانه يقبـح منه الظلم القبيـح فيجب عليه الانصاف و غيره فهـذا هو المراد و لـذلك قال بعده (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) يعنى فيما ألزم و كلف (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) و قال قبله عند ذكر التيمم (ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) فـدل تعالى بـذلك على انه لم يضـيق على المكلف بالطهارة و الماء معوز بل وسع فألزم التيمم بالموجود من التراب فكيف يصح مع ذلك أن يقال انه تعالى يكلف المرء الايمان و سائر الطاعات و هو لا يطيقه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً) ان ذلك يـدل على انه تعالى يخلق قسوة القلوب و سائر المعاصـى. و جوابنا ان قوله (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ) دلالة على انهم نقضوا و أنه لاجل ذلك لعنهم فجعل قلوبهم قاسية و لا يصح ذلك الا و الكفر قد تقدم منهم و اذا صح ذلك وجب حمل

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۲

قوله (وَ جَعَلْنا) على ان المراد حكمنا بـذلك كما يقال جعلت الرجل بخيلا اذا سألته فظهر بخله و يحتمل ان يريد تعالى أنه جعل قلبهم على صفة يحتاجون معها الى مزيد تكليف فى الطاعة و مثل ذلك يكون من قبل اللّه تعالى كما تقول فى الجبن و الشجاعة و الذكاء و البلادة و لفظـة الجعـل و ان دلت على الفعـل فقـد يراد بهـا غير ذلك كقوله تعالى (وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً) و المراد اعتقدوا ذلك فسـموهم و كقوله فى القصاص (فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً) و المراد حكمنا بذلك و قد قيل ان المراد به انا خليناهم و قـد يقـال للرجـل اذا ترك ان يعمر أرضه قـد جعله خرابـا و اذا لم يؤدب ولـده يقال قـد جعله فاسـدا الى غير ذلك و لو لا صـحة ما ذكرناه لما قال بعده (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) فذمهم على ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز أن يقول تعالى (فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ) و اللّه تعالى لا يغرى بالعداوة و لا يبعث عليها. و جوابنا أن اللّه تعالى ذكر بنى اسرائيل و وعدهم بشرط أن يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و يؤمنوا بالرسول ثمّ قال (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ) ثمّ قال (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) ثمّ قال من بعد (وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ) ثمّ قال (فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ) لما لم يتمسكوا بالميثاق و المراد بذلك انه خلاهم عن الالطاف التى لو تمسكوا بطاعة اللّه لكان يفعلها بهم فلما لم يتمسكوا بها لم يكن ذلك اللطف لطفا لهم فجائز أن يقال أغرى بينهم و هذا كقوله تعالى (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) لما لم يلطف بهم و هذا كما يقال فلان يرسل كلبه اذا لم يمنعه و قد قيل ان ذم اليهود و النصارى على التثليث و ذم النصارى لليهود على تكذيب عيسى مما يحسن فاذا أغرى تعالى بينهم فى ذلك حسن و على هذا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۳

الوجه يحسن من أحدنا معاداة الكفار و يحسن من الكافر الذى يعبد الصنم معاداة المبتغى للشبهة معاداة عابد الصنم و مثل هذه المعاداة ربما تكون لطفا فى التمسك بالحق.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله تعالى (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ) فقالوا كيف خص هؤلاء بأن يهديهم بالقرآن.
و جوابنا لانهم اذا اختصوا بقبوله جاز أن يخصهم كما ذكرناه فى قوله تعالى (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ) ان ذلك يدل على أن ترك الكفر و فعل الايمان من قبل اللّه تعالى. و جوابنا أن الظاهر أن الكتاب الذى هو القرآن يخرجهم من الظلمات الى النور باذن اللّه و معلوم انه لا يخرج فى الحقيقة عن الكفر الى الايمان و إنما يقال ذلك لما كان سببا لإيمان الكافر فأما قوله باذنه فالمراد انه بأمر اللّه و علمه و ذلك صحيح لانه تعالى ألزم أمر الايمان.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) كيف يصح ذلك و ليس فى النصارى من يطلق ذلك. و جوابنا ان من يقول منهم بأن اللّه تعالى اتخذ المسيح فصار لاهوتا بعد ان كان ناسوتا و انه يحيى الموتى و انه يلزم عبادته فهو قائل بهذا القول فى المعنى و لذلك قال تعالى بعده (وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ) فنبه بذلك على أن المراد ما ذكرناه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) كيف يصح تحريم الجنة عليهم و لا اختيار لهم تنزيه القرآن (۸)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۴

فيهـا. و جوابنـا ان ذلـك يقـال فيما يقع للناس فيه من المنافع تشبيها بما يلزم المرء أن يتجنبه من المحرمات و ذلك معقول فى اللغـة و التعارف و لذلك قال تعالى بعده (وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ) و نبه بذلك على ان من يستحق العقاب و النار لا ناصر له.

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ) كيف يصـح ذلك و ليس فى النصارى من يقول هـذا القول بل يقولون الاله واحـد لكنه يوصف بأنه ثلاثـة أقانيم أب و ابن و روح القدس. و جوابنا انه تعالى لم يحك عنهم انهم يقولون ثالث ثلاثة آلهـة، بل قال انهم يقولون ثالث ثلاثـة و هو معنى قولهم اذ أثبتوا ابنا و أبا و روحا قـديمات و على هـذا يقول فى هؤلاء المشـبهة انهم يثبتون معبودهم ثالثا و رابعا و عاشـرا اذا قالوا ان معه علما و قـدرة و حياة قديمة و لا معتبر بالعبارات فى ذلك و لو لم يصح ما ذكرناه لقطعنا على انه كان فيهم من يقول ذلك و لم نعلمه و لذلك قال بعده (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ) كيف يصح أن يقول ذلك و قد كان فى زمانه مثل يوشع بن نون و غيره مما صار نبيّا.

و جوابنـا (إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي) أراد ملكـا مخصوصـا حتى يجرى أخـاه مجرى نفسه فى كـل وجه و لم يكن ذلـك حال غيرهما فلا يصح ما ذكرته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ) كيف يصـح أن يبقوا يتيهون فيها هـذه المدة الطويلة و على مـا يقال تلك البقعـة انما هى فراسـخ قليلـة. و جوابنا ان ذلك جائز فى قـدرة اللّه تعالى بأن يكونوا اذا قربوا من الطرف يحول اللّه تعالى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۵

الطرف وسـطا فيكون حالهم أبدا و كذلك جائز فى أزمان الأنبياء فيكون معجزة لهم و يجوز أيضا ان تتغير دواعيهم و مقاصدهم حالا بعد حال بأن يكون تعالى يطرح قلوبهم بأن يصرفهم عن الخروج عن التيه و التحير فيه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ) كيف يجوز أن يقول هابيل هذا لقابيل و الاثم يختص هو به فى قتله أو ليس ذلك يدل على ان من ليس بعاص قد يلحقه اثم العاصـى. و جوابنا ان الذى فعله به من القتل لما كان متعلقا بهابيل جاز أن يقول ذلـك و كـانه قال (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي) يعنى قتلى و اثمك يعنى سائر ما فعلته حتى وصـلت الى قتلى و قـد قيل كيف يصـح أن يريد ذلك و هو قبيح. و جوابنا ان المراد ارادته للذم و العقاب لا لنفس القتل الذى هو معصية و لذلك قال بعده (فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ) فكأنه أظهر انه مريد لوقوعه فى النار من حيث فعل ذلك ليصرفه عن هذا القتل بهذا القول.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) أ ليس ذلك يدل على ان نفس الانسان سوى شخصه و هو يطيعها فيما يفعل. و

جوابنا ان مثل ذلک قد يطلق فی اللغة فيقال أطاعه نفسه و عصت فيمن يتبع الهوی و الشهوة أو يخالف فلا يدل علی ما قاله و لذلک قال تعالی (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ) و لم يقل فأصحبت نفسه خاسرة.

[مسألة]

و ربما قيل کيف خفی عليه بعد قتله له أن يدفنه فی الأرض حتی ينبه علی ذلک بما بعثه اللّه تعالی من الغراب فأراه ذلک.

و جوابنا ان ذلک کان ابتداء القتل و الموت لا تمتنع الشبهة فيه.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۶

(أَجْلِ ذلِکَ کَتَبْنا عَلی بَنِی إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) هو کيف تصح التسوية بين من يقتل الواحد و من يقتل الخلق جميعا و ذلک بعيد عن متعارف الشرع و طبيعة العقل. و جوابنا ان بيان عظم هذا القتل فی العقاب و انه من حيث يقتدی به و يسهل سبيل القتل و غيره عظم اثمه کما قال صلّی اللّه عليه و سلم من سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلی يوم القيامة (فان قيل) أ فتقطعون علی ان من قتل هذه النفس فعقابه کعقاب من قتل الناس جميعا (قيل له) ذکر اللّه تعالی ذلک فی بنی اسرائيل خاصة فلا يمنع مثل ذلک فيهم و ان لم يجب فی غيرهم لان عظم المعاصی يختلف بالاوقات و اختلاف الأحوال و يحتمل أن يراد به فکأنما قتل الناس جميعا فی عظم ما فعل، و ان لم يبلغ ذلک الحد فی العقوبة لأن الظاهر لا يدل الا علی هذه الجملة. و متی قيل فما معنی قوله تعالی (وَ مَنْ أَحْياها فَکَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) و ذلک ليس فی مقدور أحد. فجوابنا ان المراد التخليص من القتل و الهلاک و ذلک يعظم فی الواحد کما يعظم فی الجماعة (فان قيل) أ ليس يدل علی قوله تعالی (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) علی انه ندم و الندم توبة.

و جوابنا انه لم يندم من حيث انها معصية و قبيح. بل ندم لما افتضح و کان ظن ان ذلک يخفی فلما ظهر قتله ندم لشیء يخصه.

[مسألة]

و متی قيل ما معنی قوله تعالی (إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) و کيف يصح أن يحاربوا اللّه. و جوابنا ان المراد محاربة أنبيائه فقدم ذکره تعالی تعظيما لذلک و بين ان من عادی رسله و حاربهم، فقد عادی اللّه تعالی فنبّه بذلک علی عظم هذا الفعل و فخامته و المراد بالمحاربين من ذکره العلماء من الکفار و المفسدين فی الصحاری و البلاد ثمّ بيّن ان حکمهم فيما يأتون من القتل و أخذ الاموال لا يخرج عما ذکر تعالی من أن (يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۷

(أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) فيلزم ذلک فيهم بحسب جناياتهم و لذلک قال تعالی أولئک (لَهُمْ خِزْيٌ فِی الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ) و بيّن أن من تاب قبل القدرة عليه فهذه الاحکام عنه زائلة فيما کان من حق اللّه تعالی.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها) کيف يصح و هم ملجئون الی أن لا يفعلوا القبيح و ارادتهم ما حکم اللّه تعالی بخلافه تقبح. و جوابنا ان لعلماء التوحيد فی ذلک جوابين (أحدهما) أنه يصح أن يريدوا ذلک و يحسن و

ان كان اللّه تعالى لا يفعله و علمهم بأنهم لا يخرجون من النار لا يمنع من حسن ذلك لو وقع.
فهذا القائل يحسنه على ظاهره (و الثانى) ان المراد انه يقع منهم ما يقع من المريد فى دار الدنيا فوصفهم تعالى بالارادة لاجل ذلك و لذلك قال تعالى بعده (وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) كيف يصح ذلك فى المنافقين و اليهود و قد أراد اللّه عز و جل عندكم تطهير قلوب الخلق المكلفين من الكفر و المعاصى و من قبل ذلك (وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً).
و جوابنا ان الفتنة قد يراد بها التشديد فى التكليف و قد يراد بها العقوبة و اللّه يريد كلا الأمرين فأما تطهير القلب فالمراد به انه عز و جل علم أن لا لطف لهم حتى يريده فيصير صارفا لهم عن المعاصى و يحتمل أنه لقى قلوبهم ليس عليهم سمة الايمان كما قال تعالى (أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ).

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح قوله (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ) و معلوم ان كثيرا منهم ليس بكافر عندكم و قد كرر اللّه تعالى ذلك فقال مرة هم الكافرون و أخرى هم
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۸
الظالمون و اخرى هم الفاسقون و جوابنا ان المراد به اليهود لان هذه الآيات واردة فيهم و لأنه تعالى قال بعده (وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) و ذلك صفة اليهود و هم كفار و قد قيل فيه ان المراد به من لا يحكم بما أنزل اللّه مستحلّا له و قيل ان المراد و من لم يحكم بشىء مما أنزل اللّه فلا يلزم ما قالوه و ان تعلق بذلك الخوارج فلم يصح لأكثرهم ففيهم من لا يقول بأن من لم يحكم بما أنزل اللّه يكون كافرا اذا كان صغيرا أو كان على التأويل أو على السهو فلا بد من أن يرجع الى ما ذكرناه من التأويل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ) كيف يصح ذلك و شريعة عيسى مخالفة لشريعة موسى. و جوابنا أن وقوع النسخ فى الشرائع لا يخرجها من أن تكون متفقة كما أن اختلاف الشرع فى الغنى و الفقير و المقيم و المسافر لا يخرج الشرع من أن يكون متفقا، لأن كل شىء من ذلك صلاح فى وقته و على هذا الوجه بيّن تعالى فى القرآن أنه مصدق للتوراة و الانجيل و الزم رسوله اذا حكم بينهم أن يحكم بالقرآن و أن لا يتبع أهواءهم التى هى بخلاف القرآن. و بيّن بعد ذلك بقوله (لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً) أن الذى يجمع الكل فى كونه مصلحة يخرجه من أن يكون مختلفا بل يكون بعض مصدقا لبعض و لذلك قال تعالى بعده (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فجعل اختلافهم ثابتا فى المذاهب التى هى مخالفة للحق لا فى الشرائع الحقة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ) كيف يصح مع الذى بينهما من المعاداة. و جوابنا انه تعالى لم يعين البعض و بعض من النصارى
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۱۹

أولياء بعض منهم و كذلك بعض اليهود و مع ذلك فاليهود و النصارى يتولى بعضهم بعضا فيما يتفقون عليه من التكذيب لشريعة نبينا صلّى اللّه عليه و سلم و لـذلك قال بعده (وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) فنبه بذلك على أنه أراد بالتولى الاجتماع على ما ذكر و ذكر بعـد ذلـك أحوال المنـافقين الـذين يتولون الكفـار فى البـاطن فقـال (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ) و بين طريقهم مع المؤمنين و انهم يقولون (نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ) ثمّ بيّن بعد انهم سيندمون اذا ظهرت النصرة من اللّه تعالى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ).

[مسألة]

و ربمـا قيل فى قوله تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ) و معلوم من حال المؤمن انه يعز المـؤمن و يعظمه و يتولاـه. و جوابنـا أن مراده تعـالى بيـان مـا يحصـل بهم من القهر و الغلبـة للكفـار و مـا يحصـل لهم من اللين و الخضوع للمؤمنين فوصف ذلك بالعزة و هذا بالذلة، و هذا كما يقال لمن يخضع لغيره انه يذل له و يذلل و لذلك قال تعالى بعده فى وصـفهم (يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) و بيّن تعالى ان جهادهم على هذا الوجه فضل من اللّه من حيث يوفق لذلك و من حيث يؤديهم الى النعم العظيمة من الثواب. و بيّن بعده عز و جل بقوله (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ) صفة من يتولى المؤمنين و أنه تعالى يتكفل بنصرتهم و غلبتهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ) كيف

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۰

يصح وصف من تقدم ذكره من أهل الكتاب و المنافقين بذلك و لم يكن فيهم من يعبد الطاغوت. و جوابنا انه تعالى قد ذكر من قبل أهـل الكتـاب بقوله (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ) فلا يمتنع أن يرجع هـذا الوصف اليهم و يحتمل فى الطاغوت أن يراد به شـياطين الانس و الجن فقد كان فيهم من يضل العوام و يدعوهم الى الكفر و من يطع هؤلاء يسـمى عابدا له كما قال تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) لما أطاعوهم.

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) كيف يصـح ذلك و ليس فيهم من يقول هـذا القول لا على ظاهره و لا على وجه التخيل. و جوابنا ان فى التوراة أن قوما منهم كانوا يستبطئون الرزق من جهة اللّه تعالى و ينسبونه الى البخل ففيهم نزلت هـذه الآيـة. فبيّن تعالى ان يـده مبسوطـة العطاء و الافضال و الرزق لكنه ينفق كيف شاء بحسب المصـلحة، و لم يرد تعالى بذكر اليـدين الجارحـة و لا صـفة مجهولـة كما يذهب اليه المشـبهة بل أراد تعالى النعم و انما ثنى ذلك لأنه أراد نعم الدنيا و الدين و النعم الظاهرة و الباطنـة و لو أراد تعالى الجارحـة لم يكن لـذكر البسط و الانفاق معنى لانه لا يثبت التكـذيب فى قولهم الا بالانفاق، فزال ما نسبوه اليه من البخل و ليس للجارحة فى ذلك مدخل.

[مسألة]

و ربمـا قيـل مـا معنى قوله تعـالى (وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) و

كيف يكون الاكل على هذا الوجه.

و جوابنا أنه تعالى فى كثير من القرآن يذكر الاكل و يعنى سائر وجوه الانتفاع نحو قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً) و معلوم من حال الانتفاع انه يكون سببه ما ينزل من السماء و ما ينبت من الأرض و على هذا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۱

الوجه قال تعالى (وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ) فكنّى تعالى عن ذلك بهذين الحرفين اللذين يجمعان كل المنافع. ثمّ بيّن تعالى ان منهم أمة مقتصدة و هم الذين أسلموا و سلكوا طريق الحق من قبل فنبّه بذلك على ان كل أهل الكتاب ليسوا بالصفة التى ذكرها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ) معلوم انه اذا لم يبلغ الرسالة فما فائدة التكرار. و جوابنا ان المراد بقوله بلغ ما أنزل اليك من ربك هو القرآن. و بيّن انه ان لم يبلغ القرآن لا يكون قد بلغ الرسالة أجمع فليس ذلك بتكرار بل هو تنبيه على ان فى جملة ما حمل من الرسالة ما لا ينطق القرآن به و متى لم يبلغ القرآن لم يتم ابلاغ الرسالة أجمع، فالفائدة فى ذلك عظيمة و لذلك قال تعالى بعده (وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) فأزال عن قلبه الخوف من ابلاغ كل الرسالة و على هذا الوجه نقول ان الرسول صلّى اللّه عليه و سلم لا يجوز أن يكتم شيئا من الشرائع و لا ان يغير. و بين بأنه تزال عنه سائر الموانع فى ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) كيف يصح ذلك فكأنه قال ان الذين آمنوا من آمن منهم. و جوابنا ان قوله تعالى (مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) يرجع الى الذين هادوا الى الصابئين و النصارى دون المؤمنين فالكلام مستقيم، فكأنه قال ان الذين آمنوا و من آمن من اليهود و النصارى و الصابئين و عمل صالحا و بعد فلو رجع الى الكل لكان المراد الايمان فى المستقبل فكأنه قال ان الذين آمنوا من ثبت على ايمانه فى المستقبل و استمر عليه و عمل صالحا فيستقيم الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۲

كيف يصح ذلك و معلوم من حالهم انهم ماتوا و لم يمسهم من العذاب ما ذكره تعالى. و جوابنا أنه أخبر عن المستقبل و لم يذكر اللّه ان ذلك يمسهم فى الدنيا.

فالمراد انه يمسهم ان ثبتوا على الكفر العذاب الأليم فى الآخرة و ان تابوا أزال ذلك عنهم و قد قيل ان المراد بذلك ما ينالهم من الذل و الجزية و غيرهما لان ذلك صغار و عذاب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ) ما الفائدة فى ذلك. و جوابنا انه بيّن بذلك أنه رسوله لا معبود و لا إله لان من جاز ذلك عليه و احتاج الى الطعام لا يجوز أن يكون إلها معبودا. فبيّن بذلك بطلان قول النصارى و لذلك قال بعده (انْظُرْ

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) ثمّ قال بعده أيضا (قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً) ثمّ قال بعده (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ) و كل ذلك يبين صحة ما قلنا و عظم تعالى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بقوله جل و عز (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ) الى آخر الآيات ثمّ عظم اثم من يتولى أعداء اللّه بقوله جل و عز (تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ) ثمّ قال تعالى (وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ) فدل بكل ذلك على ما يجب من تولى المؤمنين و معاداة الكافرين و الفاسقين.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۳

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ) كيف يصح ذلك و ما يستحقه من الاثم فى اليمين أو فى الحنث لا يزول بذلك. و جوابنا ان لهذه الكفارة حظا فى التكفير و ان لم يزل الكل فلذلك سمى بهذا الاسم لا انه اذا فعلها لاجل يمينه و حنثه زال كل عقابه بل خففه فلذلك يحتاج الى التوبة ليقطع بها على زوال العقوبة لان قدر تأثير الكفارة غير معلوم و قد يقال ان ذلك كفارة لا لانها تكفر الاثم، و على هذا الوجه يكون كفارة فى عظم الامور و يكون كفارة فيما هو طاعة أيضا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ) كيف يصح المنع من المسألة و التكفير و هى تعرف بحال ما سأل عنه السائل. و جوابنا أن المسألة فى باب الدين تعرف الحق لا ينكر و ليس هذا هو المراد بل المراد المسألة على وجه التعنت لقوله تعالى (وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) الآيات فان ما جرى هذا المجرى يقبح و ربما عظم حتى بلغ حد الكفر اذا اقترن به القدح فى النبوّة و بين تعالى بقوله (ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ) و بقوله (وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) ان كل ذلك من فعلهم و لو كان ما فعل العبد مخلوقا من جهة اللّه لما صح ذلك و بين بقوله (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا) ان تقليد الآباء و غيرهم فى باب الدين جرم عظيم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۴

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) ان ذلك يوجب أن يتشاغل المرء بنفسه و لا يفكر فى حال غيره فيأمره بالمعروف و ينهاه عن المنكر. و جوابنا ان الأثر المروى عن ابى بكر الصديق فى ذلك هو الجواب، فانه قال سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول ان الناس اذا رأو الظالم و لم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم اللّه بعقاب. فبين ان منع الغير من الظلم و المنكر من الواجبات على من يتمكن فيضره اذا لم يمنعه و المراد بذلك ان أحدا لا يؤخذ بذنب غيره و اذا لم يؤخذ فكيف يؤاخذ اللّه تعالى بما يخلقه فيه فيوجبه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا) كيف يصح منهم هذا القول و قد علموا بما ذا أجابهم من دعوة الى الدين من الأمم. و جوابنا ان المراد لا- علم لنا الا- ما أنت يا رب به أعلم و لذلك قال بعده (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) و يحتمل أنهم قالوا لا علم لنا بباطن أمورهم لأنهم انما يعلمون الظاهر و اللّه تعالى هو العالم بباطن ما فعلوه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) كيف يصح ذلك و عيسى لم يقل ذلك للناس و كيف يصح أن يقول (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ) و ذلك يخبر به عن الماضى و لم يتقدم ذلك منه تعالى فى الدنيا.
و جوابنا ان ذلك من اللّه تعالى على وجه التوبيخ و التقريع لمن قال ذلك، و قد يجوز من الحكيم أن يخاطب بذلك متهما بفعل ليكون ردعا و توبيخا لمن فعل و اللّه تعالى عالم بالأمور، و لا يصح الاستفهام عليه فالمراد ما ذكرنا فقد كان فيهم من يزعم ان عيسى صلّى اللّه عليه و سلم أمرهم بأن يتخذوهما إلهين فيعبدوهما و يطيعوهما كطاعة المرء للّه و لذلك قال بعده (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) و قد قيل ان هذا القول وقع منه تعالى فى مخاطبة عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة عند ما رفعه الى السماء فلذلك قال تعالى (وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) و قيل أيضا و اذ قال يستعمل فى المستقبل اذ قدر فيه تقدير الماضى كقوله تعالى (وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ) لما قدر فيه تقدير الماضى و لذلك قال تعالى بعده (ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أ ليس ذلك من قول عيسى صلّى اللّه عليه و سلم يدل على انه كان لا يعرف انه تعالى يعذب الكفار لا محالة.
و جوابنا ان المراد تفويض أمرهم الى اللّه و أنه يفعل بهم ما يريد مما يكون عدلا و حكمة و يحتمل أن يكون المراد بقوله (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ) من استمر على كفره و بقوله (وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) من آمن.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۷

سورة الأنعام

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) كيف يصح ذلك فى الجميع و قد بين فى غير موضع انه خلقهم من نطفة.
و جوابنا ان المراد أصل الخلقة فى آدم لانه خلق من طين على ما ذكره تعالى فلما كان الكل يرجع فى خلقهم الى آدم صح أن يقول تعالى خلقكم من طين.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) أ ليس ذلك يدل على أن للانسان أجلين و أنتم تمنعون من ذلك.
و جوابنا ان أجل الانسان فى الحياة هو وقت حياته و أجله فى الموت هو وقت موته فاذا كان موته لا يقع الا فى وقت واحد فى الدنيا كان مقتولا أو غير مقتول فأجله واحد و المراد بذلك، ثمّ قضى أجلا فى الدنيا لانها دار الفناء و أجل مسمى عنده و هو أوقات حياتهم

فى الآخرة التى لا انقطاع لها بين ذلك، أن الآخرة دار البقاء و لذلك قال بعده (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) فانما وقع ذلك منهم فى باب الاعادة فى الآخرة.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ) كيف يصح أن يكون فى مكانين و كيف يصح مكان للّه تعالى و قد كان موجودا و لا مكان أصلا. و جوابنا ان المراد أنه فى السموات و الارض بأن يعلمهما و يحفظهما و يدبرهما و قد بيّن ذلك تعالى بقوله من بعد (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۸

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ) ان الكذب يكون قبيحا و أهل الآخرة ملجئون الى ان لا يقع منهم القبيح.

فالمراد بذلك (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) أى فى الدنيا لانهم كانوا يحسبون انهم بخلاف ذلك ثمّ قال (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ) أى فى دار الدنيا لانهم أخبروا عن أنفسهم بنفى الشرك و هم كانوا مشركين فى الحقيقة. فالكذب انما وقع منهم فى الدنيا و أخبروا فى الآخرة عن أحوالهم فى الدنيا و مثل ذلك يكون فتنة فى الآخرة عليهم لانهم يخبرون بما ليس بعذر، فلا ينفعهم ذلك و لذلك قال تعالى بعده (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يعنى ذهب ذلك عنهم و ظنوا خلافه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً) كيف يصح ذلك و قد أمرهم بهذا الاستماع، فكيف يمنعهم بالوقر و الكن.

و جوابنا ان ذلك تمثيل لا تحقيق من حيث لم يسمعوا ما أمروا فصاروا بمنزلة من فى آذانه وقر و لم ينتفعوا بما فهموا فصاروا كمن فى قلبه كن. و قد قيل ان المراد بذلك انهم كانوا يؤذون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اذا قرأ القرآن فحجبوا عن استماعه من حيث كان المعلوم انهم لا ينتفعون به و لذلك قال بعده (وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها) و بين اللّه تعالى بعد اقامة الحجة ان الحجب مانعة عن معرفة كثير من الآيات اذا كان المعلوم ان يكذّب و لا ينتفع به و لذلك قال تعالى بعده (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا) و ذمهم بذلك و لو كان المنع وقع منه لما صح أن يذمهم على منعهم منه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۲۹

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ثمّ قال تعالى (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) كيف يصح ذلك. و جوابنا انهم تمنوا الرد الى دار الدنيا و التمنى لا يقع فيه الكذب وجد الأمر على ما تمنى أم لم يوجد، و انما يقع الكذب فى الاخبار فمعنى قوله (وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) انهم بمنزلة من يكذب من حيث لو ردوا لعادوا.

فان قیل أ تقولون بجواز ردهم الی الـدنیا حتی یقال لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قیل) اما من اضـطره اللّه تعالی الی معرفته عند المعاینۀ أو بعـدها فلا جائز ان یکلفه بعـد ذلک لکنه لما کان یجوز أن یرد من دون هـذا الاضـطرار جاز أن یتمنی ذلک و جاز أن یخبر تعالی عن حالهم بما وصفه علی وجه التقدیر.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُـهُمْ فَإِنِ اسْـتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَۀٍ) ما فائدۀ ذلک. و جوابنا شدۀ محبته صلّی اللّه علیه و سلم لإیمانهم و قبولهم کان یوجب أن یغتم باعراضهم و یکبر ذلک علیه فبین تعالی أن ذلک لیس فی طوقه و هو متعلق باختیارهم فلو فعل ما فعل لم یجـد منهم الانقیاد و لـذلک قال تعالی بعـده (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُـدی فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ) و المراد لو شاء أن یلجئهم الی ذلک الفعل لکنه تعالی أراد ایمانهم اختیارا لینتفعوا بالثواب. ثمّ بین تعالی بقوله (إِنَّما یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ یَسْمَعُونَ) من ینتفعون بقبولهم (ثُمَّ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ) فیجازیهم علی ما فعلوا.

[مسألۀ]

و ربما قالوا فی قوله تعالی (وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ) تنزیه القرآن (۹)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۰

(آیَۀٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلی أَنْ یُنَزِّلَ آیَۀً وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ) ما الفائـدۀ فی ذلک. و جوابنا انه تعالی بیّن أن ما یلتمسونه من الآیات مقدور للّه تعالی لکنهم لا یعلمون ان ذلک بمنزلۀ ما قد أظهره من الآیات فی انهم لا یؤمنون عنده.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ ما مِنْ دَابَّۀٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ) أ لیس یوجب ذلک ان کل حی مکلف. و جوابنا أن المراد بقوله أمم جماعۀ فکأنه قال ما من دابۀ و لا طائر الا و هم جماعۀ من الجنس الواحد فأما أن یرید بذلک انهم مکلفون فمحال لأنا اذا کنا نعلم ان الصبیّ قبل البلوغ لا یکلف لفقد العقل فالبهائم و الطیر أولی بذلک.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ) کیف یصح ذلک و نحن نعلم انه لیس فی القرآن بیان أشیاء کثیرۀ.

و جوابنا ان المراد الشیء الذی یحتاج الیه فی باب الدین لأنه الذی اذا لم یبینه تعالی یکون مفرطا، اذ المفرط یکون مفرطا بأن لا یبین ما یجب بیانه و جمیع أمور الدین قد بینه اللّه تعالی فی القرآن إما مجملا و إما مفصـلا و لذلک قال تعالی بعده (وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا صُمٌّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُماتِ) نبه بذلک علی انهم بمنزلۀ من هذه حاله لعدو لهم عما یجب أن یتبعوه.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَخَـذَ اللَّهُ سَـمْعَکُمْ وَ أَبْصارَکُمْ وَ خَتَمَ عَلی قُلُوبِکُمْ مَنْ إِلهٌ غَیْرُ اللَّهِ یَأْتِیکُمْ بِهِ) کیف یصح أن یذکر أشیاء و یجمع ثمّ یوحد بقوله یأتیکم به. و جوابنا ان المراد یأتیکم بما تقدم ذکره و قد یصح فی ذلک أن یوحد کما قد یصـح أن یجمع. و بین تعالی بذلک انه آتاهم هذه الآیات من سمع و بصر

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۱

و قلب لينتفعوا بهـا فلما لم ينتفعوا بها فكأنها مفقودة و لـذلك قال بعـده (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) موبخا لهم على عدو لهم.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله تعالى (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) كيف يصح أن ينهاه عن ذلك مع وصـفه لهم بالعبادة و الخشـية. و جوابنا انه صلّى اللّه عليه و سـلم ربما كان يقـدم الأكابر من العرب محبة منه لإيمانهم و تألفا لهم فأدبه اللّه تعالى بهذه الآية فى المؤمنين لئلا يقـدم غيرهم عليهم و لـذلك قـال تعـالى بعـده (وَ كَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) نبه بـذلك على ان المقـدم هو من يعلمه اللّه تعـالى عابـدا شـاكرا ثمّ قال تعالى لنبيه صـلّى اللّه عليه و سـلم (وَ إِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) فأمره بأن يحييهم و يعرفهم عظم منزلتهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ) كيف يصح أن يؤاخذ من عمل السوء و لا يعرفه. و جوابنا ان كل عامل السوء و المعصـية يوصف بأنه عمله بجهالـة و ان كان عالما به و المراد بذلك أنه عمل ذلك على غير ما يقتضـيه عقله فـان الـذى يوجبه العقـل التحرز من ذلـك؛ و على هـذا الوجه يوصف كل من يقـدم على المعاصـى بأنه جاهل و لا يراد بذلك الاعتقاد الذى هو جهل فلذلك قال تعالى (ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ) ما فائدة ذلك و اللّه عليم بكل شـىء. و جوابنا انه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ ما سيحدث من الامور. لكن تستدل الملائكة متى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۲

وجـدته على علمه و قـدرته و هـذا كما يحاسب يوم القيامـة و يوكل الحفظـة بالمكلف لاحصاء ما يأتيه و يفعله ليكون مصـلحة له فى الدنيا و تبكيتا له فى الآخرة.

[مسألة]

و ربمـا قالوا فى قوله تعالى (وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ) أنه يـدل على جواز المكان له. و جوابنا ان المراد فوقهم فى القـدرة و القهر لا فى المكان و لذلك قال بعده (وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) الى غير ذلك مما يدل على قدرته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) فجمع و قال فى موضع آخر (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ) فوحد و ذلك مناقضـة. و جوابنا ان ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح و له جمع عظيم من الملائكـة يأمرهم بـذلك فلا مناقضـة فى هذا الباب.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ) كيف يصح و المكان مستحيل عليه. و جوابنا ان المراد ردوا الى حيث لا مالك و لا حاكم الا هو و قد تقدم نظائر ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (مَوْلاهُمُ الْحَقِّ) كيف يصح ذلك و ليس يثبت مولى باطل فيتميز مولى الحق عنه. و جوابنا ان المراد (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ) أنه الذى خلقهم فأحياهم و بلغهم هذا الحد و لا يجوز أن يشاركه غيره في ذلك و هذا هو المراد و لذلك قال بعده (أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ) فانه اذا جعل المكلف بهذه الأوصاف جازاه في الآخرة بحسب ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) أما يدل ذلك على انه تعالى أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس. و جوابنا ان قوله (مِنْكُمْ) لا يدل

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۳

على المشاركة في انه من الجن بل قد يجوز أن يريد المشاركة في أنه من المكلفين العقلاء الذين يصلحون لذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أن هذا يدل على المنع من النظر في الأدلة. و جوابنا أن المراد خوضهم في الآيات على وجه الرد و الوقيعة كما كان كثير منهم يفعله و كيف يصح ذلك و قد بعث صلّى اللّه عليه و سلم بالآيات في الدعاء اليه.

[مسألة]

و ربما قالوا في قوله تعالى (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي) أ ليس ذلك كفرا من قائله فكيف يجوز ذلك على ابراهيم. و جوابنا ان ذلك في حال النظر ذكر على وجه الاستدلال لا على وجه الخبر و لذلك قال بعده (فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) فاستدل بحركته و غيبته على انه ليس برب و كذلك قال في الشمس و القمر و قال في آخره (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فعرفه تعالى استدلالا بالسماوات و الأرض كما نقل عنه الاستدلال على اللّه تعالى و قد قيل إن المراد بقوله هذا ربى على وجه الاستفهام و النظر و مثل ذلك قد يتفق من المستدل.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ تُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً) و ان ذلك يدل على انه تعالى يجوز أن يشاء الشرك. و جوابنا ان المراد إلا أن يشاء ربى شيئا مما أخافه، فرجع الاستثناء الى أسباب الخوف لا إلى الشرك. و لذلك قال بعده (وَ كَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ) و قال بعده أيضا «فأى الفريقين أحق بالأمن» فنبه بذلك على انه لا يخاف الا ما يكون من قبل

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۴

اللّه تعالی دون ما یتوهم للاصنام ثمّ قال بعده (الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَمْ یَلْبِسُوا إِیمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِکَ لَهُمُ الْأَمْنُ) فبین ان الأمن فی الآخرهٔ و الاهتداء الی الثواب انما یحصل لمن یتحرز من الظلم و کل المعاصی تعد فی الظلم و لذلک قال تعالی (إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ) ثمّ بیّن قوله تعالی (وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلی قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) الی آخره ذکر الانبیاء ثمّ قال بعده (ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) فبیّن أن الحجهٔ علی توحید اللّه واحدهٔ فی الانبیاء و غیرهم. ثمّ قال من بعد (وَ لَوْ أَشْرَکُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما کانُوا یَعْمَلُونَ) فبیّن أن الشرک یحبط کل هذه الطاعات ثمّ قال (أُولئِکَ الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) فنبه بذلک ان الدلالهٔ واحدهٔ.

[مسألهٔ]

و ربما سألوا عن قوله تعالی (وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیَّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) أ لیس ذلک دلالهٔ علی أنه خصهم بالهدی. و جوابنا ما تقدم من أنهم لما قبلوا خصهم بالذکر.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ) کیف یصح و لیس فی الناس من یجعل للّه شریکا من الجن. و جوابنا ان المراد انهم جعلوا الملائکهٔ شرکاء الجن من حیث اتفقوا فی انهم لا یرون. و قیل ان ابلیس یعبده کثیر من الناس کالشریک للّه علی ما یحکی عن بعض المجوس.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ) و عن قوله تعالی (اللَّهُ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ) و قالوا یدل ذلک علی صحهٔ قول المجبرهٔ. و جوابنا عن ذلک ان المراد و خلق کل شیء مما یوصف بأنه مخلوق لان کل ذلک من قبل اللّه تعالی و هذا کقول القائل

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۵

أکلت کل شیء یرید مما صح کونه مأکولا فلا یدل علی ما قالوه و قد أجیب عنه بأن المراد التکثیر و المبالغهٔ لا أنه عموم فی الحقیقهٔ کقوله تعالی (یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ) و قوله (وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ) و ذلک مذهب العرب فی المبالغهٔ و بین ذلک قوله (الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ) فبیّن حسن ما خلق فلا یصح أن یضاف الیه شیء من القبائح و قیل أیضا ان المراد قدر الأشیاء لا أنه أوجدها و أحدثها فما هو من فعله قد قدره و ما لیس من فعله قدره أیضا بأن بیّن أحواله و ذلک کقوله تعالی (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِینَ) و المراد الأخبار عن حالها، فأما دلالهٔ قوله عز و جل (لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ) علی أنه تعالی لا یجوز أن یری بالأبصار فبیّن و ذلک مشروح فی الکتب و أما قوله تعالی (وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ) فالمراد به لطیف الفعال لان اللطف علیه فی ذاته یستحیل کما یستحیل علیه الصغر تعالی اللّه عن ذلک، و قوله تعالی من بعد (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَکُوا) فالمراد به لو شاء أن یمنعهم و یحول بینهم و بین الاختیار لما وقع الشرک منهم و یحتمل و لو شاء ان یلجئهم الی خلاف الشرک لما أشرکوا و من عظیم آداب القرآن قوله تعالی (وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَیَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ) فنهاهم عن سب آلهتهم لئلا یقع منهم ذکره تعالی بما لا یلیق به علی وجه المقابلهٔ لأن من ظن أنه اذا سب آلهتهم وقع منهم ذلک یکون قد أغراهم بهذه المعصیهٔ.

[مسألهٔ]

و ربما قالوا فی قوله تعالی (کَذلِکَ زَیَّنَّا لِکُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) أ لیس ذلک یدل علی انه تعالی قد زین عمل الکفار و العصاهٔ و ذلک

بخلاف قولكم و قول المسلمين. و جوابنا ان المراد به ما ألزمهم تعالى من العمل و شرعه لهم و ليس المراد ما وقع منهم و على هذا الوجه يقول الوالد للولد قد زينت لك العمل الذى رسمته لك فخالفتنى فيسمى ما لم يقع منه عملا من حيث الامر و الالزام و بين ذلك قوله تعالى من بعد (ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۶

فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» على وجه الدفع لهم عن الكفر و غيره فكيف يصح أن يكون مع ذلك مزينا لما فعلوه و قد بيّن تعالى فى غير موضع أن الشيطان هو المزين لعملهم و قد قيل ان المراد زينا أعمالهم من حيث ميل الطبع و الشهوة و أمرناهم مع ذلك بالمخالفة و الجواب الأول أبين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ) ان ذلك يدل على انه تعالى يخلق فى قلوبهم الكفر و الايمان قالوا و يقوى ذلك قوله (وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

و جوابنا ان المراد بذلك أنه يجعلهم كذلك فى الآخرة فتقلب أفئدتهم و أبصارهم فى النار تنكيلا لهم و أما قوله (وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ) فالمراد أنه يخلى بينهم و بين ما اختاروه فلا يمنعهم كما نقول فيمن بصرناه برشده فلم يقبل قد تركناه و رأيه لأنا لم نكره ذلك منه و بين صحة ذلك قوله تعالى من بعد (وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا) فنبه بذلك على انهم خلاهم لعلمه بسوء فعالهم و انهم لا يعدلون الى الطريقة المثلى و معنى قوله (ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) ان يلجئهم الى الايمان لكن ذلك لا ينفع و انما ينتفعون بما يفعلونه اختيارا فيستحقون به الثواب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها) و ان ذلك يدل على أن مكرهم بكفرهم من قبله تعالى. و جوابنا ان المراد بينا ذلك من حالهم كما يقال فى الحاكم انه جعل الشاهد مزورا اذا بيّن ذلك من حاله و يقال ان المعتزلة جعلت المشبهة كفارا لما بينوا ذلك من حالهم كما يقال ان الحنفى جعل الوتر واجبا لما ذهب هذا المذهب فأما قوله تعالى (لِيَمْكُرُوا فِيها) فالمراد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۷

أنه جعلهم فى كل قرية و أمرهم بالطاعة و عاقبتهم هذا المكر و هذا كقوله تعالى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) و انما التقطوه لغير ذلك لكن لما كان مآل أمرهم الى العداوة كما يقال خلقت الدنيا للفناء لما كان ذلك عاقبتها و لذلك قال تعالى (وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ) فذمهم على ذلك.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً) كيف يصح ذلك عندكم و أنتم تقولون أراد من الكل الهدى و كيف يصح ذلك و نحن نعلم ان الكافر لا يكون ضيق الصدر بكفره بل ربما يكون أشرح بما هو عليه من المؤمن. و جوابنا ان المراد فمن يرد اللّه أن يهديه بزيادات الهدى كقوله تعالى (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) لشرح صدره للاسلام لان زيادات الهدى أحد ما يقوى صدر المؤمن على ايمانه و قوله (وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ) أى عن هذه الزيادات من حيث يعلم انه لا ينتفع يجعل صدره ضيقا حرجا فتضطرب عليه اعتقاداته الفاسدة اذا فكر فيها. و هذا يدل على قولنا فى

العدل إنه تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب إلى ثباته على الايمان من شرح الصدر بزيادات الادلة و يفعل بالكافر ما يكون أقرب الى ان يقلع عن الكفر من ضيق الصدر و الا فقد هدى الجميع بالأدلة و أزاح لهم العلة حتى لم يؤتوا الا من قبل انفسهم و كل كافر اذا فتشت عنه متى نوظر و كلم يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند ايراد الادلة عليه لكنه يكابر ظاهرا و يوهم انه على بصيرة و لذلك قال تعالى من بعد (كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ).

[مسألة]

و ربما سئل عن قوله تعالى (وَ كَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً) كيف يصح منه تعالى ان يوليهم مع ظلمهم أو ليس قد قال

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۸

فى سورة البقرة (لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). و جوابنا ان ذلك شبيه بقوله تعالى (وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) فاللّه تعالى يقوى الظالم على غيره من الظلمة ليدفعه عن الظلم و لو لا ظلمه لكان لا يمكنه من ذلك و ذلك ليس مخالفا لقوله تعالى (لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) اذ المراد بذلك النبوة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أما يدل ذلك على جواز المكان للّه تعالى. و جوابنا ان هذه الاضافة إضافة إعظام و إكرام كما يقال ان لزيد قدرا عظيما عند عمرو لا يراد به المكان و لذلك قال تعالى بعده (وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ) أو ليس فى ذلك دلالة على أن فى الجن و الانس الكفار من لا يخلد فى النار. و جوابنا ان المراد ما شاء اللّه ممن لا يبقى على كفره و لأنه تعالى (قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها) و من الجائز ان يؤمن بعضهم فقال (إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ) أ ليس يدل ذلك على وجوب حق يوم الحصاد خاصة. و جوابنا فى ذلك انه قد روى وجوب هذا الحق من قبل و انه نسخ بالعشر و الزكاة و روى أيضا ان المراد به نفس العشر لانه يدخل تحت قوله و آتوا حقه يوم حصاده، و التوقيت بذلك الوقت انما دل به على الايجاب و الكلام فى كيفية اخراجه يرجع فيه الى دليل الشرع.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) ثمّ قال فى آخره (ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ) كيف يصح ان يجازيهم على بغيهم بتحريم ما يحرمه و لهم فى اجتناب ذلك المحرم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۳۹

ثواب فيصير من هذا الوجه نعمة فكيف يصح أن يكون عقوبة. و جوابنا ان المراد جزيناهم على بغيهم بتحريم ذلك عليهم من حيث نعلم ان جزاء البغى لا يكون ما يؤدى الى النفع و الى الثواب و ذكر بعده ما بيّن به من وجوه أنه تعالى لا يريد الشرك و الكفر فقال

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ) و هذا مقالة المجبرة فقال تعالى (كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) و المراد كذب الرسل الذين دعوهم الى خلافه و هو قولنا انه تعالى لا يشاء الشرك و لا سائر القبائح ثمّ قال (حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا) و هو العذاب. و العذاب لا يذاق الا على القول القبيح ثمّ قال (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا) و لا يقال ذلك الا للمبطل ثمّ قال (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) و لا يقال ذلك للمحق ثمّ قال (وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) و المراد تقدرون ما يكون كذبا أو فى حكم الكذب كما قال تعالى (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) ثمّ قال بعده (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ) عاطفا على ما تقدم ثمّ قال (وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ) بين به انه انما أراد خلاف الشرك منهم اختيارا ليفوزوا بثوابه و لو شاء ان يهديهم لهداهم اجمع. ثمّ انه تعالى عهد الى عباده بعهد جامع و وصاهم به فقال (قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) و من تأمل هذه الآيات و عمل بها اغنته عن كل دليل ثمّ قال فى آخره (وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) فبين ان كل ما تقدم ذكره من وصاياه جل و عز لعباده و الوصايا فى الشاهد يجب القيام بحقها فوصية اللّه تعالى أولى بذلك خصوصا و انما وصاهم بذلك لحظهم و لما يعود عليهم من النفع.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۰

(عَشْرُ أَمْثالِها) كيف يصح ذلك فى كل الحسنات. و جوابنا انه قد قيل فى ذلك ان المراد به التفضل الزائد على الثواب فمنّ اللّه تعالى بذلك فى كل حسنة ترغيبا فى الطاعة و قيل فيه أيضا إن المراد فله عشر أمثالها فى أنها حسنة و ان كان الواحد من ذلك ثوابا عظيما و الثانى تفضل و هو دون ذلك الثواب فاذا تأولناه على هذا الوجه زال القدح.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) كيف يصح ذلك مع تقدم اسلام سائر الانبياء و أممهم. و جوابنا ان المراد بذلك و أنا أول المسلمين من قومى لأنه قد تقدم قوله (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) و معلوم أنه صلّى اللّه عليه و سلم كان أول من أسلم بذلك من أمته و قوله تعالى (وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) دليل بيّن فى أن الفعل للعبد و أنه لا يؤاخذ بما يكون من فعل غيره و أن قول من يزعم أن أطفال المشركين يعاقبون بذنوب آبائهم خطأ عظيم و معنى قوله (ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ) ان اليه المرجع خاصة دون غيره لا كما قد عهد فى الدنيا أن غير اللّه قد يرجع اليه فى الامور و لذلك قال تعالى (فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) و لو كان المراد الرجوع الى المكان لم يصح هذا القول و لم يكن فيه فائدة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ) بعد ذكر القرآن و هذا يوجب أنه آتاه الكتاب بعد القرآن و ذلك لا يصح.

و جوابنا أن لفظة ثمّ ربما دخلت لفظا لا معنى و يكون المراد ترتيب الاعراب و الاخبار كما يقال علمت فلانا العلم ثمّ ربيته فيكون قصده اعلام انعامه عليه لا ترتيب ذلك فكأنه قال ثمّ نعلمك يا محمد انا أتينا موسى الكتاب.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَإِنْ کَذَّبُوکَ فَقُلْ رَبُّکَمْ
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۱
ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ) أ لیس ذلک کالاغراء بالتکذیب. و جوابنا ان المراد لمن یتوب منهم و لذلک قال (وَ لا یُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ) و یحتمل فان کذبوک فقل ربکم عاجلا ذو رحمة واسعة فی الرزق و غیره فیمهل و یرزق و لا یعجل بالعقوبة. و یحتمل فقل ربکم ذو رحمة واسعة علینا و علی من خالفنا لا یرد باسه عنه.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقابِ) کیف قال ذلک و هو یؤخره الی الآخرة. و جوابنا انه وصف قدرته علی ذلک علی وجه الردع و لیس المراد بیان کیف یقع، و بعد فان سریع یستعمل علی وجه الاضافة الی ما هو أعظم منه فی المدة او لانه یعقب الموت ثمّ یقال بتقدیر السریع لان ما بین الامانة و الاعادة طویله کقصیره.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ کَذلِکَ زَیَّنَ لِکَثِیرٍ مِنَ الْمُشْرِکِینَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَکاؤُهُمْ) کیف یصح ذلک.
و جوابنا انه تعالی أخبر بذلک عن شرکائهم فقال شرکاؤهم لیردوهم فلا سؤال علینا فی ذلک.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۳

سورة الاعراف

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَلا یَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ) کیف یصح أن یقول لمحمد صلّی اللّه علیه و سلم و الحرج هو الشک و الشک لا یجوز علیه فی القرآن. و جوابنا أن ذلک نهی و قد ینهاه عز و جل عن المعلوم انه لا یقع کما قال اللّه تعالی (لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ) و بعد فلیس الحرج هو الشک فیحتمل أن یرید به لا یکن فی صدرک الضیق من القیام باداء القرآن و ابلاغه و لذلک قال بعده (لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ) و اذا بعثه اللّه تعالی علی الأداء و توعده علی ترکه فغیره بذلک أولی.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ کَمْ مِنْ قَرْیَةٍ أَهْلَکْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَیاتاً) کیف یصح بعد اهلاکهم أن یعاقبهم. و جوابنا ان المراد أهلکناها بما جاءهم من بأسنا کما یقال أهلکنا القریة فخربناها و لیس الاهلاک غیر التخریب و انما بیّن وجه التخریب و قد قیل ان فیه تقدیما. و تأخیرا فکأنه قال و کم من قریة جاءها بأسنا فأهلکناها.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ) کیف یصح ذلک و لم یمنع من أن لا یسجد و إنما منع من السجود.
و جوابنا ان المراد ما منعک أن تسجد و هو کقوله (لِئَلَّا یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتابِ) و المراد لکی یعلموا و کقوله (یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ أَنْ تَضِلُّوا) و المراد أن لا تضلوا فاذا کان تعالی أمره بالسجود کما قال (ما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۴

مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ) فقد نبه بقوله اذ أمرتک علی أن المراد ما منعک أن تفعل ما أمرتک و ذلک یدل علی قدرة ابلیس علی السجود کما نقوله و ان لم یفعله.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما یَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبَّرَ فِیها) لما ذا خص ذلک المکان بأنه لا یتکبر فیه دون غیره و التکبر محرم فی کل مکان. و جوابنا ان فی الأماکن ما یکون له منزلة فنفس المقام فیه یکون کالتکبر. فلما جعل تعالی ذلک الموضع مقرا للانبیاء جاز أن یقول ذلک لا أن التکبر یحسن فی غیره و لذلک قال بعده (فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِینَ).

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالَ أَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ) کیف یصح و قد کفر ابلیس أن یجیب دعاءه. و جوابنا ان فعل ما سأل العبد قد لا یکون اجابة متی فعل لا لمکان المسألة فی أنظاره بل لأن فی تبقیته مصلحة العباد لیتحرزوا من المعاصی و مصلحة له فی التکلیف.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالَ فَبِما أَغْوَیْتَنِی) کیف یصح من اللّه تعالی أن یفعل به أو بغیره ذلک و هو قبیح. و جوابنا أن المراد بما أحرمتنی الثواب و خیبتنی منه و لیس المراد به الضلال بل المراد به الحرمان و لذلک قال بعده (ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ) الآیة و لا یلیق ذلک الا بأن یقول اذا أحرمتنی الثواب و خیبتنی و قطعت رجائی لأفعلن کیت و کیت.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ) کیف الحکم فی ذلک و هو کالغیب. و جوابنا أنه یجوز أن یکون

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۵

قد عرف ما سیکون من الناس من حیث أعلم اللّه بذلک الملائکة فقالوا (أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها). فجوابنا فی هذه المسألة کالجواب فی تلک المسألة.

[مسألة]

و ربما قیل اذا کان اللّه تعالی قد أخرجه من الجنة و قال لآدم (اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّةَ) فکیف یصح أن یوسوس کما قال تعالی (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّیْطانُ). و جوابنا أنه یجوز أن یخاطبهما و هو خارج الجنة و یجوز منهما أیضا أن یخرجا من الجنة فیراهما فلیس فی ذلک مناقضة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ) کیف یصح ذلک علی الأنبیاء. و

جوابنا أن الذى وقع منهما من الصغائر وقع على وجه التأويل لكن الأنبياء لما عظم اللّه من محلهم تعظيم الصغائر عند أنفسهم فعلى هذا الوجه (قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا) و قد يكون المرء بالصغيرة ظالما لنفسه من حيث حرمها الثواب الذى نقص لمكان الصغيرة و من حيث يجب عليه التأسف و الندم و لذلك غم عظيم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) كيف يصح ذلك و قوله للملائكة كان قبل ان خلقنا و صورنا. و جوابنا ان المراد خلقنا من هو أصلكم فذكر أولاده من حيث تفرعوا عنه فالمراد خلق آدم و هو كقوله جل و عز فى سورة البقرة لأهل الكتاب (وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ) و المراد آباؤهم الذين أولادهم لم يحصلوا على هذا الوصف.

تنزيه القرآن (۱۰)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۶

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ) كيف يصح و عندكم أنه قد هدى الجميع. و جوابنا ان المراد فى الآخرة و فى الآخرة يكون الهدى بمعنى الثواب كانه قال فريقا هداهم الى الجنة بحسن طاعتهم و فريقا حق عليهم الضلالة و ذلك اخبار عن حال ما يعاد لكى يكون أقرب الى الطاعة و لذلك قال بعده (إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعنى ان الضلالة حقت عليهم لهذه الطريقة التى كانت منهم فى الدنيا.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالى (وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ) أ ليس ذلك يوجب أن أحدا لا يقدر على قطع الأجل بالقتل و غيره على ما يقوله بعض المجبرة. و جوابنا ان الأجل هو الوقت الذى يعيش المرء اليه فسواء انقطعت حياته بالقتل أو باماتة اللّه تعالى إياه، فذلك الوقت هو أجله لا أجل له سواه، و العبد قادر على كل أحد، لكن ما المعلوم خلافه لا يقع لانه لا يصح أن يفعله.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ) كيف يصح الضعف فى العقاب و ليس العقاب مما يصح فيه الزيادة فان الزيادة عليه ظلم و جوابنا انهم أرادوا الدعاء عليهم بمزيد العقاب فليس من يضل و لا يضل و لا يقتدى به بمنزلة من يضل و يضل و معنى قوله تعالى (قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ) أنه لا أحد منهم الا و يستحق من العقاب زيادات على قدر معاصيه إما فى الوقت أو فى الأوقات.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ) كيف يصح ذلك و الجنة ما خلقت بعد و لا دخلوها و لا دخلوا النار. و جوابنا أن التقدير فى ذلك أنه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ أنى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۷

سأكلف الناس، فمن أطاع منهم أدخله الجنة و من عصى أدخله النار فعند ذلك ينادى أهل الجنة أهل النار. و ينادى أهل النار أهل الجنة و ليس كل ما كتب فى اللوح المحفوظ ينزله تعالى الى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا) كيف يصح و النسيان على اللّه تعالى لا يصح. و جوابنا أن المراد فاليوم لا نجازيهم بالحسنى كما لم يحسنوا بالطاعة و أهل اللغة يستعملون النسيان بمعنى الترك و حقيقته ما ذكرناه. و فى قوله (لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا) دلالة على أن كل آية ذكر اللّه تعالى فيها اللقاء و ذكر نفسه أراد به غيره من اليوم أو الثواب أو غيرهما.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ) كيف يصح ذلك و أبواب السماء لا تفتح لغيرهم أيضا. و جوابنا ان المراد لا تفتح لصحفهم التى فيها أعمالهم كما قال تعالى (إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) و ان كتاب الأبرار لفى عليين و تخصيصهم بالذكر لا يمنع من كون الفساق بمنزلتهم و قوله تعالى (وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ) و هو على وجه التبعيد يحقق أن دخولهم الجنة لا يقع و قوله من بعد (وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) يدل على ان الفاسق بمنزلتهم و ذلك اذا مات على فسقه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) ما فائدة هذا السؤال فى الآخرة و كلهم يعرفون ذلك. و جوابنا انهم قالوه على وجه التوبيخ لهم لا على طريق المسألة و التعرف و قوله (نَعَمْ) كالاعتراف بتقصيرهم فى الدنيا و انهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۸

أهل الانكار و التوبيخ و لذلك قال بعده (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ) كيف يصح وصفهم بذلك لأنه ان أراد أصحاب الأعراف فهم عالمون و لا يوصف العالم بأنه يدخل الجنة انه طامع و ان أريد أهل النار فهم عالمون بدخول النار فكيف يطمعون فى ذلك.

و جوابنا أن المراد به أصحاب الأعراف و يوصفون بالطمع و ان كانوا من أهل الجنة تحقيقا لذلك و لأنهم لا يعرفون وقت دخول الجنة فى حال شهاداتهم للناس و عليهم.

[مسألة]

و ربما سأل الحشو عن قوله تعالى (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ) ان ذلك يدل على أمر اللّه تعالى فى القرآن ليس بخلق و لا مخلوق.

و جوابنا ان المراد أن له الخلق و الأمر من نفس الخلق فهو الذى يبقيه أو يفنيه و يتصرف فيه كيف يشاء فلا يدل أفراده بالذكر على صحة ما قالوه من أنه لم يدخل الأمر تحته كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ) و الاحسان من العدل و ذلك كثير فى الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ) كيف يصح ذلك و معلوم أن الذى خبث أيضا من البلاد لا يخرج نباته الا باذن اللّه. و جوابنا ان المراد بذلك يخرج نباته موافقا للمراد و النفع لا نكدا و نبه جل و عز على ذلك بقوله (وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً) و ذلك نقصان فى الخروج و بيان النفع به لا يكاد يقع و ذلك مثل من اللّه تعالى لمن يعمل العمل الصالح و خلافه ثمّ ذكر تعالى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۴۹

قصص الأنبياء و أنهم دعوا الأمم الى معرفة اللّه تعالى و خوّفوهم عذابه و أن نوحا صلّى اللّه عليه و سلم قال لقومه (إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ان لم تعبدوه و انهم قالوا له إنّك فى ضلال مبين و أنه قال لهم (لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) و هذه الجملة يعرف بها رفق الأنبياء و حسن دعائهم الى الدين و انهم بدءوا بالدعاء الى معرفة اللّه و عبادته و أنهم نزهوا أنفسهم عن الطمع فى هذه الحياة و فيها اذا تأملها المرء ما يعتبر به و يعرف آداب الأنبياء صلّى اللّه عليهم و سلم فى الدعاء الى الدين و صبرهم على ما نالهم من الامم فيقتدى بهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى فى قصة صالح (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ) ثمّ قال (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي) كيف يجوز أن يقول لهم ذلك و قد هلكوا بأخذ الرجفة لهم. و جوابنا أن فى ذلك تقديما و تأخيرا و مثل ذلك يكثر فى الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ) ثمّ قال تعالى (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً) كيف يصح ذلك و معلوم أنه لغير المؤمنين أيضا و جوابنا أنه أراد بقوله (الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ) قد نبه على ان ذلك لكل العباد فمراده أخيرا هو أنها للمؤمنين فى الحال و فى العاقبة و لذلك قال (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ) فان من نال شهوته عاجلا و عاقبته النار لا يعد ما ناله نعمة عليه و قيل ان المراد بذلك ما حرموه من البحيرة و السائبة فبين انها من الطيبات للمؤمنين من حيث عرفوا أنها من رزق اللّه تعالى.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۰

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ) و ذلك كالمدح لهم و كيف يصح ذلك فى الكفار. و جوابنا أن المراد ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور فى الكتاب. و قيل ينالهم نصيبهم من نعم الدنيا و قوله تعالى من بعد (أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عند معاينة العذاب يدل على ما قلنا لأنه بيّن به أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم عند نزول العذاب بهم.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا) أ ليس هذا يدل على أن ملتهم كان عليها شعيب من قبل و ذلك كفر لا يجوز على الأنبياء. و جوابنا قد يقال عاد في كذا اذا ابتدأه كما يقال أن زيدا عاد الى ما يكرهه أو يحبه و ان كان من قبل لم يفعل و قد صح ان الكفر و الكبائر لا يجوزان على الأنبياء صلّى اللّه عليهم و سلم فالمراد اذا أو لتدخلن في ملتنا على وجه التهديد قالوه لشعيب فكان جوابه صلّى اللّه عليه و سلم (قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا) أ ليس يدل ذلك على تجويز أن يشاء اللّه عودة شعيب الى ملتهم مع أنها كفر. و جوابنا ان المراد بذلك التبعيد فعلقه بالمشيئة التي يعلم أنها لا تكون كقوله تعالى (وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ) و يحتمل أنه أراد الملة التي هي الشرائع و يجوز أن يعبد اللّه بمثلها بعد النهي عنه على وجه النسخ.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۱

مِنَّا) كيف ذلك من موسى صلّى اللّه عليه و سلم مع علمه بأنه لا يؤخذ بذنب غيره. و جوابنا أنهم سألوه رؤية اللّه تعالى و لم يقنعوا بما يكون من قبل اللّه تعالى فلما سأل صلّى اللّه عليه و سلم بقوله (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) لقومه لا لنفسه قال تعالى (لَنْ تَرانِي) و أكد ذلك بقوله (وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي) فشرط استقراره فلما لم يستقر بأن جعله دكا عند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم (وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ) قال هذا القول توبيخا لقومه لأن اللّه عز و جل أخذه بذنب غيره و لذلك قال (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) يعني شدة التكليف و قد كان سأل اللّه الرؤية لقومه و لم يأذن جل و عز له في ذلك و الانبياء صلّى اللّه عليهم و سلم لا يسألون ربهم ما يرغبون الا بعد الاذن فعلى هذا الوجه قال ما قال.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) ثمّ قال (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) و بعض ذلك يخالف بعضا. و جوابنا ان المراد بذلك الرحمة الخاصة التي هي الثواب و ما تقدم و ما تأخر يدل على ذلك لأنه قال من قبل (قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي) فقرنها الى العذاب و قال بعده (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) ثمّ وصفهم بالوصف العظيم و إنما قال (وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) أنها لو قدرت لكل واحد لوسعته أو قاله أيضا على وجه التكثير و المبالغة.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ) أ ليس ذلك كالمدح لليهود. و جوابنا أنه مدح من كان على ملته في أيام حياته لأن تكذيبهم بعيسى و محمد حدث من بعده. و يحتمل أنه مدح لقوم يؤمنون بمحمد صلّى اللّه عليه و سلم.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۲

(كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) كيف يصح ذلك و قد آمن بعضهم. فجوابنا أن ذلك خبر عن قوم مخصوصين بيّن ذلك بقوله تعالى من قبل (تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) و اذا كان خبرا عن قوم لم يصح هذا الالزام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً) كيف يصح ان يمنع من الوعظ و الدعاء الى الخير. و جوابنا أن المراد بذلك اليأس من صلاحهم و تعريف القوم أن الوعظ لا يؤثر فيهم او على وجه التوبيخ للقوم لا انه منع من الوعظ و كيف يكون منعا. و جوابهم (قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يبين انهم وعظوا لتجويز التقوى.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالى (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) كيف يصح ان يتجلى و ليس بجسم و ما فائدة تجليه للجبل. و جوابنا ان المراد بهذا التجلى الاظهار و ذكر اللّه الجبل و أراد أهله فكأنه قال فلما بيّن لاهل الجبل أنه لا يرى بأن جعله دكا حصل المراد فيما سألوا و هذا كقوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و أراد على أهلها و كل ذلك بمنزلة قوله (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) و أراد أهلها.

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالى (سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) كيف يصح ان يصرفهم عن آياته و أدلته. و جوابنا أن المراد سأصرفهم عن الآيات الزائدة التى يفعلها تعالى لمن المعلوم أن ينتفع بذلك و يؤمن عنده و لذلك قال (وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها) و هو كقوله تعالى (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۳

فيزيده هدى لأنه ينتفع بذلك دون من لم يهتد و ان كان الكل سواء فى اقامة الحجة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ) أ ليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى و الضلال. و جوابنا ان المراد و من يهد اللّه الى الجنة و الثواب فهو المهتدى فى الدنيا و من يضلل عن الثواب الى العقاب (فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ) فى الدنيا و سبيل ذلك ان يكون بعثا من اللّه تعالى على الطاعة و كذلك قوله تعالى (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ) المراد من يضلله عن الثواب فى الآخرة و لا هادى له اليه و معنى قوله (وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ) انا نخلى بينهم و بين ذلك و ان كنا قد أزحنا العلة و سهلنا السبيل الى الطاعة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى و فى الخبر ان جميع بنى آدم أخذ عليهم المواثيق من ظهر آدم صلّى اللّه عليه و سلم كيف يصح ذلك. و جوابنا أن القوم مخطئون فى الرواية فمن المحال أن يأخذ عليهم المواثيق و هم كالذر لا حياة لهم و لا عقل. فالمراد انه أخذ الميثاق من العقلاء بأن أودع فى

عقلهم ما ألزمهم اذ فائدة الميثاق أن يكون منبها و ان يذكر المرء بالدنيا و الآخرة و ذلک لا يصح الا فی العقلاء و ظاهر الآية بخلاف قولهم لأنه تعالى أخذ من ظهور بنی آدم لا ـ من آدم، و المراد أنه أخرج من ظهورهم ذرية أكمل عقولهم فأخذ الميثاق عليهم و أشهدهم على أنفسهم بما أودعه عقلهم.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها) كيف يصح فيمن يؤتيه اللّه تعالى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۴

من الآيات و النبوّة أن ينسلخ من ذلک. و جوابنا أن ذلک لا يصح فی الانبياء و المراد من آتاه اللّه العلم بالأدلة و فضله بذلک ثمّ انسلخ منه و ذلک مما يصح و هذه طريقة كثير من المضلين عن دينه فی المسألتين المتشاكلتين فی ذلک. و يحتمل ان المراد آتيناه آياتنا فأعرض عن النظر فيها فصار منسلخا عنها لأنه قيل ثمّ انسلخ.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (يَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ) ثمّ قوله (يَسْئَلُونَکَ كَأَنَّکَ حَفِيٌّ عَنْها) تكرار ذلک ما فائدته.

و جوابنا ان فی الاول سألوا عن وقت الساعة فبين ان يحكم بأن علم ذلک عند ربه تعالى و ان الصلاح أن لا يبين ذلک ليكون العبد الى الخوف أقرب و أراد بقوله ثانيا يسألونک كانک حفی عنها المسألة عن نفس الساعة فقد كان عالما بها فی الجملة فليس فی ذلک تكرار.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما) كيف يصح ذلک مع كونهم صالحين و انبياء و كيف التأويل فی ذلک. و جوابنا ان معنى قوله فلما آتاهما صالحا البنية الصحيحة فی الاولاد و لا يمتنع فی الصالح أن يكون كذلک و يقع منه الكفر و الشرک و ليس فی الظاهر ان ذلک وقع من آدم و حواء و انما المراد وقوع ذلک من الذكر و الانثى من الذرية فهو معنى قوله (جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ).

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) كيف يقول صلّى اللّه عليه و سلم ذلک مع زهده فی الدنيا و هی له معرّضة و جوابنا ان المراد لو كنت أعلم الغيب وقت خروجی من الدنيا لاستكثرت من الخير و الطاعة فقد كان صلّى اللّه عليه و سلم لا يعرف قدر أجله و لو عرف

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۵

لزاد فی الطاعات و ليس المراد لاستكثرت من الخير فيما يتصل بلذات الدنيا و قد يحتمل لاستكثرت من الخير فی دفع المضار عن نفسی و المؤمنين من أصحابی و لذلک قال بعده (وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

[مسألة]

و ربما سألوا عن قول اللّه تعالى (أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها) على وجه المحاجة لمن يعبد الاصنام كيف يصح ذلك و المعبود الذى هو الاله لا يوصف بهذه الصفات أيضا. و جوابنا أن فقد هذه الاعضاء و الحواس نقص فى الاجسام و وجودها فضيلة فى الأحياء، فصح أن يحاجهم بذلك و استحالة ذلك على اللّه تعالى هو الذى يوجب صحة الالهية لانها لو جازت عليه لكان محدثا فكيف يصح ما سألوا عنه.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله (خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ) كيف يصح أن يأمر بالمعروف و الجهاد و الاعراض عن الجاهلين و اجتماع ذلك لا يصح. و جوابنا أن المراد أن يأمرهم بالمعروف و يقيم عليهم الحجة فان هم ردوا ذلك فتجاهلوا أعرض عنهم و ذلك لا يتنافى و معنى قوله (وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ) التحرز من وسوسة الشيطان لان الشيطان لا يتمكن من الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و ربما كان الخطاب بذكر الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و المراد غيره.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۷

سورة الأنفال

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ) كيف يتعلق الانفال بالتقوى و اصلاح ذات البين. و جوابنا ان الانفال التى ملكها اللّه تعالى الرسول و أمره بوضعها فى حقها يحتاج فيها الى أن يتقوا اللّه و الى أن يصلحوا ذات بينهم فيعدلوا عن الميل و الحيف و أن يطيعوا اللّه و رسوله فى الرضا بما يأتيه و مفارقة السخط و ذلك نهاية فى الاحكام ثمّ وصف تعالى المؤمنين بما قال (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) فجعل من وصف المؤمن انه عند ذكر ربه يوجل قلبه فيخاف من تقصير فى عبادته و يرجو، و عند ذلك يصير المرء و جل القلب و عند تلاوة القرآن يزداد إيمانا بالعلم به و العمل. و يتوكل على ربة فيما يحصل له من الدنيا و فيما يكسبه من المال فيطلبه بالوجه المباح و لا يجزع اذا لم ينله بل يسير على الحال فلا يتعداه فيحصل متوكلا و ليس التوكل الكسل كما ظنه بعضهم. و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلم (لو توكّلتم على اللّه حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا و تروح بطانا) فجعلها متوكلة و ان طلبت و جعل من صفتهم اقامة الصلاة و الانفاق مما رزقوا و ذلك يدل على ان الرزق لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۸

يكون محرما لان الانفاق من المحرم ليس من صفات المؤمنين و كل ذلك يدل على ان الايمان قول و عمل و يدخل فيه كل هذه الطاعات و ان المؤمن لا يكون مؤمنا الا بأن يقوم بحق العبادات و متى وقعت منه كبيرة خرج من ان يكون مؤمنا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) هو كلام مبتدأ به غير تام لانه لم يتقدم و لم يتأخر عنه ما يشبهه به. و جوابنا ان هذا الجنس من الحذف ربما يعد فى كمال الفصاحة. فبشر اللّه نبيه بالنصرة التامة و جميل العاقبة يوم بدر كما سهل له الخروج من بيته من غير قصد الى المحاربة فهذا هو المراد و لذلك قال (وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ) و المراد ثقل الخروج

عليهم و قوة المشقة لا انهم كرهوا الخروج معه صلّى اللّه عليه و سلم. و معنى قوله (يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ) انهم يراجعونك للتبيين لا أنهم يخالفون ثمّ بين عظم المشقة بهذا الكلام و لم يكن القوم ألفوا الجهاد فان ذلك كان مبدأ الأمر بالقتال، فبين تعالى ان ذلك يؤديهم الى الخيرات من الغنائم و غيرها.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ) ما معنى ذلك و الحق لا يخفى فى نفسه. و جوابنا تحقيق ما وعدكم به من النصرة و الغنائم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) كيف وقع هذا التثبيت من الملائكة للمؤمنين. و جوابنا انه يحتمل أنهم عرفوا الرسول الرسول عرف المؤمنين تقوية قلوبهم و يحتمل انهم ألقوا ذلك الى المؤمنين بالخواطر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۵۹

اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى كيف يصح ذلك مع القول بأن اللّه تعالى لا يخلق أفعال العباد. و جوابنا أنه صلّى اللّه عليه و سلم كان يرمى يوم بدر و اللّه تعالى بلغ برميته المقاتل فلذلك أضافه تعالى الى نفسه كما أضاف الرمية أوّلا اليه بقوله اذ رميت و الكلام متفق بحمد اللّه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ) كيف يصح أن يضم الصم البكم الى الذين لا يعقلون. و جوابنا أنه تعالى ذكر قبله (وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ) فذمهم على ترك القبول ثمّ شبههم بالصم البكم على طريقة اللغة فى مبالغة ذم من لا يقبل الحق فربما قيل فيه انه ميت كما قال تعالى لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى و لذلك قال بعده (وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ) يعنى القبول ثمّ قال (وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ) فذمهم نهاية الذم و قوله تعالى من بعد (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ) و هو بعث من اللّه تعالى على الجهاد فكما ذم من قعد عنه و لم يطع الرسول كذلك مدح من قام بحقه و أراد بقوله (إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ) أن الجهاد يؤدى الى حياتهم من حيث لولاه لقتلهم الكفار فهو كقوله (وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ) و يحتمل اذا دعاكم للامر الذى يؤدى الى حياة الابد و هو الثواب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ) بالاماتة و بغير ذلك فبعث على الجهاد قبل أن يرد عليهم ما يمنع من ذلك من موت أو غيره.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ) کیف یصح ذلک و المضار علی اللّه تعالی لا تجوز. و جوابنا ان اللّه تعالی

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۰

ذکر نفسه و أراد غیره علی مثال قوله تعالی (إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) لأنه قد ثبت أن خیانة الکافر للغیر إنما تکون بارادة السوء و المضار و ذلک لا یجوز علی اللّه تعالی و ذلک قوله تعالی (وَ تَخُونُوا أَماناتِکُمْ) لکنه من المجاز الحسن الموقع لأن الامانة لا تسلم اذا تخللها الخیانة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ ما کانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ وَ ما لَهُمْ أَلَّا یُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) کیف یصح ان ینفی ذلک أوّلا ثمّ یثبته آخرا. و جوابنا أنه تعالی نفی ذلک بشرط و أثبته مع فقد ذلک الشرط و ذلک متفق و قد قیل انه نفی بالاوّل عذاب الاستئصال و أثبت ثانیا عذاب الآخرة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لکِنْ لِیَقْضِیَ اللَّهُ أَمْراً کانَ مَفْعُولًا) أ لیس ذلک یدل علی ان کل فعل یقع بقضاء اللّه. و جوابنا ان الآیة نزلت فی وقعة بدر و انه اتفق لهم ما لم یظنوه من الجهاد و الظفر و ذلک لا شبهة فی أنه من قضاء اللّه کقوله تعالی (وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ) و قد یقال فی کل معقول انه من قضاء اللّه علی وجه الاعلام و الأخبار إما مجملا و اما مفصلا و قوله تعالی من بعد (لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَةٍ) یدل علی أن العبد الفاعل المختار و أنه بعد البینة اختار ما یؤدیه الی الهلاک و لو کان اللّه تعالی هو الخالق لذلک فیه لکان وجود البینة کعدمها.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ) قد أضاف موافقة بعضهم لبعض الی نفسه و ذلک بخلاف قولکم.

و جوابنا ان الاسباب التی بها یؤتلف کانت من قبله تعالی فأضاف الیه الائتلاف و هذا کما تضیف الی اللّه تعالی الرزق و ان کان المرء یسعی فی الاکتاب و أراد تعالی اعظام المنة علی رسوله صلّی اللّه علیه و سلم بما سهله من تألف القوم علی طاعته و موافقته

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۱

مع الذی کانوا علیه من المباینة الشدیدة و من الآنفة و الحمیة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا) کیف یصح ان یضیف ذلک الی الرسول صلّی اللّه علیه و سلم و هو منزه عن الرغبة فی الدنیا و لا یرید الا ما أراده اللّه تعالی. و جوابنا انه لم یضف ذلک الی الرسول صلّی اللّه علیه و سلم علی الحقیقة حتی یلزم ما ذکرته و انما نسبه الی غیره ممن کان بغیته الغنائم و قد یصح ایضا من الانبیاء إرادة عرض الدنیا من المباحات و ان کان تعالی یرید العبادات و معنی قوله تعالی (لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) فالمراد ما کتبه اللّه تعالی فی اللوح المحفوظ من کون ما وقع من باب الصغائر المغفورة و قیل لو لا کتاب سبق نزوله ما

أحدثتموه من الاسرى و الكتاب هو القرآن فآمنتم به و استحققتم بالايمان غفران صغائر ذنوبكم لمسكم فيما أخذتم من الامر عذاب عظيم.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً) أ ليس يدل ذلک علی حدوث علم من اللّه تعالی. و جوابنا انه تعالی يذكر العلم و يريد المعلوم من حيث صح أن معلوم العلم يكون علی ما تناوله و علی هذا الوجه يمدح أحدنا صاحبه و يقول قد علمت ما أنت عليه من الخير و الفضل و ذلک كثير فی القرآن.

تنزيه القرآن (۱۱)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۳

سورة التوبة

[مسألة]

و ربما سألوا عن قوله تعالی (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) ثمّ قوله (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) و انسلاخها بانقضاء المحرم و ذلک ينقض الأول. و جوابنا انه كان فی الكفار من له عهد و من لا عهد له و من له عهد يختلف عهده فقوله تعالی (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) هو لمن هذا عهده و قوله تعالی (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) هو لمن لا عهد له أو لمن ينقضی عهده بانقضاء هذه المدة فلا اختلاف بين الكلامين.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) كيف يتولون.

و جوابنا ان هذه اللفظة تفيد التهديد و المراد أنه تعالی قادر علی انزال العقوبة فلم لا يجوز عليه المنع و ما أكثر ما يرد فی القرآن هذا اللفظ علی الوجه.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) كيف يصح أن يستثنيهم لمكان العهد و ذلک لا ينجيهم من العذاب الاليم. و جوابنا ان قوله و بشر الذين كفروا يوهم أن الاقدام علی كل كافر بالقتل يجوز فانزال اللّه تعالی هذا الايهام بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ) و المراد لكن الذين عاهدتم من المشركين فليس لكم اذا وفوا الا الوفاء لهم و معنی قوله تعالی من بعد ان اللّه يحب المتقين ان الوفاء بالعهد يحبه اللّه و هو من باب التقوی.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۴

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) كيف يستقيم تشبيه سقاية الحاج بمن آمن باللّه. و جوابنا ان المراد أ جعلتم القيم بسقاية الحاج كمن آمن باللّه. أو يكون أ جعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن باللّه و مثل هذا

الحذف يحسن فى اللغة اذا كان الثابت فى الكلام يدل على المحذوف.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) ثمّ قوله (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ) كيف يصح فيمن يكفر باللّه تعالى أن يسوغ له الكفر ببذل الجزية. و جوابنا ان قتلهم لأجل كفرهم و هو شرعى لا عقلى و يجوز ان يكون الصلاح فى ذلك ما لم يعطوا الجزية. فاذا أعطوا حرم قتلهم و ربما يكون فى ذلك هدايتهم للاسلام اذا أقروا ثمّ سمعوا الشرائع و قد قيل ان قتلهم على الشرك لو لم يجز تركه لأدى الى الاكراه و قد قال تعالى (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ) فان قيل فأنتم متى قلتم ذلك فان فى الكفار من لا يرضى منه الا بالقتل فيجب أن يكون مكرها على الاسلام. و جوابنا انه لا كافر الا و قد يجوز أن يتخلص ببعض الوجوه و ان كان مقيما على الكفر فلا يلزم ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ) ما فائدة وصف قولهم بذلك و كل الاقوال هذا سبيلها. و جوابنا ان المراد به ان هذا القول لا حقيقة له لانه قد يوصف ما لا حاصل له من الأقوال بذلك و قد يقبل أحدنا على من يتكلم بما لا يصح فيقول هذا قولك بلسانك و لا تقوله عن قلبك و يراد به ما ذكرنا و لذلك قال بعده (يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) فبين ان ذلك من الافك الذى لا حاصل تحته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) كيف يصح ذلك و ليس

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۵

فيهم من يتخذ أحبارهم أربابا و انما يقول بعضهم ذلك فى عيسى فقط. و جوابنا ان المروى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم انه قال فى معناه انهم لما أطيعوا فيما أمروا به و نهوا عنه وصفوا بأنهم اتخذوا أربابا و ذلك صحيح فيهم و على هذا الوجه يوصف مالك العبد بأنه ربه اذا أطاعه فالأمر مستقيم و بين تعالى بعده بقوله (وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ان الطاعة و العبادة لا تحق الا للّه و كل من يطيع غيره فانما يطيعه بأمر اللّه فتكون طاعته طاعة للّه ثمّ قال تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ) فوصف باطلهم بهذا الوصف و قال تعالى (وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) فوصف الحق بهذا الوصف لصحته و بيانه ثمّ أردف ذلك بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ) فبين ان الذى يؤديه صلّى اللّه عليه و سلم هو الدين الحق و وصفه بأنه يظهره على الدين كله تحقيقا لقوله جل و عز (وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) ثمّ بين ما عليه الاحبار و الرهبان بقوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) فبين أن طاعتهم محرمة الا من أمر اللّه بذلك فيه على ما قلنا، ثمّ أتبعه بالوعيد العظيم لمن امتنع عن الزكاة بقوله تعالى (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ) و اكثر المفسرين على أن المراد به مانع الزكاة و بين أن الأموال التى منعت منها الزكاة (يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ) و ذلك من أعظم الوعيد.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) كيف خصها بالنهى عن الظلم و حال جميع

الشهور سواء فى ذلک. و جوابنا ان للاشهر الحرم التى هى رجب و شوال و ذو القعدة و ذو الحجة مزية فى أن الظلم فيها يكون اعظم كما أن لنفس

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۶

الحرم مزية على الاماكن فى الظلم فلذلک خصه بالذكر و لا يمنع ذلک فيما عداه انه بمنزلته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ) كيف يصح ذلک و قد أمرهم بالجهاد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. و جوابنا انه لما كان فى خروجهم مضرة على المسلمين لنفاقهم اذ كانوا يضمرون التخريب جاز ان يقول تعالى ذلک لان الصلاح فى صرفهم عن الخروج و لو خرجوا على الوجه الصحيح لما كره اللّه ذلک و لذلک قال تعالى بعده (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) و قال (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) و كل ذلک يشهد بصحة ما ذكرناه و بين تعالى بعد ذلک ما يدل على أنه مع الفسق لا يتقبل من المرء شىء من الطاعات فقال (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ) و التقبل لا يصح الا فى الطاعات فيدل ذلک على أن الفسق و الكفر لا يمنعان من وقوع الطاعة و ان منعا من التقبل.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح قوله تعالى (وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ) فى صفة المنافقين و فاعل الانفاق لا يجوز أن يكون كارها له. و جوابنا ان المراد أنهم يكرهون ذلک الانفاق على الوجه الذى أمروا و انما ينفقون خوفا و لا يمتنع ان يراد الشىء على وجه و يكره على وجه آخر كما يراد من الغير ان يصلى للّه و يكره منه أن يصلى على وجه الرياء و السمعة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ) كيف يصح ان يريد تعالى أن يعذبهم بأموالهم و أولادهم فى الدنيا. و جوابنا ان تكثير الاموال و الاولاد فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۷

الدنيا لا يكون عقوبة لان اللّه تعالى يفعله تفضلا أو مصلحة فى الدين لكنهما لما جاز أن يكونا فتنة و محنة و سببا للعقوبة من حيث يغتر المرء بهما فينصرف عن طريق الطاعة الى خلافه جاز أن يقول تعالى ذلک بعثا للعباد عن هذا الجنس من الاغترار و هذا كقوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) و يحتمل أن يريد أنه يعذبهم فى الآخرة بها فيكون التعذيب متناولا الآخرة دون الدنيا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) كيف يصح أن يأمر اللّه تعالى ببذل المال تالفا على الدين و متى صاروا الى الدين للمال لم ينتفعوا به. و جوابنا ان ذلک و ان كان فى الحال لا ينتفع به فقد يكون تلطفا فى الاستدراج اليه فيصير الواحد منهم بذلک من أهل الدين و قد أمرنا اللّه تعالى بأن نأخذ أولادنا بالصلاة لمثل هذا المعنى و ان كانوا لا ينتفعون بالصلاة و ليسوا مكلفين. و اختلف العلماء فى المؤلفة هل يدخلون الآن فى سهم من الزكاة فأكثرهم يمنع من ذلک لظهور الاسلام و قوته و استغنائه عن تألف قوم فى الذّبّ عنه

و المجاهدهٔ فيه و من العلماء من يقول بل سـهمهم ثابت ابدا و اذا وجد من ليس يقوى على الايمان و يظن أنه يصير من أهل القوهٔ فيه اذا دفع ذلك اليه فيكون حاله كحال سهم فى سبيل اللّه للذين يجاهدون.

[مسألهٔ]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) كيف يصـح ان يكون خيرا و ما يسـمع قد يكون الخير و الشـر و الصواب و الخطأ. و جوابنـا انه تعـالى قيـد ذلـك فقال بعـده (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَـهٌٔ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) فبين انه اذن يقبل ما تكون هذه صفته و قبول الخير و ما يؤدى الى الخير هو طريقهٔ الصالحين.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۸

يُرْضُوهُ) فـذكرهما ثمّ وحّد كيف ذلك. و جوابنا ان الواجب ان لا يذكر تعالى مع غيره بل يجب أن يفرد بالذكر إعظاما و قد روى انه صلّى اللّه عليه و سلم سـمع رجلا يقول اللّه و رسوله فقال اللّه ثمّ رسوله، و لـذلك قال تعالى بعـد ذكر نفسه و رسوله (وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) فأفرد ذكره و قد أفرد اللّه ذكر جبريل و ميكائيل عن الملائكهٔ تفخيما لهما و تعظيما، فما ذكرناه أحق و أولى.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ) كيف يصح ذلك و أكثر الفساق لا يوصفون بالنفاق. و جوابنا انه تعالى بيّن فى المنافقين انهم كذلك لأن جميع المنافقين هم فاسقون، و انما كان يحب ذلك لو قال ان الفاسقين هم المنافقون.

[مسألهٔ]

و ربمـا قيـل فى قوله تعـالى (خالِدِينَ فِيهـا هِيَ حَسْبُهُمْ) كيف يصـح ذلـك فى تعـذيب المنـافقين و انما يسـتعمل حسب فى الخير و يستعمل فى خلافه حسيب. و جوابنا ان المراد بـذلك الزجر عن النفاق كما تزجر من ينهمك فى شـرب الخمر، فتقول حسـبك هـذا الفعل فيكون على وجه الزجر لا على وجه الوصف و لـذلك قال تعالى بعـده (وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَـذابٌ مُقِيمٌ) ثمّ انه تعالى بعـد ذكر قصهٔ المنافقين ذكر ما يحقق عدله و حكمته فقال (فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَـهُمْ يَظْلِمُونَ) و لو كان الظلم خلقا للّه تعالى لكـان هو الظـالم دون أنفسـهم ثمّ ذكر بعـده جـل و عز طريقـهٔ المؤمنين فقـال (وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيـاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاـهَٔ وَ يُؤْتُونَ الزَّكـاهَٔ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَـيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) فوقف رحمته تعالى على من هـذه صـفته، و بين انهـا صـفهٔ المؤمنين و ان من ليس هو كـذلك لاـ يمـدح بالايمان، و بين انه وعـدهم جنات عـدن على ما وصف و وعدهم برضوان من اللّه و ان ذلك من باب الانعام الاكبر

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۶۹

و الاعظم. و بين ان ذلك هو الفوز العظيم لان من اوتى ذلك فقد أدرك نهايهٔ المطلوب.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ) كيف يصـح ذلك و من حكم المنافقين ان لا يجاهـدوا و ان يجروا

مجرى المؤمنين فى أحكام الدنيا. و جوابنا ان النفاق ما دام مكتوما فحاله ما وصفه فأما إذا ظهر فحال المنافقين فى المجاهدة كحال الكفار، و إنما ذكر تعالى ذلك عند ظهور نفاقهم على ما تقدم ذكره و لو صح ما ذكرته لحملنا مجاهدة المنافقين على غير الوجه الذى تحمل عليه مجاهدة الكفار.

و لذلك قال تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم بعد ذلك (وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ) و قال بعده (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ) فنبه بذلك على ظهور النفاق.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى فى وصفهم (وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ) و كانوا لم يزالوا على النفاق. و جوابنا أن المراد أظهروا الكفر بعد إظهار الاسلام و ذلك دلالة على ما قلنا من أن نفاقهم ظهر فأوجب اللّه تعالى فيهم ما تقدم ذكره، و لذلك قال تعالى بعده (وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) ثمّ قال تعالى بعده (وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا) فنبه بذلك على عظم الذم فى نقض العهد و المواثيق و أن من نقضه يكون أعظم حالا ممن ابتدأ بذلك.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله جل و عز (فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) فأضاف نفاقهم الى نفسه و أنه أدامه فيهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۰

كيف يصح ذلك مع حكمته. و جوابنا أنه تعالى لما خلاهم و نفاقهم و لم يلطف بهم من حيث كان المعلوم أنه لا لطف لهم لتقدم النفاق فيهم جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه و ذلك قوله (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ) و المراد به التخلية و لذلك قال تعالى بعده (بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ) فبين أن المراد هو ذلك لا أنه خلق فيهم النفاق و قال تعالى بعده (وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ) و كل ذلك لا يليق الا بزجرهم عن النفاق و لو كان هو الخالق لذلك فيهم لما صح و لذلك قال تعالى بعده (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فبين أن استغفاره لا يؤثر و كذلك سائر الالطاف (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ) لان تقدم ايمانهم صير ما يفعله لطفا لهم فاذا لم يتقدم حرموا أنفسهم ذلك و خرجوا بسوء اختيارهم عن أن يتأتى فيهم اللطف فيكون ذلك كالجناية منهم على أنفسهم و هو معنى قوله تعالى (كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) و يقال ان المعاصى اذا اجتمعت و كثرت بلغ القلب فى القسوة ما لا تؤثر فيه الالطاف.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً) كيف يصح مع ذلك أن يقول (وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) و ذلك كالمتناقض. و جوابنا أن الكلام اذا اتصل دل آخره على أوّله فالمراد بذلك البعض و يحتمل أن يراد بالاعراب من امتنع عن المهاجرة فقد كان يقال مهاجر و اعرابى. و بين ذلك قوله تعالى (وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ) فميزهم من الأعراب الذين أرادهم بهذه الآية.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۱

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ما فائدة ذلك و اللّه تعالى يقبل التوبة ممن لم يعمل الا السيئات كما يقبلها ممن خلط الصالح بالسيّئ. و جوابنا أنه تعالى نبه بقوله (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) على وقوع التوبة منهم و الندامة فلذلك خصهم بقبول التوبة لا أنه نفى قبول التوبة عن غيرهم ممن ذكره تعالى بقوله (وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) لأن هؤلاء لم يتوبوا بل أصروا فلذلك قال تعالى (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) لأنهم اذا بقوا فاما أن يصروا فالعذاب و إما أن يتوبوا فتوبتهم مقبولة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها) كيف يصح الأخذ من قبل الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و بفعل غيرهم لا يلحقهم المدح حتى يوصفوا بأنهم مطهرون مزكون و كيف يقول (وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ). و جوابنا ان المراد بذلك من تاب و قبل اللّه توبته. فبين أنه اذا أخذ منهم الصدقة فهذه حالهم و أمره بأن يدعو لهم بالرحمة و الثواب و هى معنى قوله (وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ) و لذلك قال بعده (أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) و المراد بهذا الاخذ القبول و ذلك لا يليق الا بالمؤمن التائب الذى يسر و يرضى بما فعله الرسول صلّى اللّه عليه و سلم من أخذ الزكاة منه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ) كيف يصح من الرسول و المؤمنين أن يعلموا أعمالهم و لا سبيل الى ذلك لا فيما بطن و لا فيما ظهر. و جوابنا أن المراد الاعمال الظاهرة التى يشهد الرسول بها و يشهد المؤمنون كما ذكره اللّه تعالى فى الشهداء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۲

أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ) كيف يدخل قتل الكفار لهم فيما به يستحقون المدح و ذلك كفر منهم. و جوابنا ان قتل الكفار لهم يتضمن وقوع الصبر الشديد على الجهاد فيدل على هذه الطاعة العظيمة فلذلك ذكره تعالى و على هذا الوجه الذى ذكرناه يوصف المقتول فى الجهاد بانه شهيد لما دل القتل له على ما ذكرناه و دل تعالى بقوله فيما بعد (التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) على ان المؤمن لا يتكامل كونه مؤمنا الا بهذه الخصال و نبه تعالى بقوله (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ) على انهم مستحقون العقاب لا يجوز لنا أن نستغفر لهم و نترحم عليهم و انما يجوز ذلك فى المؤمن الذى نقطع بايمانه أو تظهر منه دلالة ذلك و دل تعالى بقوله (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ) على انه تعالى يريد بالضلال المضاف اليه العقاب و ما شاكله فلذلك قال (حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) فنبه على ان اضلاله بالعقاب لا يكون الا بعد هذا البيان و أضاف الايمان و الكفر الى السورة فى قوله (وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً) الى آخر الآية على وجه المجاز لما كان الايمان منهم عند نزولها و لما كان الرجس و الكفر من الكفار عند نزولها و ذلك معلوم و هو كقوله تعالى (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) اذ معلوم لكل واحد ان المراد أهلها و زجر تعالى عباده بقوله (أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) فبين أنه لا يدع بما ينزل بهم من الامراض و المصائب و المحن سترا يحجبهم عن الطاعة و التوبة و هم مع ذلك غافلون و ذلك زجر عظيم عن الاعراض و ترك التوبة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۳

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ان ذلك يدل على أنه جل و عز يصرفهم عن الطاعة فما تأويل ذلك. و جوابنا أن المراد ثمّ انصرفوا بترك الطاعة و التوبة صرف اللّه قلوبهم أى عاقبهم على انصرافهم كما قال تعالى «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ») و قوله (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) ان هذا كالنص في انه تعالى خلق الكفر فيهم. و جوابنا أنهم كانوا يؤخرون الحج من شهر الى شهر، فبين تعالى انهم يضلّون بذلك لا ان اللّه تعالى يفعله فالاضلال منسوب اليهم لا اليه تعالى.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) ان ذلك يدل على أنه يمنعهم من الطاعة. و جوابنا ان كلامنا في الطبع و انه علامة كالختم و انه لا يمنع من الايمان كما تقدم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۵

سورة يونس

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ) ان ذلك كالنص في انه تعالى جسم يجوز عليه المكان. و جوابنا ان المراد بالاستواء الاستيلاء و الاقتدار كما يقال استوى الخليفة على العراق و كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

و قد ثبت بدليل العقل أن ما يصح عليه الاستواء من الأجسام. و لا يكون إلا محدثا مفعولا فلا بد من هذا التأويل (فإن قيل) فلما ذا قال اللّه تعالى (ثُمَّ اسْتَوى و معلوم أن اقتداره لم يتجدد. و جوابنا ان ثمّ في اللفظ دخلت على الاستواء و المراد دخولها على التدبير و هو قوله (ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) و التدبير من اللّه تعالى حادث.

و متى قيل فلما ذا خص العرش بالذكر و هو مقتدر على كل شيء فجوابنا لعظم العرش و هذا كقوله تعالى (رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و ان كان ربا لغيرهما و معنى قوله بعد ذلك (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً) ان مرجع الخلق اليه حيث لا مالك سواه، كما يقال رجع أمرنا الى الخليفة اذا كان هو الناظر.

في أمرهم و ليس المراد بذلك المكان.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۶

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا) ان ذلك يدل على جواز لقائه بالرؤية و المشاهدة. و جوابنا ان المراد لا يرجون لقاء ثوابنا و اكرامنا و لا يرجون المجازاة على ما يكون في الدنيا و هذا كقوله (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) و كقوله (إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) و بعد فقد يقال لقى فلان فلانا و ان لم يره و قد يوصف بذلك الضرير اذا حضر غيره و قد يرى الرجل غيره من بعد و لا يقال لقيه، فليس معنى اللقاء الرؤية و لذلك قال تعالى بعده (وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها) فنبه بذلك على ان المراد انهم لا يؤمنون بيوم القيامة و قوله تعالى بعد ذلك (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ) يدل على أن الهدى هو الثواب فيكون حجة على ما نتأول عليه و ربما قيل في قوله تعالى (فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ) ان ذلك يدل على ارادته لذلك، و جوابنا أن المراد نخلي بينهم و بين ذلك و ان كنا لا نأمر و لا نريد الا الطاعة و هذا كقوله (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) و المراد التخلية و كما يقال أرسل فلان كلبه على من يدخل داره اذا لم يمنعه من الوثوب على الناس.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أ ليس في ذلك دلالة على أنه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون. و جوابنا أن المراد بذلك لننظر نفس العمل و هو تعالى يراه بعد وجوده و أما علمه فلم يزل و لا يزال.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ) فعمم ذلك ثمّ قال (وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) فخص كيف يصح ذلك. و جوابنا أنه يدعو إلى دار السلام الكافة و معنى قوله و يهدى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۷

من يشاء أى من قبل ما كلفه دون من لم يقبل. و يحتمل ان يراد بهذه الهداية نفس الثواب فيكون قد دعا كل الخلق و أثاب من آمن منهم.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ) أ ليس المراد بها الرؤية على ما روى في الخبر. و جوابنا ان المراد بالزيادة التفضيل في الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه و هذا مروى و هو الظاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك و كيف يصح ذلك لهم و عندهم ان الرؤية أعظم من كل الثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى و لذلك قال بعده (وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ) فبيّن أن الزيادة هى من هذا الجنس في الجنة.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) كيف يصح ذلك و كثير من الأحكام يعول فيها على الظن و جوابنا أنه تعالى ذكر ذلك في محاجة من يعبد الاصنام في قوله تعالى (هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) إلى غير ذلك و الظن في هذا الحق لا يقبل و انما يقبل الاجتهاد.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ) ما الفائدة في هذا الجواب. و جوابنا أنه لا يقول ذلك على وجه الحجاج لكنه إذا أقام الحجة و استمروا على التكذيب صح أن يزجرهم بهذا القول، و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم يغتم بمثل ذلك فكان تسلية من اللّه تعالى له و ما بعده من قوله (أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ) و قوله (أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ) كل ذلك يدل أن المراد طريقة الزجر لهم ثمّ ذكر تعالى بعده بقوله (إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ان الظلم من قبلهم و لم تنزيه القرآن (۱۲)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۸

يؤتوا فيه إلا من جهة تقصيرهم و أنهم ممكنون من تركه و العدول عنه كما نقول في هذا الباب.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ قالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ) كيف يجوز من موسى أن يسأل ربه ذلك و أن يعتقد انه تعالى رزقهم لكى يضلوا.

و جوابنا أن المراد أنعمت عليهم بهذه النعم فسيروها سببا لضلالتهم فمعنى قوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) أن عاقبتهم ذلك كقوله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) و أما قوله تعالى (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ) فهو دعاء عليهم و قد ضلوا و يجوز أن يدعى على من قد ضل و كفر بضروب العقاب و يجوز أنه يدعو عليهم بالاخترام و الاماتة الذين معهما لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم في الآخرة لأنه من المعلوم أنه لا يؤمن أبدا كلما عجل اخترامه يكون عقابه أخف و بين تعالى بقوله (حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ) ثمّ قال (آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) أن الايمان مع الالجاء لا ينفع و انما ينفع و المرء متمكن من اختيار الطاعة و المعصية و داعيته مترددة بين الامرين.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ) كيف يصح في العلم ان يكون سببا للاختلاف و القول الباطل.

و جوابنا أن المراد بذلك انهم اختلفوا و قد أقام الحجة و أوضح الطريق لهم على جهة الندم لهم، و لذلك قال بعده (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۷۹

(الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز أن يقول تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) و معلوم ان الشك في ذلك لا يجوز عليه. و جوابنا انه تعالى ذكره و المراد من شك في ذلك على وجه الزجر أو قال ذلك لاهل الكتاب الذين يجوز أن يسألهم غيرهم عما في الكتب من تصديق محمد صلّى اللّه عليه و سلم.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا-يُؤْمِنُونَ) أ ليس ذلك يدل على ان تقدم كلمته تعالى يمنع من الايمان. و جوابنا ان المراد ان من المعلوم انه لا يؤمن و قد سبقت الكتابة من اللّه تعالى بذلك فى اللوح المحفوظ لا يؤمن لكنه انما لا يؤمن اختيارا و كما سبق ذلك فى الكتاب فقد سبق فيه أيضا انه يمكن من الايمان فيعدل عنه بسوء اختياره و لذلك قال تعالى (وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) و لو كان ذلك يمنع من الايمان لم يكن فى مجىء الآيات فائدة و قوله تعالى من بعد (وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) دلالة على انه لم يشأ إيمانهم على وجه الاكراه مع قدرته على أن يكرههم عليه و أنما سأل ذلك على وجه التطوع و الاختيار لكى يفوزوا بما عرضوا له من الثواب، و قوله تعالى من بعد (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) بعد تقدم ذكر العقاب يدل على ان من ليس بمؤمن من الفساق و الكفار لا ينجيهم اللّه من العقاب.

[مسألة]

و ربما قيل كيف جاز أن يقول موسى للسحرة (أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ) و ذلك معصية لا يحسن الأمر بها. و جوابنا انه قال لهم لا على وجه الأمر لكن على وجه التعريف بأنهم مبطلون و ان باطلهم ينكشف بما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۰

سيأتيه فهو قريب من تحدى الانبياء بالمعجزات.

[مسألة]

و ربما قيل ما فائدة قوله تعالى (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) و التنجية لا تكون الا بالبدن. و جوابنا ان المراد انا ننجيك خاصة دون غيرك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) كيف يفعل من ذلك ما لم يغن عنهم شيئا.
و جوابنا ان ذلك كالزجر من حيث ينصرفون عما فيه حظهم و يحتمل انه لا يغنى عنهم فى الآخرة اذا عوقبوا من حيث تركوا القبول.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) كيف يجوز و قد سألوه أن يقتصر على الجواب و اليمين دون الحجة. و جوابنا انه قد أقام الحجة و انما أراد منه الفتوى فأفتاهم و أكد ذلك باليمين.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۱

سورة هود

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) كيف يصح ذلك و التفصيل ليس بشىء غير الأحكام. و جوابنا أن اللّه تعالى كتب القرآن فى اللوح المحفوظ ثمّ أنزله مفصلا الى الرسول لا-جملة واحدة بحسب المصلحة فهذا معنى قوله ثمّ قال (ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) لانه تعالى أمر بانزاله على هذا الحال من التفصيل بعد إحكام الجميع و هذه الآية تدل على أن القرآن فعله تعالى من حيث وصفه بأنه أحكمه و ذلك لا يتأتى الا فى الافعال و من حيث وصفه بأنه فصلت آياته و من حيث وصفه بأنه من

لدن القديم تعالى و انما يقال ذلك فى الأفعال كما يقال ان هذه النعم من فضله و بين ما تقتضيه آيات الكتاب بقوله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) فبين ما تضمنه الكتاب و بين حال التائب و انه يمتعه متاعا حسنا (وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) و بين حكم المصر بقوله (وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ثمّ بين ان المرجع الى اللّه تعالى و المراد الى يوم لا حاكم و لا مالك سواه و هو يوم القيامة و بيّن بقوله تعالى (وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها) تكفله بإرزاق كل حى. و متى قيل فاذا تكفل بذلك فلما ذا يلزمه السعى. فجوابنا أن تكفله هو على هذا الوجه لا على حد الابتداء كما ان تكفله برزق الولد هو على وجه المباشرة لا على وجه الابتداء و بين ان كل ذلك مكتوب

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۲

فى الكتاب المبين و فائدة كتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ان الملائكة تعتبر بذلك و تعرف قدرة اللّه تعالى و علمه اذا وافق ما يحدث من الامور ذلك المكتوب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) ما الفائدة فى خلقهما فى هذه الايام و هو قادر على أن يخلقهما فى لحظة واحدة. و جوابنا انه تعالى خلقهما فى هذه المدة مصلحة للملائكة لكى يعتبروا بذلك كما انه قادر على جمع كل رزق لنا فى يوم واحد لكنه للمصلحة يفعله حالا بعد حال و لذلك قال بعده (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) و بين تعالى بقوله و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت انكارهم للاعادة و بين بقوله (وَ لَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ) استعجالهم بما كان يخوف به الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و بين آخرا بقوله (أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) ان ذلك مؤخر لانه تعالى حليم لا يعجل العقوبة و يمهل توقعا للتوبة و بين تعالى طريقة الانسان المذمومة بقوله (وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) فبين انهم عند الاحسان اليهم يفرحون فاذا نزع ذلك لمصلحة يوجد منهم كفر النعمة و اذا أجزل النعم عليهم يسلكون طريقة الفخر و الفرح دون الانقطاع الى اللّه و تعالى و التواضع له و ذلك تأديب من اللّه تعالى فيما ينبغى أن يفعله المرء عند الغنى و الفقر و فيما يكره منه و لذلك قال بعده (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فاستثناهم من القوم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) ما الفائدة فى هذا الابتداء و لا خبر له.

و جوابنا ان الخبر قد يحذف اذا كان كالمعلوم و المراد أ فمن كان بهذا الوصف كمن هو يكفر و لا يسلك طريقة العبادة و ما توجبه البينة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۳

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ) أنه يدل على جواز المكان عليه لان العرض لا يصح الا على هذا الوجه. و جوابنا أنهم لما عرضوا فى الموضع الذى جعله اللّه تعالى مكانا للعرض صح ذلك و معنى قوله تعالى من بعد (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ) انهم من حيث لم يقبلوا و لم ينتفعوا بما سمعوا و رأوا كانوا فى حكم ما لا يسمع و لا يبصر و لو أراد الحقيقة لما ذمهم من قبل بقوله (وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أن ذلك على أنه تعالى يريد الضلال. و جوابنا أن مراد نوح عليه السلام عند مخاطبة قومه بذلك انه ان كان تعالى يريد حرمانهم و خيبتهم من الفوز بالثواب و انزال العقاب فنصحه لا ينفع و ذلك احالة على المعلوم من حالهم أورده على وجه الزجر لهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) أ ليس فى ذلك دلالة على انه تعالى وعده تخليص ابنه مع القوم ثمّ لم يقع فكيف يصح ذلك. و جوابنا أنه تعالى قد كان وعد بنجاة أهله و أراد من آمن منهم و ظن نوح أن ابنه منهم و لذلك قال تعالى بعده (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) ان ذلك يدل على أن الطاعات
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۴
من فعل اللّه تعالى. و جوابنا أن التوفيق من فعل اللّه تعالى فى الحقيقة و هو ما يفعله مما يدعو العبد إلى العبادة كخلق الولد و الغنى و ما شاكله فنحن نقول بالظاهر و القوم لا يمكنهم ذلك إذ قالوا إن اللّه تعالى يخلق أعمال العباد لأنّ خلقه ذلك مما يغنى عن اللطف و التوفيق و المعونة و الهداية فكان ذلك على مذهبهم يحب أن لا يصح.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ) أ ليس ذلك يدل على انقطاع العذاب من حيث وقته بدوام السموات و الارض الذين يفنيان و أنتم تقولون بالخلود فكيف يصح ذلك.
و جوابنا ان للنار سماء و أرضا و كذلك الجنة و لا يفنيان فهذا هو المراد و قد قيل ان المراد بذلك تبعيد خروجهم فعلقه تعالى بما يبعد فى العقول زواله على مذهب العرب فى مثل قول الشاعر.
اذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ) ان ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود.
و جوابنا أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة قبل دخول النار و على هذا الوجه ذكر اللّه تعالى فى السعداء مثل ما ذكره فى الأشقياء فقال (وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ) و قوله تعالى من بعد لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم (فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ) على وجه الزجر لغيره على نحو ما قدمناه من قبل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۵

رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ) کیف یصح أن یوفیهم نفس العمل. و جوابنا أن المراد جزاء العمل من ثواب و عقاب و هو الذی یصح أن یفی به وعده.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ) کیف یصح ذلک و قد أبیح لنا مخالطتهم.

و جوابنا أن المراد الرکون الیهم فیما یتصل بالمدح و الاعظام و یجری مجری الموالاهٔ و لم یرد ما یتصل بالمعاشرهٔ و معنی قوله من بعد (إِنَّ الْحَسَناتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئاتِ) ان التوبهٔ تزیل عقاب المعاصی و کثرهٔ الطاعات تکفر السیئات و معنی قوله تعالی (وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّهً واحِدَهً) بالالجاء و الاکراه لکنه انما شاء منهم ذلک علی وجه الاختیار لکی یفوزوا بالثواب.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ) أ لیس ذلک یدل علی أنه خلقهم للاختلاف الذی فی جملته المعصیهٔ و ذلک یدل علی أنه تعالی مرید منهم ذلک. و جوابنا أن المراد للرحمهٔ خلقهم لانه قال (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ) فلذلک راجع الی الرحمهٔ لا الی الاختلاف و الرحمهٔ من اللّه تعالی لا تکون الا بارادته فکأنه قال و لکی یرحمهم خلقهم و هو أقرب مذکور الیه و قد ثبت بالدلیل أن الاختلاف الباطل لا یریده اللّه تعالی بل یکرهه أشد کراههٔ فقد نهی و زجر عن فعله.

[مسألهٔ]

و ربما سألوا عن قوله تعالی (ما مِنْ دَابَّهٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها) کیف یصح ذلک اذا لم یکن هو الخالق لتصرف الحیوان.

و الجواب عنه أن المراد أنه قادر علی تصریفها کما یشاء و العرب تذکر ذلک علی هذا المعنی فتقول ناصیهٔ فلان بید فلان.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۶

[مسألهٔ]

و ربما سألوا فی قوله تعالی (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِیمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْری یُجادِلُنا فِی قَوْمِ لُوطٍ) کیف یجوز منه و هو نبی أن یجادل الملائکهٔ فی ذلک. و جوابنا أنه جادل لیعرف ما لأجله استحقوا العذاب و هو أحد الوجوه التی یجادل المجادل لأجلها.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۷

سورهٔ یوسف

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی لرسوله (وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِینَ) کیف یقول ذلک و لم یکن موصوفا من قبل بذلک.

و جوابنا أن المراد من الغافلین عن هذه القصهٔ و ما شاکلها و الا فمعلوم من حاله صلّی اللّه علیه و سلم التیقظ لکل ما یتعلق بالدین.

[مسألهٔ]

و ربما قيل كيف قص يوسف رؤياه على يعقوب كأنه مصدق بها و كيف أمره أبوه بكتمان ذلك بقوله (لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ) كانه عالم بصدق الرؤية مع أنها قد تخطئ و تصيب و كيف قال (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) فأخبر عن أمر مستقبل لا يعرفه. و جوابنا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۸۹

أن مثل ذلك قد يعمل فيه بالظن فلا ينبغى أن لا يفعل الا اليقين و يحتمل انه عرف من اخوته من قبل ما يوجب أن يأمره بالكتمان و ما يعلم عنده انهم لو وقفوا على هذه الرؤيا لكادوا له و لو كان مثل ذلك لا يصح الا مع العلم لقلنا إنه تعالى قد أوحى اليه أما جملة و أما مفصلا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ) أ هو من قول يعقوب أو من قوله تعالى، فان كان من قول يعقوب فكيف عرف ذلك. و جوابنا انه من قول يعقوب و قد كان اللّه أعلمه ذلك، يبين ما قلناه قوله أخيرا (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ). فان قيل فاذا عرف ذلك فكيف يجوز أن يغتم على ما ذكره اللّه تعالى فى الكتاب و يخفى عليه حال يوسف. و جوابنا انه قد عرف ذلك من جهة اللّه تعالى على شرط أن يبقى، فلذلك كان خائفا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) كيف يجوز ذلك منهم و هم أنبياء أو مرشحون للنبوة. و جوابنا ان محل الولد من أبيه أن ينزله منزلة سائر أولاده فلا يقبح قولهم ان أبانا لفى ضلال مبين اذ مرادهم ذهابه عن انزالهم هذه المنزلة أيضا و بعد فلو قبح لكان ذلك قبل حال التكليف على ما يدل عليه قوله تعالى (أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ) لان هذا القول لا يليق الا بحال الصبى و فقد كمال العقل و قولهم (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ) انما صح أيضا لان الحال حال الصبا و فقد كمال العقل فكذلك سائر ما فعلوه بيوسف لما أرسله يعقوب معهم (فان قيل) كيف كانت الحال حال الصبا و قد قال تعالى بعده (وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ). و جوابنا انه يحتمل أن يكون بمنزلة قوله تعالى (وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۰

و يكون بطريقة الالهام أو اظهار أمارة و يحتمل فى هذا الايحاء أن يكون الى يعقوب لتقدم ذكر يعقوب.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) و ما معنى (وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) فكيف يصح منهم الكذب و وصف الدم بالكذب. و جوابنا انه يحتمل فى قولهم أكله الذئب انهم قالوه تعريضا لا خبرا على التحقيق و يحتمل أن يكونوا قد كذبوا لكنه وقع منهم فى حال الصبا فاما قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) فمن أحسن ما يوجد فى مجاز الكلام فانهم صوروه بخلاف صورته فصار كالكذب و يحتمل أن يكون المراد بدم واقع من كاذب على معنى قوله (وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً) أى أهلها و سكانها و قوله تعالى (وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً) يدل على ما قلناه من انه كان ذلك فى حال الصبا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها) أ ليس ذلك كان بعد البلوغ و النبوّة فكيف يصح من الانبياء العزم على الزنا. و جوابنا ان المراد بقوله (هَمَّتْ) العزيمة منها و بقوله (وَ هَمَّ) الرغبة و الشهوة و ان كان شديدا فى الانصراف عن ذلك و قد يقال هم فلان بكيت و كيت بمعنى اشتهى و يحتمل ما قيل انه هم بها لو لا أن رأى برهان ربه فنفاه عنه بشرط قد وجد و لذلك قال تعالى (كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ) و قال بعد ذلك بآيات حاكيا عنها انها قالت (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۱

(الصَّادِقِينَ) كيف يصح الحكم بمثل ذلك مع تجويز خلافه. و جوابنا انه لا يمنع فى شريعة ذلك الزمان الحكم بمثل ذلك و قد يجوز مثل ذلك فى شريعتنا أيضا فى أشياء كثيرة كالحكم بالقافة عند بعضهم و كإلحاق الولد بالفراش عند جميعهم و كرد للقطة بالعلامات عن بعضهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) كيف يصح ذلك من جماعة العقلاء حتى يتفق منهن قطع اليد عند مشاهدته. و جوابنا ان حديث يوسف اذا كان قد تمكن فى قلبهن لما سمعن من خبر امرأة العزيز و شدة كلفها به لم يمتنع و بين أيديهن فاكهة و معهن ذلك السكين أن يخرجن فى حال ارادتهن لقطع ذلك و أكله الى أن يقع منهن خطأ و ليس فى القرآن ان ذلك القطع كيف كان و فى أى موضع كان فى اليد و لا فى القرآن كم كان عدد النسوة و لا فيه ان ذلك وقع من جميعهن أو من أكثرهن و مثل ذلك لا يستنكر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى فى جواب منام الفتيين كيف يصح أن يقطع بذلك فيقول (أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ) و يقول (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) و ذلك كلام قاطع بهذا الأمر. و جوابنا انه يجوز أن يكون قاله من وحى، فقد كانت الحال حال نبوّة و لو لم يثبت ذلك لجاز أن يحمل على وجه الظن على أن الخبر فى ذلك كان يثبت لديه، فالقرآن يدل على ان نفس يعقوب و نفس ابراهيم صلّى اللّه عليهما و سلم كانوا قد أوتوا المعرفة بتأويل الرؤيا و قد قيل فى الخبر أنهما قالا بعد اظهارهما ما رأياه أنهما كذبا، فقال يوسف (قُضِيَ الْأَمْرُ) و ذلك لا يكون إلا عن وحى.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح و هو فى السجن أن يظهر أن آباءه ابراهيم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۲

و اسحاق و يعقوب و لا يظهر ذلك فى القوم و كيف يصح ممن نجا منهما أن لا يذكر يوسف الا بعد زمان و الا بعد رؤيا الملك أو

ليس كل ذلك نقيض العادات.

و جوابنا أن يوسف عليه السلام كان فى صورة العبد الرقيق لذلك الملك و كان يخاف أن يظهر من كلامه ما يدل على خلاف ذلك خاصـة فيمن كان خادما لذلك الملك و راجيا لان يعود الى الخدمة فلذلك أخفى نسبه فأما النسيان فقد يصح فى مثل ذلك اذا قل الحرص فى مثله فلذلك قال تعالى (فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) و قال (وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) ثمّ ما كان من جوابه لرؤيا الملك و موافقة الصدق فى ذلك، يدل على نبوّته.

[مسألة]

و ربما قيل أن يوسف لما أجاب فى رؤيا الملك (قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ) و لم يذكر له جواب الرؤيا، كيف يصح ذلك و جوابنا أنه فى هذه السورة قد ذكر تعالى أشياء حذف جزء منها اختصارا و لدلالة الكلام عليه و ذلك يحسن.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز و قد أمر الملك أن يخلص من السجن ان يختار أن يبقى فيه و يقول (ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) و قد كان يمكنه ان يخرج ثمّ يفتش عند ذلك. و جوابنا أنه رأى و قد أحب الملك حضوره عنده أن التفتيش عن ذلك يكون أقوى و موقعه أحسن فأوهم أنه لا يخرج من السجن إلا و قد ظهرت براءة ساحته كالشمس فلذلك قال ما قال فلما قلن ما قلن من قولهن (حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) أيقن بظهور أمره فيما كان اتّهم به فعند ذلك خرج الى حضرة الملك.

[مسألة]

و ربما قيل كيف جاز من يوسف ان يمدح نفسه فيقول

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۳

(اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) و مدح النفس مكروه و منهيّ عنه بقول اللّه تعالى (فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) و كيف يجوز للنبى أن يتولّى من قبل الكفار. و جوابنا أن مدح النفس عند الحاجة إليه يحسن فلا يكون المراد المدح بل يكون المراد ذلك الوجه الذى يقع به النفع و على هذا الوجه قال صلّى اللّه عليه و سلم «أنا سيّد ولد آدم و لا فخر» فنبه بقوله و لا فخر على أن مراده ليس مدح النفس فيوسف صلّى اللّه عليه و سلم أظهر ذلك لما كان فى توليته الخزائن من المصلحة خصوصا فى تلك السنين الشديدة فاما تولى ذلك من جهة الكفّار فانه يحسن اذا لم يمنع الشرع منه فان كان ذلك الملك كافرا فذاك حسن و ان كان مؤمنا فلا سؤال.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز فى اخوته و هم جماعة ان لا يعرفوا يوسف كما قال تعالى (فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) و ذلك بخلاف العادة فى الجماعة. و جوابنا أن القوم فقدوا يوسف و هو فى سن الصبى فتغير وجهه و قد كان لباسه أيضا من قبل بخلاف لباسه و قد صار له الملك و كذلك سائر أحواله و كان القوم يتهيّبونه عند المخاطبة لشدة الحاجة اليه و كلّ ذلك مما يجوز أن لا يعرفه القوم فيجوز أن حالته فى معرفته لهم بخلاف حالهم لتمكنه من الامور و فراغ قلبه لتأملهم.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز مع المجاعة الشديدة أن لا يكيل لهم مع الحاجة حتى يأتوا بأخيه و مثل ذلك لا يحل. و جوابنا أنه عرف أن الحاجة ليست فى ذلك الوقت و كان له بغية فى حضور أخيه و أنه سينتهى ذلك الى حضور أبويه أيضا فلذلك فعل.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز أن يخفى خبره عليهم المدة الطويلة مع قرب المسافة بين مصر و بين البدو الذى كانوا فيه حتى يجرى الأمر على ما ذكره تنزيه القرآن (۱۳)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۴

اللّه عز و جل فى كتابه. و جوابنا أن إخوة يوسف لما أقدموا على ما فعلوه فى أمر يوسف و جملة جماعة من السيارة و قد اشتروه بثمن بخس ظنوا فيه خلاف ما ظهر فقلّ تفتيشهم عنه و لما حمل و اشتراه ذلك العزيز لامرأته و اتخذاه كالولد كان كالمكتوم عن الناس مع حسن صورته و مثله ربما يخشى ظهوره ثمّ أقام محبوسا ما أقام و تردد فى المجلس فعمى أمره و قد طالت المدة فلذلك و لأمثاله خفى خبره على أبيه و إخوته فأما خبرهم فلم يخف عليه لأن الذى عامل به اخوته يدل على أنه كان بذلك عارفا و كان يتلطف فى تحصيل أخيه ثمّ أبيه بالوجوه التى أباحها اللّه تعالى و مثل هذا السبب قد يخفى عنده الخبر فلذلك خفى على يعقوب و على اخوته خبره (فان قيل) كيف يجوز مع شدة محبة يعقوب أن لا يفتش عن خبره و قد كان قال لهم ما يدل على أنه اتهمهم فى أن الذئب أكله. و جوابنا أن يعقوب ما كان يعرف الاخبار الا من جهة أولاده لأن سائر الناس كان يقبض عنهم و أولاده كانوا لا يفتشون عن ذلك لأن سبب الجناية كان منهم و ظنوا أنه مفقود فى الحقيقة و لأن شدة حزنه و ما لقى من المحن فى تلك السنين كان يشغل عن مثله (فان قيل) كيف يجوز من يعقوب و هو نبى ان يحزن كل ذلك الحزن على يوسف أو ليس ذلك يصرف عن أمور الآخرة. قيل له قد أبيح للوالد محبة الولد و السرور بأحواله خصوصا اذا كان الولد على مثل صفات يوسف أو ما يقاربها و يحتمل أيضا أنه كان اشتد حزنه لانه ظن أنه قصّر فى حفظه و أنه فرّط فى أن سلمه من اخوته فتضاعف حزنه لذلك أيضا. فان قيل له كيف جاز أن يقول يوسف و قد جعل السقاية فى رحل أخيه إنهم لسارقون و هذا فى الظاهر كذب. و جوابنا أن جعل السقاية فى رحل أخيه يجوز أن يكون من قبله بأمره فأما ما قاله المؤذن من أنهم سارقون فهو من قبل المؤذن لا من قبل يوسف. فان قيل فكيف قال (فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ). و جوابنا أن كل ذلك ليس من قول يوسف فأما تملك السارق فقد كان بين ذلك الملك و يجوز ان يكون فى بعض شرائع الانبياء فلذلك قالوا فهو جزاؤه. فان قيل

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۵

و كيف قال تعالى (كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) و أخذه على هذا الوجه معصية لا يجوز أن يشاءه اللّه فكيف يصح ذلك. و جوابنا أن المراد مشيئة حصوله هناك حتى يصح أخذه لأنّ كل ذلك مما يجوز أن يشاءه اللّه و لذلك قال بعده (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ). فان قيل كيف يصح أن يقول يعقوب صلّى اللّه عليه و سلم (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ) فيضيف اليهم التنفيذ و الذم له و كيف جاز أن يقولوا له (إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ) فينسبون الضلال اليه. و جوابنا أنه لا يمتنع أن يجد ريح يوسف و أمارات حياته و أن يكون اللّه تعالى قوى ذلك لما أراده من اجتماعهم و أما الضلال فى اللغة فهو الذهاب عن الشيء الذى فيه نفع فأرادوا بقولهم إنك لفى ضلالك القديم انك تجرى على عادتك فى العدول عما ينفعك و مثل ذلك قد يجوز أن يقال للانبياء فيما يتعلق بأمور الدنيا فان قيل كيف يعود بصيرا بالقاء القميص اليه قيل له أنه نبى و فى أيام الانبياء قد يصح ظهور ما يخرج عن العادة فان لم يكن من معجزات يعقوب فهو من معجزات يوسف فلا سؤال فى ذلك. و اختلفوا فقال بعضهم كان بصره قد ضعف لا أنه قد زال و مثل ذلك كالمعتاد اذا كان المرء شديد الخوف ثمّ يعود له الفرج و السرور فتعود قوة بصره و منهم من قال بل كان بصره قد زال على ما يدل الظاهر عليه فيكون الجواب ما تقدم. فان قيل كيف قال و قد عاد بصره (أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ

إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) أو لیس ذلک یدل علی أنه کان عالما بحیاة یوسف. و جوابنا انه لا یمتنع أن یکون عالما بذلک من جهة الوحی و لا یمتنع أن یکون ظانا لذلک لعلامات و أمارات و اذا علم فقد یجوز أن یکون عالما بشرط لا یحل معه القطع و یجوز خلافه و أحواله کانت تدل علی أنه لم یکن قاطعا علی موته و لا یمتنع أن یکون قد أوحی الیه بما یدل علی عوده الیه آخرا. فان قیل کیف یجوز أن یقولوا (یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا) و هذا کلام معتذر تائب فیکون جوابه (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی) فلم یقبل عذرهم

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۶

فی الحال و ذلک لا یجوز علی الانبیاء. و جوابنا أنه قبل عذرهم فی الوقت و انما وعدهم باستغفار مستقبل یقتضی استدعاء حصول المغفرة من قبل اللّه تعالی فاراد الدعاء للّه تعالی و ذلک مما لا یجب فی الوقت و انما الذی یلزم فی الحال قبول العذر فقط کما قال یوسف علیه السلام (لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ) و یحتمل أنه علیه السلام لم یعرف أن مقصدهم بقولهم (اسْتَغْفِرْ لَنا) الاعتذار الخالص و ان کانوا قد تابوا من قبل فقال سوف استغفر لکم ربی اذا عرفت منکم الاخلاص. فان قیل کیف قالوا و قد دخلوا علیه أنک لأنت یوسف و قد ترددوا علیه حالا بعد حال حتی قال (أَنَا یُوسُفُ وَ هذا أَخِی) و کیف یخفی علیهم حدیث أخیهم خاصة و کیف قال لهم (إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ) و کانوا أنبیاء. و جوابنا ما تقدم من أن حال یوسف کان قد تغیر فی صورته و فی محله و کانوا لا یتأملون تأمل متعرف فلذلک خفی علیهم فأما أخوه فکانوا یعرفونه و لم یقل یوسف (وَ هذا أَخِی) لانهم لم یعرفوه لکنه أراد اظهار نعمة اللّه علیه باجتماع أخیه معه و لذلک قال (قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَیْنا إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ) فاما قوله (إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ) فالمراد به أیام الصبا و قد یقال لمن لا یعرف الامور انه جاهل لا علی طریق الذم. فان قیل فما معنی قوله و قد آوی الیه أبویه (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ) و کانوا قد دخلوا. و جوابنا انهما التقیا به خارج مصر فقال ما قال و ذلک صحیح و هذا کما یستقبل المرء من یعظمه خارج البلد و أراد بذلک تعریفهم انهم تخلصوا مما کانوا علیه من المحق و المجاعة فی ذلک البدو. فان قیل فما معنی (وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً) و کیف یسجدون له و ذلک من العبادات التی لا تلیق الا باللّه تعالی. و جوابنا ان رفعه لهما علی العرش کان علی وجه الاعظام و ایصال السرور الیهما برفعهما علی السریر المرتفع فاما السجود فقد یحسن شکرا للّه اذا وصل المرء الی نعم عظیمة فیجوز أن یکون سجودهما له علی هذا الوجه و أضیف السجود الیه لما کان سبب ذلک کما یضاف

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۷

السجود الی القبلة علی قریب من هذه الطریقة. و یحتمل فی السجود أن یکون وقع منهما علی وجه الاعظام له فان ذلک یحسن علی بعض الوجوه. و قد قیل ان اللّه تعالی ذکر السجود و أراد الخضوع بضرب من المیل الی الارض أقرب الی الظاهر بین ذلک قوله تعالی (وَ قالَ یا أَبَتِ هذا تَأْوِیلُ رُؤْیایَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ) و دل بقوله (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطانُ بَیْنِی وَ بَیْنَ إِخْوَتِی) علی انه قد زال عن قلبه ما عملوه به فاضافه الی الشیطان تحقیقا لذلک و دل بقوله و قد جعله اللّه نبیّا (أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ) بعد التحیة و قوله (تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ) علی وجوب الانقطاع الی اللّه تعالی و الخضوع له فی المسألة مع العلم بالغفران فمنّ اللّه تعالی علی نبینا صلّی اللّه علیه و سلم بقوله (ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ) لان فی قصة یوسف من العجائب و العبر ما یوجب الشکر و دل بقوله (وَ ما أَکْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِینَ) علی ان من یؤمن من الناس قلیل من کثیر و ان کان الانبیاء یحرصون علی ایمانهم و دل بقوله (وَ ما تَسْئَلُهُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ) علی ان دعاء الغیر الی الایمان لا یکاد یؤثر الا مع رفع الطمع و دل تعالی بقوله (وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ) علی ان الواجب علی العاقل التفکر فی الآیات اذا شاهدها و ان ذلک من أعظم ما یأتیه المرء و کذلک قال بعده (وَ ما یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِکُونَ) ثمّ بین ما یلحقهم إذا أعرضوا عن الآیات من العقاب فقال (أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِیَهُمْ غاشِیَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِیَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) فنبه بذلک علی وجوب الحذر من قرب الساعة و قرب الاجل ثمّ أمر نبیّه صلّی اللّه علیه و سلم بأن یقول (هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللَّهِ عَلی بَصِیرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) و دل بذلک علی ان هذا الدعاء کما یلزم الرسول یلزم من اتبعه من أهل المعرفة و الیقین و

دل بقوله (وَ سُبْحانَ اللَّهِ وَ ما أَنَا مِنَ)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۸

(الْمُشْرِکِینَ) علی وجوب تنزیه اللّه تعالی ممن یدعو الی الدین عما لا یلیق به و قوی من نفسه صلّی اللّه علیه و سلم من بعد بقوله (حَتَّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا) و بین ما فی قصص الانبیاء من النفع فی الدین فقال (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) و هذا أحد ما یدل علی ان الواجب أن یقرأ القرآن بتدبر حتی ینتفع المرء بذلک.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۱۹۹

سورة الرعد

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (اللَّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) کیف یصح أن یرفعها بعمد و نحن لا نراها.

و جوابنا ان المراد انه یرفعها و یمسکها لا بعمد أصلا و دل بذلک علی قدرته لان أحدنا لا یصح أن یرفع الثقیل الا بعمد و علی هذا الوجه قال (إِنَّ اللَّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا) و ذلک من عظم نعم اللّه تعالی فلولا ذلک لم یصح التصرف علی الارض و لا أن یدور الفلک و الشمس و القمر و النجوم.

[مسألة]

و ربما قیل ما معنی قوله تعالی (ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ) اذ لم یجز علیه المکان. و جوابنا ان المراد الاستیلاء و الاقتدار و ذکر ثمّ فی الاستواء و الاقتدار و أراد ما بعد من تسخیره الشمس و القمر لان اقتداره لیس بحادث و لا متجدد فکأنه قال ثمّ (سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) و هو مستول علی ذلک مقتدر ثمّ یدبر الأمور التی قدر آجالها.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ) ما الفائدة فی قوله اثنین و قد عقل ذلک مما تقدم. و جوابنا انه تأکید یفید فائدة زائدة لأن الزوجین قد یراد بهما أربعة فبین بقوله اثنین المراد و هو خلقه من کل شیء الذکر و الانثی و ما یجری مجراه و فی قوله (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ) دلالة علی نعمه و ان الواجب التفکر فیها

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۰

لیستدل بها علی قدرته و لیعرف ما یلزم من شکره و عبادته و جعل جل و عز ذلک مبطلا لقول من أنکر الاعادة فلذلک قال (وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذا کُنَّا تُراباً أَ إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ).

[مسألة]

و ربما قیل ما فائدة قوله تعالی (وَ أُولئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ) و انما یحسن ذلک منا لانا لا نقدر علی التعذیب و المنع الا بالآلات.

و جوابنا انه تعالی یزجر المکلف عن المعاصی بما جرت العادة أن یعظم خوفه لاجله کما یرغب فی الطاعة بما جرت العادة به من الملاذ و المناظر و الا فهو قادر علی أن یؤلم المعاقب بغیر هذه الامور.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) أما یدل ذلک علی ان کل شیء مخلوق من جهته. و جوابنا انه تعالی ذکر ذلک بقوله (اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ) فبین بعده ان کل شیء عنده بمقدار لانه عالم بکل ذلک و قد یقال عنده و یراد به فی علمه کما یقال ذلک و یراد القدرة و یراد الفعل و لذلک قال بعده (سَواءٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ).

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّ اللَّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) أ لیس ذلک یدل علی انه الفاعل لهذه التغیرات.
و جوابنا انه أضافها الیهم کما أضافها الی نفسه و المراد انهم اذا غیروا طریقتهم فی الشکر و الطاعة غیر اللّه تعالی أحوالهم بالمحن و غیرها زجر بذلک المکلف عن المعاصی. فان قیل فقال بعده (وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ) و ذلک یدل علی ان السوء من عنده. و جوابنا ان المراد المحن و الشدائد و توصف بالسوء مجازا و لیس فی الآیة انه یفعل ذلک و انما فیها انه اذا أراده لا مرد له لان ما یریده اللّه تعالی یکون أبدا بالوجود أولی اذا کان ذلک المراد من فعله. فأما اذا أراد من عباده الطاعات فانما یریدها علی وجه اختیار و قد یجوز أن لا تقع لسوء اختیار المکلف.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۱

[مسألة]

و متی قیل فما معنی قوله تعالی (وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) و کیف یصح التسبیح من الرعد. و جوابنا ان المراد دلالة الرعد و تلک الاصوات الهائلة علی قدرته و علی تنزیهه و ذلک کقوله تعالی (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) لدلالة الکل علی أنه منزه عما لا یلیق و لذلک قال (وَ الْمَلائِکَةُ مِنْ خِیفَتِهِ) ففصل بین الامرین و قوله بعد (وَ لِلَّهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً) معناه یخضع فالمکلف العارف باللّه یخضع طوعا و غیره یخضع کرها لانا نعلم ان نفس السجود لا یقع من کل واحد.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (الَّذِینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اللَّهِ) أ لیس ذلک مخالفا لقوله فی المؤمنین حیث قال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ). و جوابنا أن الطمأنینة المذکورة هاهنا المراد بها المعرفة و سکون النفس الی المجازاة مع الوجل و الخوف من المعاصی فالکلام متفق لان المؤمن ساکن النفس الی معرفة اللّه تعالی و الی المجازات علی الطاعات و مع ذلک خائف مما یخشاه من التقصیر و وجل القلب فظن فی مثل ذلک أنه مختلف اذ قد نادی علی نفسه بقلة المعرفة و لذلک قال تعالی بعده (الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبی لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ) و بین تعالی عظم شأن القرآن بقوله من بعد (وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتی . و جواب ذلک محذوف و المراد لکان هذا القرآن و ذلک یدل علی أنه فی الفصاحة قد بلغ نهایة الرتبة و أنه صار معجزا لذلک.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِیعاً) أ لیس یدل ذلک علی أنه الفاعل لکل شیء و قوله من بعد (أَ فَلَمْ یَیْأَسِ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ لَوْ یَشاءُ اللَّهُ لَهَدَی النَّاسَ جَمِیعاً) أ لیس ذلک یدل علی أنه لم یشأ من جمیعهم الایمان و إلا لهداهم. و جوابنا أن المراد به أنه هدی

بعض الناس دون من لم يجعله بصفة المكلف و يحتمل أن يكون المراد لهداهم بالالجاء حتى يجتمعوا على الايمان و قوله (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً) صحيح لان المراد اقتداره على كل شيء و أن ما يريده لا يصح فيه المنع و قوله تعالى من بعد (إِنَّ اللَّهَ لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۴

يُخْلِفُ الْمِيعادَ) يدل على أن وعده و وعيده لا يقع فيهما خلف.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) أ ليس ذلك يدل على أن اللّه يصد الكافرين عن طريق الخير و يفعل الاضلال و ذلك لا يجوز. و جوابنا أن ذلك يدل على أن هذا التزيين من الشيطان و من أنفسهم و لو لا ذلك لوجب أن يكون تعالى صادا لهم عن السبيل مع علمنا بأن ذلك لا يجوز عليه و أنما أراد بقوله (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ) أي بالعقوبة على ما فعله فما له من هاد الى الجنة و لذلك قال (لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ) أ ليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن و ذلك بخلاف ما تقولون. و جوابنا أن جنة الخلد و الثواب ليست بمخلوقه الآن و ذلك بخلاف ما تقولون. و جوابنا أن جنة الخلد و الثواب ليست بمخلوقة الآن لفنيت اذا أفنى اللّه تعالى العالم فكان لا يكون أكلها دائما فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكلها.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ) أما يدل ذلك على جواز البدء على اللّه تعالى. و جوابنا أن المراد بذلك أنه جل جلاله يمحو عن المؤمن الصغائر لانها مغفورة و يحتمل أنه المنسوخ و الناسخ و يحتمل أنه يمحو ما لا مدخل له في الثواب و العقاب و يثبت ماله مدخل في ذلك و يحتمل انه يمحوا ما كتب من آجال و أرزاق من مضى و يثبت ذلك فيمن يبقى و يحدث.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً) كيف يصح المكر على اللّه إذ بين أنه من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۵

صفات الذم. و جوابنا أن المراد انزاله بهم العقاب و ما شاكله من حيث لا يعرفون كما ذكرنا في سورة البقرة في قوله (يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) و ما شاكله.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فيقولون كيف يصح ذلك.

و جوابنا أن حفظهم و ان لم يقع من الامر فانه يقع عند تقدم الامر فالمراد يحفظونه عن أمر اللّه و قد يذكر الأمر و يراد به التقوية و التمكين فلما كانوا يحفظونه بأن يمكنهم و يقويهم جاز ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۷

سورة ابراهيم

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) كيف يفعل الرسول ذلك و الجواب أن المراد يدعوهم الى العدول الى الايمان عن الكفر و يبين لهم ذلك فوصف بأنه يخرج لما كان يفعل السبب الداعى الى ذلك و لذلك قال (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) اذا المراد ان ذلك بأمره و وحيه و هذا أحد ما يدل على الايمان و ما عدلوا عنه من الكفر فعلهم فيكون بيانه سببا لاختيارهم العدول عن الكفر الى الايمان و قوله تعالى (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ) يدل على أن ما يقع منهم من جهتهم لانه لو كان خلقا للّه فيهم لما صح أن يستحبوا شيئا على شيء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) أما يدل ذلك على أنه بعد البيان هو الذى يضل و يهدى. و جوابنا أن المراد أنه يضل عن طريق الجنة الى النار و يهدى الى الجنة من أزاح علته ببيان الرسول صلّى اللّه عليه و سلم لكى تكون الحجة للّه عليهم و هو كقوله (وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) و قوله (وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) يدل على أنه يكلف الناس لينفعهم و لحاجتهم الى ذلك و أنه غنى عن كل شيء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۸

(قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) أ ليس ذلك يتناقض بأن يقول آخرا لا يعلمهم الا اللّه و يقول اولا (أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ). و جوابنا أن المراد بآخره هو قوله (وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) و أتاهم خبرهم على الجملة دون التفصيل فالكلام مستقيم و يحتمل أن يريد أنه أتاهم نبأ هؤلاء على الجملة و يريد بقوله (لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) التفصيل من أحوالهم فلذلك قال بعده (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ) و قد ذكرنا من قبل أن ذلك ذم لهم و هو كناية عن ترك القبول منهم لان هناك استعمالا لليد فى رد قولهم و بيانهم و لذلك قال (أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) فبين أن مراده تعالى بتكليفهم هذا الغفران.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) فأضافوا ايمانهم الى اللّه تعالى. و جوابنا أن المراد بذلك الارسال و النبوّة لان قومهم قالوا انهم بشر مثلنا فأجابوهم بقولهم (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) و أرادوا النبوة و اظهار المعجزات هذا و نحن نضيف الايمان أيضا الى اللّه تعالى و نقول انه من نعمه لما كان الوصول اليه بيسره و ألطافه مع التمكين و كذلك نقول فى الطاعات إنها من اللّه و لا نقول ذلك فى المعاصى و قد نهى عنها و زجر عن فعلها و لذلك قال تعالى بعده (وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا وَ لَنَصْبِرَنَّ

عَلى ما آذَيْتُمُونا).

[مسألة]

و ربما قيل كيف ذكر أولا جل و عز قولهم (وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ثمّ كرره ثانيا ما الفائدة فى ذلك. و جوابنا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۰۹

أنهم فى الأول قالوا (وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) و أرادوا فيما يتصل بالنبوّة ثمّ قال ثانيا (وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) و أرادوا فى صبرهم على ما يعرض فى النبوّة فأحد الامرين غير الآخر.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ) أ ليس ذلك يتناقض. و جوابنا ان ذلك كناية عن شدة عذابهم و ان لم يكونوا أمواتا و هو كقوله (وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى و لذلك قال بعده (وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ) و بين تعالى ان عمل الخير من الكفار لا- ينفع فقال (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ) فبين أن كفرهم يحبط كل خير عملوه و بين ان ذلك هو الضلال البعيد ثمّ بين تعالى بعده بقوله حكاية عمن استكبر عند قول الاتباع (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً) انهم (قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ) و ذلك فى الآخرة فمرادهم اذا لو هدانا اللّه تعالى الى الجنة و عدل بنا عن النار لفعلنا ذلك بكم و هذا يدل على ان الهدى قد يكون على هذا المعنى كما قد يكون بمعنى الدلالة و البيان و قوله (سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ) يدل على ان العذاب دائم لا كما يقوله بعض الجهال من انه ينقطع و قوله تعالى من بعد حكاية عن الشيطان (وَ قالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ) يدل على ان الشيطان لا يقدر الا على الوسوسة و على ان وسوسته لا تزيل الذم و العقاب عمن قبل منه و ان اللوم فى كل تنزيه القرآن (۱۴)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۰

فاعل على نفسه يرجع و قوله من بعد (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) يدل على ان الظلم من الذنوب العظام التى يستحق بها العذاب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا) ان ذلك يدل على ان ايمانهم من فعل اللّه فيثبتهم عليه. و جوابنا ان المراد يثبتهم على الخيرات دينا و دنيا لاجل ايمانهم فلذلك قال (بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ) و لذلك قال بعده (وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) أى يضلهم عما يفعله بالمؤمنين دينا و دنيا و لذلك قال بعده (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً) تعجبا منهم من حيث لم يعرفوا موقع نعم اللّه تعالى و عدلوا عن شكره و طاعته و رغبنا عاجلا فى الطاعة فقال (قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ) فبين أن الذى ينفعهم فى الآخرة أن يطيعوا بأنفسهم و بأموالهم قبل اليوم الذى فيه لا ينتفع أحد بمكسب و تصرف. ثمّ بين تعالى أنواع نعمه بقوله جل و عز (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) الى قوله (وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها) ترغيبا للعبد فى شكر هذه النعم حالا بعد حال ثمّ قال تعالى من بعد (إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ) كيف يصح أن يسأل ربه هذين الأمرين ثمّ يوجد خلاف ذلك فانا نجد البلد يجرى فيه الخوف العظيم و نجد فى أولاده من يعبد الاصنام. و جوابنا أن قوله آمنا لا يدل على كل شيء فقد يكون آمنا من ضروب الخوف غير آمن من سواه و معلوم ما يحصل بمكة من الامن و يحتمل أنه دعا ربه أن يجعله آمنا فى ايامه حتى يؤمن بعضهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۱

و يتألفوا على طاعته و المراد بقوله (وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ) من هو موجود منهم و قد نزههم اللّه تعالى عن ذلك و قوله بعد ذلك (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ) يعنى الاصنام فمراده أنهن صرن سببا للضلال لا ان الصنم يصح أن يضل و يهدى و لذلك قال بعده (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى بالتوبة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) كيف يصح ذلك و هو الذى بنى البيت على ما ذكره اللّه تعالى فى كتابه بقوله (وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ). و جوابنا انه يحتمل فى قوله عند بيتك المحرم أن يكون المراد عند تلك البقعة التى بنى فيها البيت.

و يحتمل ان بناء البيت كان قائما ثمّ اختل فبناه ابراهيم فيكون الكلام مستقيما و معنى قوله من بعد (وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ) ان عنده انزال العقوبات بهم من حيث لا يشعرون و سمّاه مكرا مجازا و معنى قوله تعالى (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ) انهما يصيران على خلاف هذه الصورة سماه تبديلا كما يقال ان فلانا قد تبدل اذا تغيرت أخلاقه. و يحتمل أن يكون اللّه تعالى يبتدئهما فيخلق أرضا غير هذه فى القيامة و سماء غير هذه فيكون أقرب الى الحقيقة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۳

سورة الحجر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) كيف يجوز ذلك و لا شك فى انهم يتمنون فى الآخرة ذلك فما فائدة (رُبَما). و جوابنا ان ذلك من باب الردع و ربما يكون أقوى فأحدنا يقبل على ولده و قد عدا عن التعلم فيقول ربما تندم على ما أنت عليه فيكون فى الزجر أبلغ و لأن الكافر قد يسلم و يتوب فلا يقطع منه على ذلك و معنى قوله بعد (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) تبين صحة ما قلناه لأن ذلك و ان كان بصورة الامر فهو تهديد و زجر عظيم.

[مسألة]

و ربما قيل ما فائدة قوله تعالى (وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ) و كل شيء يفعله فهو فى معلومه و يثبت فى أم الكتاب فأى فائدة فى هذا التخصيص. و جوابنا ان القوم كانوا يستعجلون العذاب من الانبياء اذا توعدوهم فبين تعالى ان ذلك مؤقت بوقت لا يقدم و لا يؤخر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) كيف يصح ذلك مع جحدهم لنبوّته و انكارهم ان اللّه تعالى أنزل ذلك عليه. و جوابنا انهم قالوا على وجه ان ذلك صفته عند نفسه لأنه صلّى اللّه عليه و سلم كان يدعى ذلك و هذا كرجل يدعى انه صانع فينادى بما يدعيه و ان كان المنادى لا يعترف له به و بين ذلك ما ذكروه من بعد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۴

(إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) و بين تعالى لهم انه ما ينزل الملائكة الا بالحق و متى أنزلهم لم يكن انكار و امهال و قوله تعالى من بعد (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) يدل على ان القرآن لا يغير و لا يبدل و لا يزاد فيه و لا ينقص و شبههم بمن يجهل ما يشاهده بقوله جل و عز (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) فبين انهم فى العدول عن التمسك بالنبوات و القرآن بهذه المنزلة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ) أما يدل ذلك على أن أفعال العباد من خلقه لدخوله فى قولنا شىء.

و جوابنا ان المراد ان عندنا علم كل شىء و لذلك قال (وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) أو يكون المراد عندنا القدرة على ما ذكرنا من النعم فلا ننزّل ذلك الا بقدر الحاجة إليه بيّن ذلك أنه تعالى قال من قبل (وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ) فبين بعده انه قادر على إدامة ذلك و كنّى عن القدرة التى لا آخر لها بذكر الخزائن و لذلك قال بعده (وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ) فذكر ما ينزله من الأمطار و ما ينبته من الاقوات ثمّ قال (وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) ثمّ قال (وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ) دل كل ذلك على عظم نعمه على عباده مرغّبا لهم فى شكره و طاعته ثمّ بين تعالى كيف خلق آدم من (صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) و كيف خلق الجان ليعتبر بذلك و كيف أمر بالسجود لآدم و تقدم القول فى ذلك و بين بقوله تعالى (إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ) ان الذى يقال من أن الشيطان محبط لا أصل له و إنه إنما يوسوس فلا يكون له سلطان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۵

إلا على من يتّبعه فيقبل منه الوسوسة و على هذا الوجه كرر تعالى فى القرآن التحذير من الشيطان فحاله فى ذلك دون حال الواحد من الانس إذا رغب غيره فى المعاصى فعلى هذا الوجه قال تعالى (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) التابع و المتبوع ثمّ بين تعالى ما للمتقين من المنزلة بقوله تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ) الى آخر الآيات و أدب اللّه تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم بقوله (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ) فأمره بتحقير ما عليه الكفار من متاع الدنيا و أمره بالتواضع لمن آمن به و أمره بأن يقوم بالانذار فى كلا الفريقين فلا يمنعه تمنع القوم عن الانذار كما لا يمنعه ايمان من آمن به عن ذلك. ثمّ أقسم تعالى بعد ذلك على أنه يسألهم أجمعين عما كانوا يعملون و لم يقتصر على الخبر حتى اكده بالقسم زجرا للناس عن المعاصى فان من تصوّر أن معاصيه طول عمره محصية عليه يصير فى الآخرة كالمشاهد لها جميعها يزجره ذلك عن الاقدام عليها و ترك التوبة منها و لذلك قال بعده للرسول صلّى اللّه عليه و سلم (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فقد أقمت الحجة عليهم (إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) الذين يقع فى قلبك الخوف منهم فشبّهه تعالى بالصادع فى الابلاغ و الانذار ليكون مقيما للحجة على من آمن و كفر و اكد تعالى بقوله (وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ) فقد كانوا ينسبونه مرة الى السحر و مرة الى الجنون و مرة الى الفرية و مثل ذلك يعظم على المرء و يأنف منه فقوّى اللّه تعالى قلبه على احتماله و على ألا يجعله سببا للفتور فى الابلاغ و البيان فلذلك قال بعده (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) و هذه الآداب و ان خص اللّه تعالى بها الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فهى عامة فى سائر الناس و هى

من عظيم نعم اللّه تعالى على خلقه إذا تأملوه و تمسكوا به فما أحد من المكلفين إلاـ و له ولىّ و عدو يتردد بين محن و نعم فكل ذلك تأديب له.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۷

سورة النحل

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) و كيف يكون إنزالهم بالروح و كيف يكون الروح أمرا. و جوابنا أن المراد به ذلك القرآن و الشرع كما قال (وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا) و سمّى القرآن روحا لأنه بمنزلة الرّوح الذى يحيا به أحدنا من حيث يحيا به الانسان فى أمر دينه و أنه يؤدى الى الحياة الدائمة فإن قيل فما معنى قوله (أَتى أَمْرُ اللَّهِ) و هل المراد به هذا الامر الذى تنزله الملائكة قيل له بل الأقرب فى أتى أمر اللّه أنه الوعيد و لذلك قال بعده (فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ) لأنهم كانوا يستعجلون العذاب كقولهم (ائْتِنا بِما تَعِدُنا) و كما قال (وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ) فبين أن أمر اللّه قد أتى بالوعيد فى الآخرة و اللّه تعالى حليم لا يعجل فلاـ تستعجلوه ثمّ قال تعالى (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) و عنى به الاحكام و سائر الشرائع التى بيّنها اللّه تعالى فى القرآن و على لسان الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و لذلك قال بعده (أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) ثمّ قال بعده (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) و بيّن أنه خلق ذلك لكى يؤمن العباد و ذلك يبطل قول من يقول خلق بعضهم ليكفروا و كيف يقول جل و عز (تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) و هو الذى يخلق فيهم الشرك و يجعلهم بحيث لا يقدرون الا عليه.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۸

و إنما يخلق ما يخلقه لمصالح المكلفين. و جوابنا أن ما لا يعلمه الملائكة قد يكون صالحا لنا و قد يجوز فيما يخلقه أن يكون نفعا لنا و ان لم نعلمه أو نفعا لبعض الحيوان أو تفضلا فلا يلزم ما قالوه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْها جائِرٌ) كيف يصحّ فى قصد السبيل أن يكون على اللّه و كيف يصح أن يكون منها جائر. و جوابنا أنه تعالى لما بيّن من قبل نعمه و بين من جملتها الأنعام و الخيل و البغال و كيف خلقها نفعا للمكلفين قال بعد ذلك إن على اللّه قصد السبيل و المراد بيان ما يلزم المكلف و ازاحة سائر علله فلا يجوز أن يكلفه ما لا يصح إلا بالأنعام و غيرها إلا و يخلقها له و كذلك سائر ما يحتاج اليه و بيّن بقوله و منها جائر أن فى جملتها ما يخرج المكلف عنه و يعصى مع أن فى جملتها ما يقبل و يطيع و لو شاء (لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ) بالالجاء لكن ذلك لا ينفع.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ) أما يدل ذلك على أنه لا فعل إلا للّه. و جوابنا أنه تعالى بيّن من قبل أصناف النعم من انزاله الماء و إنباته أنواع الخيرات و الثمرات و تسخيره الليل و النهار و البحر و ما فيها من النعم و النجوم و

دلالتها على الامور فقال بعده تنبيها للخلق عما يلزم شكره و عبادته (أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ) فبعث بذلك على عبادة اللّه تعالى و بكّت به من يعبد الاصنام و غيرها ممّا لا تصحّ منه هذه النعم و لا يدخل فى ذلك أفعال العباد لأنه نبّه بذلك على أن الواجب أن يفعلوا الطاعة و الشكر و العبادة و كيف يكون نفس الفعل خلقا من قبل اللّه تعالى و لذلك قال بعده (وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها) فبين أن الذى قدم ذكره من نعمه هو قليل من كثير النعم التى يفعلها اللّه تعالى حالا بعد حال فى جسم الانسان و حواسه و جوارحه و غير ذلك ثمّ قال (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ) يخوّف بذلك

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۱۹

العبد من أن يخالف ما يظهر من الطاعة و يبعثه على أن يكون باطنه فى الاخلاص كظاهرة و الذى بيّن ما قلناه قوله تعالى من بعد (وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) كيف يصح أن يحملوا أوزار غيرهم و لئن جاز ذلك لم يمتنع أن يعذب اللّه تعالى أطفال المشركين بذنوب آبائهم. و جوابنا إنّ الذين أضلوهم لما كانوا سببا لضلالهم جاز أن يقول تعالى ذلك و المراد أنهم لما ضلوا و أضلوا كانت أوزارهم أعظم كما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم (فيمن سنّ سنّة سيّئة أنّ عليه وزرها و وزر من عملها) و المراد مثل ذلك لا أنّ عين ما يستحقه من يتأسّى به يستحقه من سنّ فعل السنّة السيّئة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) أما يدلّ ذلك على أنه تعالى يهدى و يضل و ان ذلك من خلقه. و جوابنا أن المراد فمنهم من هدى اللّه الى الثواب لتمسكه بالعبادة و منهم من حقّت عليه الضلالة عن الثواب الى العقاب بمعصيته و هذا كقوله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ) فسمّى نفس العقاب ضلالا كما سمّى نفس الثواب هدى فى قوله (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ) و الهدى بعد القتل لا يكون الا بالاثابة و لذلك قال بعده (إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) فنبّه بذلك على ما ذكرنا و يحتمل أن يريد بالهدى زيادة البصيرة فيفعله بمن قبل و أطاع عنده دون من علم أنه لا يقبل كما قال تعالى (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۰

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً) كيف يصح أنه يوحى الى ما لا يعقل و عندكم أنه تعالى إنما يوحى إلى الأنبياء. و جوابنا ان المراد بذلك ألهمها هذه الامور و خلق فيها العلم بهذه الأشياء و لم يرد بذلك الوحى الذى يكون بانزال الملائكة و كل أمر يلقى الى الغير على وجه الاخفاء و الاستسرار يوصف بأنه وحى فلما كان ما ألهم جل و عز النحل على هذا الحد جاز أن يقول أوحى اليها و نبه بذلك على عجيب أمر النحل فيما تتعاطاه من هذا الطعام الذى هو أشرف الاطعمة و كيف تلتقط ذلك من الشجر المختلف حتى يحصل منه هذا الطعام و كيف تتولى مكان ذلك و كيف ترتبه و متى تأمل العاقل ذلك عرف به من عجيب نعم اللّه تعالى ما لا يكاد يوجد فى سائر الحيوان.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ) أما يدل ذلك على أنه تعالى يخلق فيها الطيران. و جوابنا أنه تعالى لما جعل في الجو الهواء المتكاثف الذي يصح من الطير أن يطير فيه و يتوقف عليه جاز أن يضيفه الى نفسه بأنه سخرها لما فعل ما لولاه لم تثبت في الجو لأنه تعالى جعل ذلك الهواء اللطيف بمنزلة الماء الذي يسبح فيه و هذا هو وجه الكلام ثمّ إنه تعالى بعد ذلك رغب في عبادة اللّه تعالى بأقوى وجوه الترغيب فقال (ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ) فنبه بذلك على أن ما عندنا له نهاية و آخر و ان الذي يدوم من النعم هو ما يجازي جل و عز عباده المطيعين به فرغب بذلك في فعل ما يؤدي الى هذه النعم الباقية و لذلك قال بعده (وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) كيف يصح ذلك و الاستعاذة تتقدم قراءة القرآن لا أنها تتأخر عنه. و جوابنا أن المراد فاذا عزمت على قراءة القرآن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۱

و هممت فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم و هذا كقوله (إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) و المراد اذا أردتم ذلك و مثل ذلك يستعمل في اللغة بقول القائل لغيره اذا سافرت فاستعد لسفرك يريد اذا هممت بذلك و قوله تعالى من بعد (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) يدل على أن سلطان الشيطان ليس الا بالوسوسة فقط فمن يقبل منه يوصف بأن له عليه سلطانا دون من لا يقبل و لذلك قال (إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ) كيف يصح أن يفعل تعالى ما يدعوهم الى تكذيبه و ذلك مفسدة. و جوابنا أنه تعالى ذكر ما يقولون عند إبدال آية مكان آية و لم يذكر أنه السبب في هذا القول بل كانوا في تكذيب الرسول على طريقتهم و مثل ذلك جائز عندنا و لا يكون مفسدة و انما يكون مفسدة متى وقعت المعصية عنده و لولاه كانت لا تقع. و بيّن تعالى ما به يدفع عنهم هذه الشبهة فقال (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) و انما أحالهم على علمهم برتبة القرآن في الفصاحة و لو لا ذلك لقالوا له و من أين روح القدس أنزله فبطل بذلك ما أوردوه.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ) أ ليس هذا يدل على أن من لم يؤمن لم يهده اللّه كما يقوله المخالف. و جوابنا أن المراد لا يهديهم الى الجنة و الثواب من حيث لم يؤمنوا و لذلك أتبعه بقوله (وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ) أ ليس ظاهرة يقتضي اباحة الكفر و الكذب و ذلك قبيح لا يجوز على اللّه تعالى. و جوابنا أن قوله

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۲

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ) استثناء منقطع و معناه لكن من اكره و قلبه مطمئن بالايمان. فان قال قائل إن السؤال عليكم فى ذلك لازم لأنه كأنه قال لكن من أكره على الكفر و الكذب و الاكراه لا يحسن ذلك. قيل له إنه تعالى لم يبين ما يكره عليه و ما يأتيه المكره و الذى يكره عليه هو غير الذى يأتيه المكره لان المكره انما يكرهه على الكفر و الكذب و الذى ينبغى أن يأتيه المكره هو ما أباحه اللّه تعالى له من التعريض فكأنه يقول ان لم تقل ان اللّه ثالث ثلاثة قتلتك فيقول هو عند الاكراه ذلك على وجه الحكاية أو على وجه دفع الضرر من غير أن يقصد الخبر فيحسن منه ذلك عند الاكراه فأما نفس الكذب فلا يحسن من العاقل على وجه و فى العلماء من يقول اذا كذب فالاثم مرفوع عنه و ان كان قبيحا لمكان الاكراه و الذى قدمناه هو الصحيح و لذلك قال تعالى بعده (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ) فمدحه ثمّ ذمه بقوله (وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ) اذ كانوا مختارين و الاكراه زائل و قوله تعالى (ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ) يدل على قدرتهم على الطاعة و المعصية فصحّ بذلك أن يؤثروا أحد الامرين على الآخر لان قوله استحبوا الحياة الدنيا المراد به آثروا ما يشتهونه من الباطل و قوله (عَلَى الْآخِرَةِ) المراد به على ما يؤدى الى عمارة الآخرة من الحق ثمّ قال تعالى (وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ) مع علمنا بأنه قد بين لهم و دلهم على ما يلزمهم و لو لا ذلك لما كفروا يدل على أنه أراد بما نفاه الهدى الى الثواب و الجنة على ما بيّناه من قبل ثمّ بين تعالى حال الكافرين بأنه طبع على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و المراد به تشبيه حالهم بحال من هذا صفته و لو لا ذلك لم يكن ليذمهم و لذلك قال بعده (وَ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ) و من يمنعه اللّه من هذه الافعال لا يسمى غافلا ثمّ حقق ذلك بقوله (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ) و قوله تعالى من بعد (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يدخل فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۳

جملته من أكره على الكفر بمكة حتى صبر و عرّض ثمّ تخلص بالهجرة و ذلك يبين أن كلا الامرين يحسن من المكره و أن الأفضل أن يصبر على ما يخوف به و لا يدخل على طريق الاباحة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها) أ ليس ذلك يدل على اثبات نفسين لنا و ذلك لا يصح عندكم. و جوابنا ان المراد بالنفس غير المكلف فكأنه قال يوم تأتى كل مكلف تجادل عن نفسه و هذا أحد ما يدل على صحة القول بالعدل لانه لو لم يكن له فعل و كان اللّه تعالى يفعل فيه ان يشاء الكفر و ان يشاء الايمان لم يكن للمجادلة وجه ثمّ قال تعالى بعده (وَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ) و المراد جزاء ما عملت لان نفس عملها و قد تقضى لا يجوز أن توفاه فليس الا ما ذكرناه و لذلك قال بعده (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ) و الظلم انما يصح فى المجازاة لا فى نفس العمل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ) بعد ذكر كفرهم أ ليس ذلك يدل على انه تعالى يعاقب فى الدنيا الكفار و عندكم ان ما يلحقهم من فقر و مرض لا يكون عقابا. و جوابنا انه يحتمل ان الصلاح عند كفرهم ما يفعله بهم من جوع و خوف لأن ذلك عقوبة كما تأولنا عليه قوله تعالى (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ) أ ليس الفاعل مع الجهالة معذورا فيما يأتيه فكيف أوجب الغفران بالتوبة من ذلك. و جوابنا أنه قد يقال ذلك فيمن دخلته الشبهة فيعمل السوء عندها فلا يكون معذورا و الاصل فى الجهالة انه موضع

للذم.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً) أ ليس ذلک يوجب انه متعبد بشرائع ابراهيم صلّی اللّه عليه و سلم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۴

و ذلک بخلاف قولکم. و جوابنا انه اذا کان يتبع ما يعرفه من شرائعه فذلک جائز عندنا و انما ننکر کونه صلّی اللّه عليه و سلم متعبدا بشرائع من تقدم علی معنی انه عرف ما دعوا اليه فتمسک بذلک من دون أمر مبتدأ من قبله تعالی أوحی به اليه ثمّ أوجب تعالی بقوله (ادْعُ إِلی سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) علی رسوله صلّی اللّه عليه و سلم أن يدعو الی توحيد اللّه و عدله و الی سائر ما يکون دينا و حقا و بين له کيف يدعو و ذلک واجب علی غير الرسول صلّی اللّه عليه و سلم أن يفعله بمن يجهل الدين کما قال تعالی (قُوا أَنْفُسَکُمْ وَ أَهْلِيکُمْ ناراً) و بين هذا بقوله تعالی (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) علی ان من أقدم فی باب الدين علی ما لا يحل فهو مؤاخذ علی ذلک. و دل به علی ان الضلال و الاهتداء من قبل العبد و قوله تعالی (وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) و هو مجاز لأن ما يفعله العبد لا يکون عقابا فی الحقيقة فهو کقوله تعالی (فَمَنِ اعْتَدی عَلَيْکُمْ) ثمّ بين تعالی ان الصبر علی ذلک و الاخذ بالعفو خير من الانتقام و بين ان صبره صلّی اللّه عليه و سلم يکون باللّه تعالی بقوله (وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلَّا بِاللَّهِ) فدل بذلک علی ان الصبر و سائر الطاعات انما تقع عند الطاقة و تيسيره و تسهيله و بيّن بقوله تعالی من بعد (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) انه تعالی يخص بالغفران و الرحمة من يوصف بانه متق و محسن و ذلک يدل علی قولنا فی الوعيد.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۵

سورة الاسراء

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) کيف يصحّ قطع هذه المسافة فی هذه الاوقات القصيرة و ما فائدة ذلک و يصحّ منه تعالی أن يريه الآيات من دون ذلک و ان کان المراد أنه عرج به الی السماء کما روی فی الخبر فذلک ممکن من المدينة. و جوابنا ان ذلک من معجزاته صلّی اللّه عليه و سلم و لا ننکر فی يسير من الاوقات ذلک کما جعل اللّه تعالی معجزة سليمان الريح بقوله تعالی (وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ) و اذا کان الصلاح أن يريه الآيات التی ببيت المقدس فلا بد من أن يسری به الی هناک. و ما روی فی خبر المعراج ففيه ما يجوز أن يصحّ و فيه ما لا يصحّ کما ذکر فيه أنه تعالی فی مکانه و أنه صلّی اللّه عليه و سلم کان يذهب اليه و يعود. تعالی اللّه عن قولهم علوا کبيرا و قوله تعالی من بعد فی کتاب موسی (وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِيلَ) يدل علی ان الهدی هو الدلالة و البيان لا نفس الايمان کما يقوله المجبرة. و قوله تعالی من بعد (وَ قَضَيْنا إِلی بَنِی إِسْرائِيلَ فِی الْکِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) فالمراد به الاعلام کقوله تعالی (وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِکَ الْأَمْرَ) و لذلک أضاف الفساد اليهم بقوله تعالی (لَتُفْسِدُنَّ فِی الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) و قوله تعالی (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها) يدل علی قدرتهم علی الامرين و أنهم إذا أساءوا فمن جهتهم و بيّن تعالی بقوله (إِنَّ) تنزيه القرآن (۱۵)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۶

(هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) ان الواجب على من يتلوه أن يتدبر ذلك فيكون داعية له الى التمسك بما هو اقوم و صارف عن طريقة من لا يؤمن بالآخرة.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ) كيف يصح ذلك و معلوم ان كون آية النهار مبصرة دون الليل لا صحة له مع وجود القمر. و جوابنا ان ذلك يدل على انه تعالى يحرك الشمس فی سمائها فاذا كانت بحيث يصحّ أن ترى كان نهارا و اذا كانت بخلافه كان ليلا و ان ذلک لا يكون بالطبع و لا بغيره على ما ذهب اليه بعض الملحدة و ذلك من عظيم نعم اللّه تعالى كما قال (لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ).

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها) أ ليس ذلك يدل على أنه أراد منهم ذلك الفسق. و جوابنا أنه تعالى لم يذكر ما أمرهم به و معلوم أنه لم يأمرهم بالفسق بل أمرهم بخلافه فكأنه قال تعالى (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) بالطاعة (فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) أی الوعيد و الهلاک المعجل و لذلك قال بعده (وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) و قد قرئ (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها) فتأويله أمرناهم بمنعهم عن المعاصی ففسقوا فيها و قد قيل ان معنى قوله (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) ارادة الطاعة منهم و العبادة دون الهلاک فان ذلك قد يستعمل فی اللغة على هذا الوجه فقد يقال إذا أراد العليل الهلاک تعاطى التخليط فی المأكل لا أنه فی الحقيقة يريد الهلاک و إن أراد التاجر ان تأتيه البضائع من كل جهة فعل كيت و كيت لا أنه يريد ذلك فی الحقيقة و ما قدمناه أولا أقرب الى المراد و الذی يحكی من القراءة الثانية و هو قوله تعالى (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) فالمراد به يقرب مما قدمناه إذ المراد كثرناهم ليطيعوا ففسقوا فيها و لذلك قال بعده (وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) و كل ذلك ترغيب فی الطاعة و تخويف من خلافها و قوله تعالى من بعد (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ) دلالة على انه يمكن العبد من الطاعة و المعصية فاذا أراد العاجلة و ما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٢٢٨

يتصل بالهوى و الشهوة لم يمنعه النعم و ان كان يزجره عن ذلك و قوى هذا الزجر بقوله (ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً) ثمّ قال تعالى (وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ) يعنی الفعل الذی يؤدی الى الثواب فی الآخرة (وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) و اذا وصف تعالى سعی العبد بأنه مشكور فقد عظم موقعه ثمّ بيّن أنه لأجل المعصية لا يمنع من الانعام المعجل فقال (كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) فان عطاء المعجل تفضل و قد تكفل تعالى بهذا التفضل للعاصی و للمطيع و إنما يخص المؤمن بالثواب لأنه مما لا يحسن أن يفعل إلا بمن يستحقه كما لا يحسن منا الاعظام إلا لمن يستحق و ان حسن منا الهبات لمن يستحق و لمن لا يستحق. ثمّ بين أنه فضل بعضهم على بعض و ان الفضل العظيم هو الفضل فی الآخرة فقال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا) و بين تعالى فی قوله (وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) و قضاؤه لا يكون الا حقا ان المراد بذلك الالزام و بين فی هذه الآيات جل جلاله جملة مما إذا تمسك بها المرء عظمت منزلته الى قوله (كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً) فدل بذلك على أنه كاره للسيئات لا كما يقوله كثير من العامة أنه يريد ذلك و يشاؤه كيف يجوز ذلك مع شدة نهيه عنها و زجره و تخويفه و وعيده و ذكر تعالى فی هذه الآيات من الآداب و الاحكام نحو عشرين خصلة إذا تدبرها القارئ عظم نفعه بها و فی جملتها ما يلزم فی حق الابوين و ما يجب أن يتعاطاه فی تدبير النفقات و ما ينبغی أن يستعمله فی حق الاولاد و اليتامى و بسط ذلك يطول. فان قيل كيف يقول تعالى (وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ) و ذلك مما لا يقع من

أحـد فكيف نهى عنه قيـل له ليس المراد بـذلك ما يقتضـيه ظاهره بل المراد أن لا يضـيق على نفسه و على من تلزمه نفقته و هـذا من أفصح الكلام فى وصف البخل و لذلك قال تعالى بعده (وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) منع بذلك من التبذير ثمّ نبه على

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۹

ما يقتضـى ذلك من الحسرة فيما بعد فقال (فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) ثمّ بين تكفله تعالى بالرزق فقال (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ) يعنى بحسب المصالـح و بعث النبى صلّى اللّه عليه و سـلم على تـدبر هذه الآيات بقوله تعالى من بعد (ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) و المرء يلزمه أن ينظر و يتدبر فى وصية اللّه للصالحين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها) أ ليس ذلك يـدل على أنه أراد منهم ذلك الفسق. و جوابنا أنه تعالى لم يذكر ما أمرهم به و معلوم أنه لم يأمرهم بالفسق بل أمرهم بخلافه فكأنه قال تعالى (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) بالطاعة (فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) أى الوعيـد و الهلاك المعجل و لذلك قال بعده (وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) و قد قرئ (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنا مُتْرَفِيها) فتأويله أمرناهم بمنعهم عن المعاصـى ففسـقوا فيها و قـد قيل ان معنى قوله (وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) ارادة الطاعـة منهم و العبـادة دون الهلاك فـان ذلك قـد يسـتعمل فى اللغـة على هـذا الوجه فقـد يقال إذا أراد العليل الهلاك تعاطى التخليط فى المأكل لا أنه فى الحقيقـة يريد الهلاك و إن أراد التاجر ان تأتيه البضائع من كل جهة فعل كيت و كيت لا أنه يريد ذلك فى الحقيقـة و مـا قـدمناه أولا أقرب الى المراد و الـذى يحكى من القراءة الثانيـة و هو قوله تعالى (أَمَّرْنا مُتْرَفِيها) فالمراد به يقرب مما قدمناه إذ المراد كثرناهم ليطيعوا ففسـقوا فيها و لذلك قال بعده (وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) و كل ذلك ترغيب فى الطاعة و تخويف من خلافهـا و قوله تعالى من بعـد (مَنْ كانَ يُرِيـدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيـدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ) دلالـة على انه يمكن العبد من الطاعة و المعصية فاذا أراد العاجلة و ما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۸

يتصل بالهوى و الشهوة لم يمنعه النعم و ان كان يزجره عن ذلك و قوى هذا الزجر بقوله (ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً) ثمّ قـال تعالى (وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ) يعنى الفعل الـذى يؤدى الى الثواب فى الآخرة (وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) و اذا وصف تعالى سـعى العبد بأنه مشـكور فقد عظم موقعه ثمّ بيّن أنه لأجل المعصـية لا يمنع من الانعام المعجل فقال (كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) فان عطاء المعجل تفضل و قد تكفل تعالى بهذا التفضل للعاصـى و للمطيع و إنما يخص المؤمن بالثواب لأنه مما لا يحسن أن يفعل إلا بمن يسـتحقه كما لا يحسن منا الاعظام إلا لمن يستحق و ان حسن منـا الهبـات لمن يسـتحق و لمن لا يسـتحق. ثمّ بين أنه فضل بعضـهم على بعض و ان الفضل العظيم هو الفضل فى الآخرة فقال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا) و بين تعالى فى قوله (وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) و قضـاؤه لا يكون الا حقا ان المراد بـذلك الالزام و بين فى هـذه الآيات جل جلاله جملـة مما إذا تمسك بها المرء عظمت منزلته الى قوله (كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً) فدل بذلك على أنه كاره للسيئات لا كما يقوله كثير من العامة أنه يريد ذلك و يشاؤه كيف يجوز ذلك مع شدة نهيه عنها و زجره و تخويفه و وعيده و ذكر تعالى فى هذه الآيات من الآداب و الاحكام نحو عشرين خصلة إذا تـدبرها القـارئ عظم نفعه بها و فى جملتها ما يلزم فى حق الابوين و ما يجب أن يتعاطاه فى تـدبير النفقات و ما ينبغى أن يسـتعمله فى حق الاولاد و اليتامى و بسط ذلك يطول. فان قيل كيف يقول تعالى (وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ) و ذلك مما لا يقع من

أحـد فكيف نهى عنه قيـل له ليس المراد بـذلك ما يقتضـيه ظاهره بل المراد أن لا يضـيق على نفسه و على من تلزمه نفقته و هـذا من أفصح الكلام فى وصف البخل و لذلك قال تعالى بعده (وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) منع بذلك من التبذير ثمّ نبه على

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۲۹

ما يقتضـى ذلك من الحسرة فيما بعد فقال (فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) ثمّ بين تكفله تعالى بالرزق فقال (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ) يعنى بحسب المصالح و بعث النبى صلّى اللّه عليه و سلم على تدبر هذه الآيات بقوله تعالى من بعد (ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) و المرء يلزمه أن ينظر و يتدبر فى وصية اللّه للصالحين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) كيف يصح ذلك من الجمادات. و جوابنا أن من تدبر ذلك عرف المراد فانه تعالى قال من قبل (سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً) يعنى اتخاذ قوم لآلهة سواه ثمّ أتبعه بذكر الدلائل على التوحيد فقال (تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ) يعنى انها تدل على توحيده و تنزيهه عن الاشباه فالمراد بتسبيح السموات و الارض و من فيهن ما ذكرناه لا أن المراد به القول الذى يسمّى تسبيحا لأن دلالة هذه الامور على توحيد اللّه تعالى أوكد من دلالة القول فهذا معناه و كذلك قوله تعالى (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) يجب أن يحمل على ما ذكرناه لأنه لا شىء إلا و له حظ فى الدلالة على توحيد اللّه و كذلك قال تعالى (وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) لأن ذلك إنما يعرفه من ينظر و يتدبر و من هذا حاله قليل فى الناس.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً) كيف يصح أن يمنعهم من سماع القرآن الذى فيه الشفاء و البيان. و جوابنا ان المراد بذلك من المعلوم انه لا ينتفع بل يظهر منه الاذى للرسول و لذلك قال تعالى (أَكِنَّةً) و المراد انهم لشدة انصرافهم عن الانتفاع به صار قلبهم بهذا الوصف و صاروا كالصم و لذلك قال تعالى (وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۰

(وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ) فبين انهم لا ينتفعون و يؤذون و لذلك قال من بعد (إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً) ثمّ قال (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) أما يدل ذلك على أنهم لا يقدرون على خلاف هذا الضلال. و جوابنا انهم لا سبيل لهم بالطعن فى نبوّتك إلى تحقيق ما نسبوه إليك من سحر و غيره و ليس المراد أنهم لا يقدرون على الطاعة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) كيف يجوز فى تكذيبهم من قبل أن يكون مانعا لذلك. و جوابنا أن المراد الآيات التى لا ينتفع القوم باظهارها فقد كانوا يطلبون عين المعجزات الظاهرة على الأنبياء كقوله تعالى (وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) الى غير ذلك فبين تعالى أن جرى العادة بتكذيب الامم بمثل ذلك يمنع من أن يفعله تعالى و يحتمل أن يريد بذلك اهلاك المكذبين الذين لا يؤمنون كما جرت به عادته تعالى فيمن يكذب الأنبياء من الغرق و غيره من ضروب الاهلاك و لذلك قال بعده (وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) فأما قوله تعالى (قُلْ

كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً) فالامر فيه ظاهر أنه ليس بأمر و كذلك قوله (وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) أنه تهديد و زجر فليس لأحد أن يسأل عن ذلك و لذلك قال بعده (وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً) و بيّن من بعد أنه لا سلطان للشيطان إلا من جهة الوسوسة الضعيفة فقال (إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ) و يحتمل أنه يريد تعالى بذلك أهل الايمان و الصلاح من حيث لا تؤثر فيهم وسوسة الشيطان.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۱

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها) كيف يصح منهم اخراجه من الارض. و جوابنا ان المراد الارض المعهودة فهذه الالف و اللام دخلتا على معهود فبيّن تعالى ما كانوا عليه من شدة المعاداة حتّى همّوا بإخراجه من الأرض المعروفة به صلّى اللّه عليه و سلم و بين أن ذلك لو تم لما لبثوا إلا قليلا على سنة اللّه تعالى فيمن تقدم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ) ما فائدة اضافة الضعف الى الحياة و الى الممات. و جوابنا أن ذلك وعيد بالعذاب المعجل فى حال الحياة فى الدنيا و المؤخر الى الآخرة فاضاف ذلك العذاب الى الممات لما كان لا يموت الا بعده.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) ما الفائدة فى ذكر الحمد فى استجابتهم يوم القيامة. و جوابنا أن المراد إنكم حامدون للّه تعالى على نعمه المتقدمة و أن أمر بكم الى النار و الى المحاسبة الشديدة و يحتمل (فَتَسْتَجِيبُونَ) استجابة حامد شاكر لا يمكن من جهتكم الامتناع.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۲

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً) كيف يصح ان يخصه بأنه مشهود و اللّه تعالى شاهد لكل شيء و كيف يضيف القرآن الى الفجر. و جوابنا أن المراد أقم القرآن الفجر فنبه بذلك على وجوب القراءة فى الصلاة و بين ما لهذه الصلاة من الخصوصية بأنه يشهدها ملائكة الليل و النهار و قوله تعالى من بعد (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً) يدل على أن موقع هذا التهجد عند اللّه عظيم و إن كان نفلا و معنى عسى هو وقوع ذلك لا بمعنى الشك و على هذا الوجه قال المتقدمون فى عسى و لعل انهما من اللّه واجبان.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) أ ليس يوجب ذلك أن بعضه شفاء و رحمة دون بعض. و جوابنا أن المراد أنه ينزل ما يدعوهم الى التمسك بالايمان و لا يجب ذلك فى كل القرآن و بعد فان ذكر بعضه بهذا الوصف لا يدل على ان سائره بخلافه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی) کيف يصح أن يکون هذا جوابه. و جوابنا أن المراد أنهم سألوه عن الروح و لما ذا يحتاج الحىّ منا إليها فبيّن تعالى أن ذلک ممّا لا يعلمه إلا اللّه تعالى و لم يسألوه عن نفس الروح ما هو و قد قيل إنهم سألوه عن جبريل صلّى اللّه عليه و سلم فى وقت نزوله بالوحى دون آخر و ذلک مما لا حاجة بهم الى معرفته و لذلک قال بعده (وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ثمّ بين تعالى عظم شأن القرآن بقوله (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) فنبه بذلک على أن له من الرتبة فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۳

الفصاحة ما لا تدرکه العباد انفردوا أو اجتمعوا و لو کانوا يقدرون عليه و إنما صرفوا عنه لم يکن لهذا القول معنى و بين تعالى بقوله (وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) أنه تعالى لا يجعل معجزات أنبيائه ما يوافق شهوة القوم و إنما يظهر من ذلک ما يعلمه أصلح فلذلک قال و قد طلبوا تفجيرا لينبوع و طلبوا البيت من الزخرف و أن يرقى فى السماء و أن ينزّل عليهم الکتب و الجنة من النخل و العنب و إسقاط الکسف من السماء و أن يأتى باللّه و الملائکة قبيلا بالکلمة الواحدة ما کان جوابا لهم و هو قوله تعالى (قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا) و المراد ان معرفتى بالمصالح مفقودة و أنه تعالى هو العالم بذلک. فبين أن بعثة الملک ليست لصلاح کبعثة البشر بقوله تعالى (قُلْ لَوْ کانَ فِی الْأَرْضِ مَلائِکَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَکاً رَسُولًا) فبين أن قبول الشرع للبشر من البشر أقرب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُکْماً وَ صُمًّا) کيف يصح ذلک و هم يسمعون فى الآخرة و يتکلمون. و جوابنا أنه تعالى لم يذکر الا أنهم يحشرون کذلک لا أنهم يکونون بهذا الوصف أبدا فلا تناقض فى الآيات الواردة فى ذلک.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) کيف يجوز أن يقول لفرعون ذلک مع ادعائه أنه الاله دون اللّه تعالى. و جوابنا أنه لا يمتنع أن يجحد ذلک و ان کان يعلمه طالبا لثبات ملکه و قد اتفق منه أشياء تدل على ذلک نحو قوله (يا هامانُ ابْنِ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى و غير ذلک و انما يصح أن يسأل عن ذلک على أحد القراءتين فإما اذا قرئ لقد علمت فانما المراد موسى و قد عنى نفسه بذلک.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۴

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ) کيف يصح ذلک و المدعو هو اللّه تعالى. و جوابنا أن المراد الدعاء بذکر اللّه تعالى أو بذکر الرحمن فنبه تعالى على أنه متى دعا داع بأى اسم من اسمائه الحسنى جاز و لذلک قال تعالى (أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى .

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۵

سورهٔ الکهف

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَیِّماً) کیف یصح أن ینفی عنه أن یکون قیما کما نفی عنه العوج. و جوابنا أنه لم یدخل فی العوج و صار قوله قیّما من صفات الکتاب کما أن قوله لینذر من صفات الکتاب فکأنه قال (وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً) و جعله (قَیِّماً لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ) و قد قیل إنه مؤخر فی الذکر و هو مقدم فکأنه قال الحمد للّه الّذی أنزل علی عبده الکتاب قیما و لم یجعل له عوجا و ذلک فی المعنی یؤدی الی ما قدمناه فی الفائدهٔ.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَی الْأَرْضِ زِینَهً لَها) کیف یصح ذلک و علی الارض ما لا یصح کونه زینهٔ للارض کالحشرات و غیرها. و جوابنا أن المراد علی الأرض من شجر و زرع و نبات دون غیره لان قوله زینهٔ لها یدل علی ذلک و لان عد ذلک فی جملهٔ النعم یدل علیه و لذلک قال بعده (لِنَبْلُوَهُمْ أَیُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) و بین بعده بقوله (وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَیْها صَعِیداً جُرُزاً) أنه یجعل الأرض عند الحشر بخلاف ما هی علیه الآن.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْکَهْفِ وَ الرَّقِیمِ) کیف یصح أن یبتدیه بذلک و هو لم یعرف شیئا من

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۶

أحوالهم. و جوابنا أن مثل ذلک قد یقال فی اللغهٔ ابتداء لتوکید ما یورد من الحدیث و علی هذا الوجه قال تعالی (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَکْثَرَهُمْ یَسْمَعُونَ أَوْ یَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا کَالْأَنْعامِ) و قد قیل إنه صلّی اللّه علیه و سلم سئل عن ذلک فصح أن یعلمه اللّه تعالی به علی هذا الوجه من القول.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ) کیف یصح ذلک و معلوم أن صفهٔ الراقد خلاف صفهٔ المستیقظ فیما یشاهد. و جوابنا انهم کانوا و هم رقود بصفهٔ المستیقظ فی فتح العیون و التبسم و ذلک من آیات اللّه تعالی العجیبهٔ و ظاهر ذلک أنهم بقوا تلک المسافهٔ الطویلهٔ رقودا و ذلک من آیاته العجیبهٔ و ان کان فی الناس من تأوّل الآیهٔ علی أنهم کانوا موتی لاجل قوله تعالی (وَ کَذلِکَ بَعَثْناهُمْ) و لا یقال ذلک إلا فیمن أحیاه اللّه تعالی بعد الممات و الاقرب الاول لانه اذا جعلهم راقدین هذه المدهٔ الطویلهٔ صح أن یقول بعده (وَ کَذلِکَ بَعَثْناهُمْ).

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ لا تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فاعِلٌ ذلِکَ غَداً إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ) أ لیس ذلک یدل علی أنه تعالی یشاء کل أمر واقع قبیح و حسن. و جوابنا أن ذلک تأدیب لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و لأمته فی أن لا یقع منهم القطع علی ما ذکر أنهم یخبرون به من الافعال لان القاطع علی ذلک لا یأمن أن یکون کاذبا فینبغی أن یقیده بالمشیئهٔ لأنها تخرج الخبر من ان یکون مقطوعا به و لو لا

صحة ذلك لوجب أن يكون صلّى اللّه عليه و سلم لا يخبر بأمر المستقبل إلّا مع العلم بأن اللّه تعالى قد شاءه و ذلك لا يصح و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم يعزم على المباح كما يعزم على ما هو عبادة و اللّه تعالى لا يشاء الا الطاعة و لو لا صحة ذلك لحسن من أحدنا كما يقول تقول الصدق غدا إن شاء اللّه أن يقول أسرق و أزنى ان شاء اللّه و ذلك محظور على لسان الأمة فالمراد إذا تعليق الكلام بالمشيئة ليخرج من أن يكون خبرا قاطعا لا ان تعلقه به على وجه الشرط.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۷

عَنْ ذِكْرِنا) أ ليس أضاف جل و عز ذلك الى نفسه. و جوابنا أن المراد من وجدناه غافلا و لو لا ذلك لما صح أن يقول تعالى من بعد (وَ اتَّبَعَ هَواهُ) و أن يذمه على ذلك و قد قيل إن المراد جعلنا قلبه خاليا عن الكتابة التى ذكر اللّه تعالى أنه يسم بها قلوب المؤمنين فى قوله (أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ) فلما أخلى قلبه عن ذلك وصفه بهذا الوصف فأما قوله تعالى (وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) فهو تهديد و لذلك قال بعده (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها) و ذكر الحسن بن أبى الحسن رحمه اللّه فى قوله تعالى (وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ) ان ذلك يدل على انه تعالى لا يشاء الا الطاعة فكأنه قال قلت القول الذى يشاؤه اللّه دون ما أوردته من قولك (ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً) و بين تعالى بقوله (وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها) كيف يتحسر على ما أنفقه و أمل فيه المنافع اذا خاب أمله و جعل ذلك لطفا فى المحافظة على طاعة اللّه تعالى على ما يستحقه من ثواب الآخرة ثمّ ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فقال (كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ) و بعث بذلك المكلف على الحرص على عمل الآخرة من حيث يدوم نعيمها و بين تعالى أن المال و البنين زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات أولى بتكلف المرء لها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا) كيف يصح فى جميعهم أن يكونوا كذلك فى حال المحاسبة. و جوابنا أنه ليس المراد أنهم يعرضون صفا واحدا بل المراد أنهم يعرضون من دون اختلال و اختلاط فيشاهد بعضهم بعضا فمن ظهر أنه من أهل الخير يكون سروره بمعرفة الناس بحاله أعظم لوقوف الخلائق على صورة أمره و من هو من أهل النار يعظم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۸

غمه و هو معنى قوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) و بين تعالى بعده التخويف الشديد من المعاصى بقوله (وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها) و ذلك يدل على ان المرء يؤاخذ بالصغائر كما يؤاخذ بالكبائر اذا مات على غير توبة و معنى (وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً) ثواب ما عملوا حاضرا لأن عملهم قد فنى فى الحقيقة و قوله من بعد (وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) يدل على أن المعاقب يستحق العقوبة على فعله و على أنه تعالى منزه عن الظلم و سائر القبائح و قوله تعالى (إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ) يدل على انه ليس من الملائكة و قوله (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) يدل على أن الفسق هو الخروج إلى عداوة اللّه و قوله (أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي) تحذير شديد عن اتخاذه وليّا و القرب منه و لذلك قال (وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) و قوله تعالى (وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) يدل على أن المضل لاجل إضلاله لا يعينه تعالى و لو كان الاضلال من قبله كما يقول المجبرة لما صح ذلك و قوله تعالى (وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) يدل على أن الفعل للعبد فلذلك بكّتهم على اتخاذ الشركاء من دون اللّه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها) وصفهم بالظن و هم يعلمون ذلك فى الآخرة.

و جوابنا انه أراد بالظن العلم و لذلك قال عقبه (وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً) و قد يذكر فى الامور المستقبلة الظن مع العلم لأنه من باب ما يجوز أن يقع و يجوز أن لا يقع فمن حيث كان هذا شأن الشيء فى نفسه و هذا حاله جاز أن يعبّر عنه بذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۳۹

الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) كيف يصح ذلك و إنما ذكر تعالى فيه بعض الامثال. و جوابنا ان ذلك مبالغة كقوله تعالى (وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) و مذهب العرب فى ذلك معروف و المراد من كل مثل يحتاج العباد اليه فى أمر دينهم و ما هذا حاله موجود فى القرآن من صفات الامور الدنيوية و صفات الآخرة و غيرهما و قوله تعالى (وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) يدل على أنه الفاعل فيصح أن يجادل عن نفسه و لو كان كل تصرف مخلوقا فيه لما صح ذلك و قوله تعالى (وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا) من أقوى الادلة على ان الايمان فعلهم و الامتناع منه كذلك لأنه لا يصح أن يقال للمرء ما منعك أن تكون طويلا صحيحا أو مريضا لما كان ذلك من خلق اللّه فيه و قوله تعالى من بعد (إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى يدل على ان الهدى هو البيان و الدلالة و يدل على ان الاهتداء بهذا الهدى من قبله و قوله تعالى من بعد (وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ) يدل على ان العبد يستحق على فعله الطاعة ما يبشر به من الثواب و على المعصية ما ينذر به من العقاب و لو كان الأمر كما يقوله المجبرة فى أنه عز و جل يخلق الافعال فيهم و ان له أن يعاقب من أطاعه و يثيب من عصاه لما صح ذلك و قوله تعالى (وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) لا يصح لو لا أن الكفر من قبلهم و لو كان اللّه هو الخالق له فيهم لكان لهم أن يقولوا لا عيب علينا فى ذلك و ان كان باطلا لأن اللّه جل و عز خلقه فينا و لما صح أن يقول تعالى (وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً) و قد منعوا من خلاف ذلك و قوله تعالى من بعد (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها) كيف يصح أن يبالغ تعالى فى وصفه بظلم نفسه و هذا الاعراض من قبل اللّه تعالى و لو شاء خلاف ذلك لما صح و بعد ذلك وصفهم بالاكنة و الوقر لمّا لم يقبلوا ما أمروا به على وجه المبالغة و المراد ان ذلك ما يؤنس منهم ان يختاروه فصاروا بمنزلة ما لا يفقه و لا يسمع و لذلك قال تعالى (وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً) ثمّ بيّن تعالى رحمته بتأخير العقاب عنهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۰

و هذه حالتهم فقال (وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ) و لذلك يوصف تعالى بأنه حليم محسن الى من أساء كما أنه محسن الى من أحسن فيمهل و لا يعجل لئلا يكون للمعاصى حجة يتعلق بها و ليصح أن يقال له ما أوتيت فيما قدمت عليه الا من قبل نفسك و قوله تعالى (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) يدل على ان وعيده تعالى حق لا يقع فيه خلف.

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما) فاضاف النسيان اليهما ثمّ قال تعالى من بعد (قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا) ثمّ قال (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ) حاكيا عن فتاه ثمّ قال تعالى (وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) و ذلك كالمتناقض.

و جوابنا انه تعالى أضاف اليهما النسيان لما بلغا مجمع بينهما ثمّ أضاف ذلك الى الفتى لما جاوزا و اذا اختلف الحالان صح و قد يصح فيما تحمله المسافران أن ينسب الحال فيه اليهما لما كان لا يتم ذلك إلا بهما و قوله تعالى (وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ) دليلنا على

ان الفعل للعبد لأنه لو كان خلقا للّه تعالى لكان قوله لو قال و ما أنسانيه إلّا الرحمن أولى و أصوب و متى قيل النسيان عندكم من فعل اللّه تعالى فكيف يصح ذلك. فجوابنا ان المراد بالنسيان هنا التقاعد و الاهمال و ذلك من فعل العبد فعلى هذا الوجه حصلت الاضافة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) كيف قطع فى ذلك و هو أمر مستقبل لا يعرفه إلا علّام الغيوب.
و جوابنا ان ذلك من قول صاحب موسى و كان نبيّا فيجوز انه تعالى عرفه ذلك و يحتمل انه لما كان عارفا بأن الذى يفعله من خرق السفينة و قتل الغلام بالغ فى التعجب منه مبلغا عظيما و ان ذلك مما يتعذر الصبر عن معرفة علته (قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) لما قوى ذلك فى ظنه و لذلك قال تعالى (وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) و قول موسى صلّى اللّه عليه و سلم
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۱
(سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً) يدل على قوة عزمه على الصبر ثمّ قال بعده (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً) و يحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) ان ذلك يثقل عليه فقد يقال إن فلانا لا يقدر على سماع كلام فلان و أراد أنه يثقل عليه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) عند خرق السفينة و قتل الغلام أ ليس ذلك يدل على أن القدرة مع الفعل فنفى استطاعته عن الصبر لما لم يصبر. و جوابنا ان المراد ليس هو الاستطاعة التى هى القدرة بل المراد ثقل ذلك عليه لما رأى الامر العجيب و لم يعرف تأويله و وجه الحكمة فيه فلذلك قال تعالى (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) فبين انه انما لم يستطع الصبر لأنه لم يعرف تأويله و لو عرفه كان يستطيع و هذه الاستطاعة هى بمعنى ما يثقل على المرء و يخفف.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها) ثمّ قال تعالى (وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) فانه اذا كان يأخذ كل سفينة فكيف يصح أن يقول ذلك. و جوابنا ان المراد يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا و ذلك ما يعقل من الكلام بقوله تعالى (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها) لانه نبه بذلك على ان ذلك الملك كان ينصرف عن أخذ المعيب من السفن الى أخذ الصحيح فاما قوله جل و عز (وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً) فان من تدبر يعرف به حكمة اللّه تعالى و عدله و أنه يفعل بالمكلف أقرب الأشياء الى طاعته و انه تعالى ينفى
تنزيه القرآن (۱۶)
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۲
عنه ما يدعوه الى معصيته فامر عز و جل صاحب موسى بقتل الغلام لما كان لو بلغ بلوغه داعية كفرهما و يدل أيضا على ان الكفر من فعلهما لأنه لو كان خلقا من اللّه تعالى لم يصح ذلك و قوله عز و جل (وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) يدل على ان ذلك كان من أمر اللّه تعالى و إذنه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) كيف يصح أن يجدها تغرب فى شىء من

الأرض و هی إنما تغرب فی مجاری غروبها. فجوابنا انها تغرب علی وجه یشاهد کذلک کما توجد الشمس تغرب فی البحر اذا کان المرء علی طرفه و کما یقول المرء ان الشمس تطلع من الأرض و تتحرک فی السماء و المراد بذلک ما ذکرناه من تقدیر المشاهدهٔ و قوله تعالی من بعد (قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ یُرَدُّ إِلی رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذاباً نُکْراً) یدل علی ان ذلک الظلم فعل العبد و علی ان هذا التعذیب فعل ذی القرنین فلذلک أضاف العذاب المتقدم الی نفسه ثمّ العذاب المتأخر الی ربه.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قصهٔ یأجوج و مأجوج کیف یصح وصفه لهم بأنهم (لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًا) ثمّ وصفهم بأنهم یفسدون و کیف یصح قوله تعالی (فَمَا اسْطاعُوا أَنْ یَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً) و کیف یصح أن یبقوا علی الزمان لا یستطیعون ذلک حیث یقول تعالی (فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّی جَعَلَهُ دَکَّاءَ) یعنی الحشر. و جوابنا ان قوله (لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًا) یحتمل مع کمال عقلهم للمباینهٔ فی اللغهٔ و یحتمل خلافه فلا یدل علی ما ذکروا و قوله (مُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ) یحتمل أن یکون مع کمال العقل و یحتمل مع فقده کما یقال فیمن لا عقل له انه یفسد الزرع بل یقال ذلک فی البهائم و ذلک السد معمول بالصفر و ما یجری مجراه فصح ان لا یمکنهم التأثیر فیه لفقد الآلات و لقوهٔ السد و إحکامه و یحتمل أنه تعالی یصرفهم عن الشغل بذلک فیبقی الی یوم القیامهٔ. و اختلفوا فی یأجوج و مأجوج

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۳

فمنهم من قال هم غیر مکلفین و منهم من قال یجوز أن یکون تکلیفهم بجمیع العقلی و الشرعی بأن یسمعوا الأخبار ممن یقرب من السد فتتواتر عندهم و منهم من قال بل تکلیفهم بالعقلی دون الشرعی الذی لم تبلغ دعوته الیهم ثمّ ذکر تعالی من بعد ما تعظم الفائدهٔ به لمن تدبره فقال سبحانه (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالًا الَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً) فبین تعالی ان أعمال من لا- یحفظ عمله فیفسدها بالکفر و الفسق تکون الی خسار و تبار و تصیر کالحسرهٔ فی الآخرهٔ فلذلک قال الذین ضل سعیهم و المراد ذهب هدرا و لذلک قال آخرا (فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَزْناً) فنبه علی ان کل من حبط عمله یکون حکم سعیه فی الخیرات هذا الحکم ثمّ بین أن الذین آمنوا و عملوا الصالحات فلم یحبطوا ما فعلوه (کانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خالِدِینَ فِیها لا یَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا) فان مساکن الدنیا قد یبتغی المرء عنها حولا و لیس کذلک الجنهٔ و فی قوله تعالی عز و جل (قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی) ما اذا تأمله العاقل علم ان کلمات اللّه تعالی لا تحصر و أنه قادر علی ما لا نهایهٔ له و من هذا حاله کیف یصح أن یقال محدث أو مخلوق.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۵

سورهٔ مریم

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا) أ لیس یدل علی ان صلاحه من قبل اللّه تعالی؟ و جوابنا ان الرضا قد یکون کذلک بأمور یفعلها اللّه به من کمال العقل و الحزم و من النبوهٔ و غیر ذلک فلا یصح تعلقهم به.

[مسألهٔ]

و ربما سألوا و قالوا کیف خاف زکریا صلّی اللّه علیه و سلم الموالی فرغب الی ربه أن یرزقه ولدا یرثه حق الانبیاء و لم الفکر فی أمور الدنیا؟ و جوابنا انه لم یعن وراثهٔ المال بل عنی وراثهٔ العلم و الدین و النبوهٔ فأراد أن یکون ذلک فی داره و لم یذکر أیضا ما الذی

خافه من الموالى و قد يحتمل أن يكون خاف منهم التغير اذا مات فأحب أن يكون هناك من يقوم مقامه فى النبوة حتى لا يتغيروا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى ما الفائدة فى ذكر الاسم و اللقب و الكل فى ذلك سواء و ما الفائدة فى قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) و لو جعل له سميا لم تتغير البشرى؟ و جوابنا ان من تمام نعمة اللّه أن يرزقه المسمى و يتولى اسمه لان ذلك يكون فى الانعام أزيد و كذلك اذا لم يكن له من قبل من يساويه فى الاسم كان الاحسان أعظم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۶

وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) كيف يستبعد ذلك و هو نبىّ و قد بشّره اللّه تعالى به لأجل ما ذكره؟ و جوابنا أن ذلك استبعاد من حيث العادة لا من حيث القدرة و ذلك يصح فى الانبياء كما يصح فى غيرهم و لو أن نبيّا من الانبياء بشر من بالبادية بنهر جار لجاز أن يقال كيف يصح ذلك فى هذا المكان فيكون استبعادا من حيث العادة لا من حيث القدرة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً) أ ليس ذلك يدل على أن المعدوم ليس بشىء؟ و جوابنا أن المراد و لم تك شيئا على الوصف الذى أنت عليه من الفضل و النبوة فإذا صح أن أخلقك على هذا الوجه صح أن أرزقك ولدا مع كبرك فلا تستبعد ذلك فى القدرة و جواز مثله فى العادة و قوله تعالى (يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ) فيدل على ان القوة قبل الفعل على ما نقول و الا كان لا يصح ذلك كما لا يصح ممن لا يد له أن يقال خذ بيدك فأما قوله تعالى (وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) فيدل على أن مخالفة الصبى للبالغ هو من حيث العادة لا من حيث القدرة و قوله (وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا) أراد به الانعام العظيم عليه بأن جعله نبيا و ناصحا و باعثا على الخيرات و قوله تعالى (قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) لا يدل على أنه لم يكن واثقا بما بشّر به على ما روى عن بعضهم أنه شك فى البشرى بل مراده بذلك التوكيد لما بشر به اذا لم يجعل له آية تدل على الوقت الذى يرزق فيه الولد و ان كان قد عرف بالبشارة ذلك لكنه جوّز التقديم و التأخير.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) أ ليس ذلك يتناقض لأنه اذا كان تقيا استغنى فيه عن التعوذ و كان الاقرب أن يقول: إنّى أعوذ بالرّحمن منك إن لم تكن تقيا؟

و جوابنا أنها قالت هذا القول و هى لا تعرفه فقالت أعوذ بالرحمن منك ان

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۷

كنت ممن يتقيه و يخشى عذابه على وجه التخويف كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى و قوله تعالى (فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا) يدل على أن خلقة الملائكة مخالفة لخلقة الناس فتمثل بهذه الخلقة و يدل على تقارب خلقتهم فى البنية لخلقة البشر و ان كانت لهم آلات و عظام و يجوز أن تنفصل و تتصل و انما أنزل اليها جبريل صلّى اللّه عليه و سلم و ان كان نزوله من المعجزات علما لزكريا صلّى اللّه عليه و سلم فقد كان نبيا فى الوقت و قول مريم (يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا) لا يدل على كراهتها

لما قضاه اللّه فیها و فی ولدها و إنما تمنت ذلک من حیث یعصی الناس فی أمرها لخروجه عن العادهٔ و لما یلحقها من الخجل.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا أُخْتَ هارُونَ) کیف یصح أن یقال لها ذلک و بینها و بین هارون أخی موسی الزمن الطویل؟ و جوابنا انه لیس فی الظاهر أنه هارون الذی هو اخو موسی بل کان لها أخ یسمی بذلک و اثبات الاسم و اللقب لا یدل علی أن المسمی واحد و قد قیل کانت من ولد هارون کما یقال للرجل من قریش یا أخا قریش.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَأَشارَتْ إِلَیْهِ قالُوا کَیْفَ نُکَلِّمُ مَنْ کانَ فِی الْمَهْدِ صَبِیًّا قالَ إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا) فکیف یصح للطفل أول ما یولد أن یتکلم بذلک و أن یکلف الصلاهٔ و الزکاهٔ و أی فرق بین من یجوز ذلک و بین من یجوز تکلیف الموتی؟ و جوابنا أنه تعالی قادر علی اکمال عقله و تقویهٔ جسمه فی تلک الحالهٔ و ان کان کلا الامرین یحصل فینا فی العادهٔ فی الوقت الطویل بالتدریج و اذا کان کذلک و ألهمه اللّه تعالی هذا القول صح أن یقول ما قال و صح سائر ما وصف به نفسه أو لیس یوجب قوله و أوصانی

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۸

بالصلاهٔ و الزکاهٔ أنه فی هذا الوقت خاصهٔ لان الوصیهٔ تتقدم و تتأخر و إنما جعل اللّه معجزهٔ عیسی صلّی اللّه علیه و سلم فی حال ولادته لما کان فی ذلک من ازالهٔ الریب بذلک عن القلوب و بغیر هذه الآیهٔ لا یکاد یزول.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (ما کانَ لِلَّهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ) کیف یصح فی أمر محال أن یقال ما کان للّه أن یفعله و انما یصح ذلک فیما یصح و یمکن و لذلک لا یقال ما کان لزید و هو شاب أن یلد رجلا شیخا لأن ذلک یستحیل؟ و جوابنا أن القوم کانوا ینسبونه الی ذلک فنفی عن نفسه علی الوجه الذی کانوا یضیفونه الیه و لذلک قال (سبحانه) فنزه نفسه عن ذلک و بین أن کل الأولاد من خلقه و أنه قادر علی خلقهم فلا یجوز علیه الولادهٔ و قد یقال ذلک بمعنی البیان و الدلالهٔ إذا دلّ و بین أن ذلک لا یجوز علیه.

[مسألۀ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ) کیف جاز من ابراهیم علیه السلام أن یقول ذلک و لم یکن أبوه ممن یعبد الشیطان؟ و جوابنا أنه أراد لا تتبعه و لا تطعه کما روی فی تفسیر قوله تعالی (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) فقال صلّی اللّه علیه و سلم لم یتخذوهم أربابا بالعبادهٔ لکن أطاعوهم فی التحلیل و التحریم و لذلک قال ابراهیم صلّی اللّه علیه و سلم (لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ) لانه کان یعبد الاصنام فلا یجوز أن یرید بقوله (لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ) الا ما ذکرنا و لذلک قال من بعد (فَتَکُونَ لِلشَّیْطانِ وَلِیًّا) و معنی قوله من بعد (قالَ سَلامٌ عَلَیْکَ سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی) انه ان تاب و قبل قول ابراهیم یستغفر له و یرجو له الثواب و النجاهٔ لأنه لا یستغفر له و هو علی اصراره علی الکفر.

[مسألۀ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ) كيف يصح ذلك و ولادة

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۴۹

اسحاق كانت بعد ذلك بزمان و ولادة يعقوب أبعد من ذلك؟ و جوابنا أنه تعالى بين أنه لما اعتزلهم لم يدعه فريدا وحيدا بل خلق له الاولاد و ليس فى ذلك ذكر وقت مخصوص.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا) كيف يصح ذلك و ليس فى الجنة ليل يتلوه نهار؟ و جوابنا ان المراد بذلك تقدير وقت الأكل فقدّر جل و عز بما جرت به العادة لا أن هناك نهارا بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الاوقات على حسب أوقات الليل و النهار بعده ليل أو يجوز أن يكون لهم علامات تتقدر بها هذه الاوقات على حسب أوقات الليل و النهار و قد قيل إن هناك من الحجب و غلق الابواب ثمّ فتحها و رفع الحجب ما يدل على ذلك و بيّن تعالى من صفتهم ما تشتد فيه الرغبة فقال تعالى (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً) و قال (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا) ما المراد بذلك؟ و جوابنا أنه بيّن به أنه مالك الافعال فى الاوقات الماضى و المستقبل و الدائم و أن التقديم و التأخير سواء فى أنه عالم به و لذلك قال بعده (وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) و ربما يتعلق بعضهم بقوله (رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما) و قال بينهما أفعال العباد فيجب أن يكون ربها و ذلك يدل على أنه يكون خالقها. و جوابنا أن ما بينهما هو الاجسام كالهواء و غيره فلا مدخل لافعال العباد فى ذلك و بعد فقد يقال أنه تعالى ربنا و رب أفعالنا لما صح منه انه يمكن منها و يمنع منها و لذلك قال بعده (فَاعْبُدْهُ) و ذلك بين خروج العبادة و ما جرى مجراها مما ذكر أولا و معنى قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أى مثيلا و نظيرا فذكر الاسم و أراد المسمى فليس لأحد أن يسأل عن ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۰

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا) بعد ذكر جهنم أ ليس يدل ذلك على أن كل من يحشر يرد النار فكيف يصح ذلك فى أهل الثواب.

و جوابنا أنه بمعنى القرب منها لا بمعنى الوقوع فيها كقوله تعالى فى قصة موسى (وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ) و هذه طريقة العرب فى الورود بمعنى القرب و لذلك قال بعده (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا) لانهم إذا قربوا سلك بأهل الثواب مسلك الجنة و أدخل أهل العقاب النار و لا بد أن يتأول على ما ذكرناه فإنه تعالى بين أن أولياء اللّه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و من هذه حالته لا يجوز أن يلقى فى النار و يظن به ذلك و بين تعالى بعده بقوله (وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً) أنه عز و جل يخص المهتدى بألطاف من حيث آمن و اهتدى و أن ذلك يؤديه الى الباقيات الصالحات. و ذكر قبله (قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا) أنه تعالى يبقيهم ليزولوا عن الضلالة و يفعل بالمهتدين الهدى ليثبتوا على الايمان.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) كيف يصح قولكم أنه تعالى زجرهم عن الكفر بأقوى

زجر و عن القبول من الشيطان و هو يقول ذلك.

و جوابنا أن المراد خلينا بين الشيطان و بينهم و لم يمنع من ذلك لما فيه من المصلحة و على هذا الوجه يقال فيمن ربط الكلب على باب داره و لم يمنعه من الوثوب على من زاره قد أرسلت كلبك على الناس و فى قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً) دلالة قوية على ما تأولنا عليه قوله تعالى (وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها.)

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۱

(وَلَداً) كيف يصح أن يعظم ذلك هذا التعظيم ثمّ يأمرنا بأن نقرهم عليه بأخذ الجزية. و جوابنا ان اللّه تعالى ما عظم الا العظيم من القول و الكفر و قد كان يجوز أن لا يخلق من يكفر لكنه تفضل و كلف لكى يؤمنوا و كذلك لا يمنع أن يأمرنا بأن نقرهم على وجه أقرب الى أن يؤمنوا عند المخالطة و سماع التوحيد و عند ما ينالهم من الذل بدفع الجزية و بين أن كل من فى السموات و الارض خلقه و هو قادر على اضعافه فلا يجوز أن يتخذ منهم ولدا مع قدرته على أن يكونوا له عبيدا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۳

سورة طه

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى ما الوجه فى أن يقول بعده (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ؟ و جوابنا أنه تعالى عظم شأن القرآن من حيث كان تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ ثمّ أتبعه بما هو أعظم من ذلك فقال (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و المراد استولى و اقتدر عليه لأن العرش من أعظم ما خلق فنبّه على أنه اذا كان مقتدرا عليه مع عظمة و على السموات و على الارضين و يملك ما فى السموات و ما فى الارض و ما بينهما و ما تحت الثرى فاعلموا عظم محل القرآن لصدوره عمّن هذا وصفه و تمسكوا بآدابه و أحكامه فذلك بعث من اللّه تعالى على تدبر القرآن و قد بينا من قبل بطلان قول المشبهة بأنه تعالى استوى على العرش و قلنا ان من يصح ذلك عليه يكون حسّا ذا صورة و من هذا حاله يكون محدثا محتاجا إلى مصور فالمراد الاستيلاء و القدرة كما ذكرناه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى ما معنى قوله (وَ أَخْفى و لا شىء أخفى من السر؟ و جوابنا ان ما يخطر بالقلب و يحدث المرء به النفس أخفى من السر فنبه على عظم شأنه و العلم بذلك ثمّ قال (اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فنبه بذلك على ما يجب من ذكر أسمائه التى تفيد عظم شأنه على ما قدمه من قوله (تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ) و لا فائدة فى ذكر

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۴

أسماء اللّه إلّا بأن ينوى المرء بها ما تفيده مما يقتضى تعظيمه و اجلاله.

[مسألة]

و ربما قيل ما فائدة قوله تعالى (إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ) و إذا جاز أن يكون عليه سائر ثيابه فما المانع من أن يكون لابسا لنعليه مع كونه فی الوادی المقدّس؟ و جوابنا ان النعلين تلبسان لا ـ على حدّ ما يلبس سائر الثياب و لذلك لا ـ يلبسهما المرء فی بيته و إنما يلبسهما لدفع الأذى فی المواضع التی تخشى فيها النجاسات و غيرها و على هذا الوجه جرت العادة فيمن يعظم المكان أنه يخلع نعله فأراد تعالى تنبيه موسى على عظم محل الواد المقدس و أحب أن تلحقه بركة ذلك الوادی و هو يباشره برجله و أحب أن يعرّفه عظم محله بهذا الصنيع و قد روی فی نعليه أنهما كانا من جلد حمار ميّت فإن كان كذلك فهما أولى ما يخلع و إلا فالذی قدمناه وجه صحيح.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِی) ما فائدة قوله (لِذِكْرِی) و الصلاة لا تقام الا لذكره تعالى؟ و جوابنا ان قوله (لِذِكْرِی) يرجع إلى الصلاة و الى العبادة جميعا فكأنه قال فاعبدنی لذكری و أقم الصلاة لذكری و هما جميعا لا يصحّان إلا إذا كان المرء ذاكرا للّه تعالى و توحيده لان الغافل عن ذلك لا يعتد بما فعله و على هذا الوجه يجتهد المرء فی الصلاة أن يتحرز من السهو فيكون ذاكرا للّه قاصدا بما يأتيه الى عبادته و خص تعالى الصلاة بالذكر و إن دخلت فی جملة العبادة تفخيما لشأنها.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها) ما فائدة قوله تعالى (أَكادُ أُخْفِيها)؟ و جوابنا ان المراد أخفى ما فيها لما فی ذلك من المصلحة فإن أراد تعالى أخفى موت كل أحد ففی ذلك مصلحة لأنه متى علم وقت موته كان ذلك إغراء بالمعاصی أن تطاول و إلجاء الى الطاعة أن تقارب و إن أراد تعالى ما يظهر من زوال التكليف و حصول أشراط

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۵

الساعة فقد أخفاها و المصلحة فيها ظاهرة لما بينا فلما كان ذلك مصلحة أخفاها تعالى و ذكر ذلك بهذا اللفظ معتاد لقرب الامر و الفائدة فيه أن يظن قربها فيكون المرء الى الطاعة أقرب و لذلك قال تعالى (لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى .

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ) لحن ظاهر فكيف يجوز ذلك فی القرآن؟ و جوابنا أن كثيرا من القراء قرأ إن هذين و هی مروية عن الحسن و سعيد بن جبير و إبراهيم النخعی و عمرو بن عبيد و عيسى بن عمر و عاصم و قد حكى عن الزهری و غيره أنه قرأ (إِنْ هذانِ لَساحِرانِ) بتخفيف ان و روی أيضا ذلك عن عاصم و بعد فإذا جاز فی الحقائق أن يعدل عنها الى المجاز فی كتاب اللّه لم يمتنع مثل ذلك فيما ذكرته فيكون تعالى ذكر إن و أراد غيره كما قيل إن معناه نعم و أجل و قد قيل إن ذلك لغة بنی الحارث بن كعب يقولون رأينا الزيدان و قيل شبهت الالف بقول القائل يفعلان فلم تغير قال الزجاج فيها اضمار و المعنى إنه هذان لساحران و قيل لما كان هذا يستعمل فی موضع الرفع و النصب و الخفض على أمر واحد لم تغير التثنية و أجريت مجرى الواحد و إذا كان فی القرآن يدعى الحذف فی مواضع كثيرة ليصح المعنى فما الذی يمنع من أن يدعى فی ذلك حذف يخرج معنى الكلام من أن يكون لحنا و إذا صحّ ذلك فالحذف الذی يصحّ فيه كثير لا معنى لعده.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالى (قالَ بَلْ أَلْقُوا) كيف يصح من موسى عليه السلام أن يأمر بذلك و هذا الفعل منهم قبيح؟ و جوابنا أنه أمر

بشرط فإنه قال إن کنتم محقّین فیما تدّعون فافعلوا و هذا کما یقول الحاکم للمنکر احلف علی ما أنکرت فیکون مراده مثل ذلک و لا یمتنع أن یقال إن الالقاء اذا انکشف به المعجز من موسی صلّی اللّه علیه و سلم جاز أن یحسن من وجه فلا یکون قبیحا من کل وجه.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۶

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی کیف یخاف موسی و هو عالم بما یظهر علیه و انه یکشف عن بطلان ما أتوه؟ و جوابنا أنه یجوز أن یکون خائفا علی قوم قد شاهدوا ما فعلته السحرة أن یفسدوا و یثبتوا علی فسادهم خصوصا أن تأخر امره تعالی بإلقاء العصا و من تأمل حال فرعون و قومه مع کثرتهم کیف ذهلوا عن القبول من موسی صلّی اللّه علیه و سلم مع ظهور أمره علم أن شهوة المرء و هواه مسلّطان علیه فیجب أن یتحرّز التحرّز الشدید من أتباع الهوی و إیثار الدنیا علی الآخرة و یبذل الجهد فی اتباع الحق و إن شق و أوجب مفارقة الإلف و العادة و مفارقة السلطان و الرئاسة و کذلک القول فی السحرة الذین آمنوا بموسی صلّی اللّه علیه و سلم لما رأوا أمره الذی بهرهم کیف انقادوا و اختاروا الایمان و حسن العاقبة علی القتل و الصلب فالمحکی عن ابن عباس رضی اللّه عنه أنه قال أصبحوا من أهل النار و أمسوا من أهل الجنة کلام هذا معناه و روی انه أکرههم علی ذلک السحر لقولهم (وَ ما أَکْرَهْتَنا عَلَیْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَیْرٌ وَ أَبْقی ثمّ قال سبحانه قالوا (إِنَّهُ مَنْ یَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا یَمُوتُ فِیها وَ لا یَحْیی وَ مَنْ یَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِکَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلی جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ مَنْ تَزَکَّی) فإن کان هذا من قول السحرة دلّ علی استبصار منهم و إن کان من کلامه تعالی دل علی أنّ دار المجرمین غیر دار الصالحین المؤمنین و قوله تعالی (وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدی یدل علی شدة الذم له و علی أنه تعالی لا یضلّ عن الدین و انه أراد باضافة الضلال الی نفسه ما تأولناه من أن المراد به العقاب و ما یتصل به و لذلک قال تعالی (وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِینَ) (وَ یُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِینَ) ثمّ قال (إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ کاذِبٌ کَفَّارٌ) الی غیر ذلک.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۷

مِنْ بَعْدِکَ) ما الوجه فی ذلک و قد آمنوا به. و جوابنا ان المراد بذلک تشدید المحنة علی أمة الرسول لأن فی حال حیاته تکون المحنة أخف منها بعد وفاته و کذلک حال حضوره تکون المحنة أخف من حال غیبته و لذلک قال تعالی (وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ) بما اتخذه من العجل.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی و الوصف المتقدم هو الاهتداء. و جوابنا انه لزم هذه الطریقة و حفظها لما کلف من الطاعات لینتفع بذلک.

[مسألة]

و ربما قیل ما معنی قوله تعالی حکایة عمّن لم یعبد العجل من بنی اسرائیل (ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَکَ بِمَلْکِنا) و ما الفائدة فی ذلک لأن هذا الکلام لا معنی له؟ و جوابنا ان مرادهم إنا لم نجد السبیل إلی ردّ من عبد العجل و لم نتمکن من ذلک فلم نخلف ما کنا وعدناک من

إنكار مثل ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لا بِرَأْسِي) كيف يجوز ذلك على الانبياء و قد أدبه اللّه تعالى بقوله (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً) فأمره بذلك فى معاملة فرعون و يفعل بأخيه مثل هذا الفعل. و جوابنا أن ظاهر ذلك لا يدل على ان موسى فعل و إن كان هارون جوّز أن يفعل و الذى فى القرآن أنه أخذ برأسه يجره إليه ليظهر لبنى إسرائيل غضبه عليهم و مثل ذلك يحسن كما يحسن ان يأخذ نفسه فأحب هارون أن لا يفعل ذلك و إن كان فيه إنكار و إظهار للغضب و يفعل ما يقوم مقامه.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز فى نبىّ من أنبياء اللّه أن يقول (وَ انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي) فسمى العجل الذى اتخذه إلها؟ و جوابنا أن مراده ما اتخذته إلها على وجه التوبيخ و لذلك قال بعده (لَنُحَرِّقَنَّهُ) تنزيه القرآن (١٧)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۸

(ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً) كيف يصح أن يخفى عليهم ذلك مع كثرتهم لأنه تعالى قال (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) و جوابنا أن المراد لبثهم بعد الممات فان ذلك يخفى و لا يعلم و لم يتفقوا على ذلك كما قال تعالى (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى كيف يصحّ هذا الوصف و قد ثبت أنهم فى الآخرة يبصرون كما قال تعالى (وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) و كيف يصح أن تكون معيشتهم ضنكا و فيهم من ليس هذا وصفه؟ و جوابنا أنه تعالى يحشرهم عميا ثمّ يبصرون لأن أحوال الآخرة مختلفة و قد قيل مشبها بالاعمى لما ينزل به من الحيرة و متى قيل كيف يصح ذلك مع قوله تعالى من قبل (وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) و هذا صفة للبصر. فجوابنا أن المراد نحشرهم زرقا عميا ثمّ يبصرون. و قد قيل شبه الاعمى بالازرق لذهاب السواد عن البصر و قوله من بعد (وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً) يدل على أنهم مع معرفتهم بالآخرة فإنهم آمنون.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۵۹

سورة الانبياء

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ) ما فائدة تكرار هذه الكلمة و كيف ترتبط بما تقدم و لم يتقدم فى الكلام جحد فتليق به هذه الكلمة؟ و جوابنا أنه تعالى

قد ذكر عن الكفار الجحود بقوله (لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فبين تعالى بعده أنه عالم بجحودهم ثمّ ذكر (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ) فبين اختلاف اقاويلهم و أن فيهم من قال إن الذى يأتينا من المنامات المختلفة و قال بعضهم افتراه و قال بعضهم هو سحر و أنهم تحيروا فى أمره فذكر تعالى إنكارهم لنبوته و حقق ذلك بما حكاه عنهم بقوله (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ) و بين بقوله (وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) أنه فى إزاحة العلة ببعثه الانبياء قد بلغ الغاية فلم يبعث من نسب الى نقص فيكون فى بعثته تنفير عن القبول منه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) كيف يعرف أنه لم يرسل إلا الرجال فيرجع الى مسألة أهل الذكر؟ و جوابنا أن أهل الذكر و العلم يعلمون أن بعثة الانبياء اذا كانت للمصلحة و الدعاء إلى الطاعة فلا بد من أن يكون المبعوث لا نقص فيه و لا عيب ينفر عنه و بيّن تعالى بقوله (وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۰

(بَيْنَهُما) لا يحسن أنه خلق ذلك على وجه الحكمة و عرض للثواب العظيم و خلق ما يكون لعبا و هو معنى قوله تعالى (ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ) و معنى قوله (لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً) ثمّ حقق ذلك بقوله تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ) و قال لمن خالف الحق (وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ثمّ بين تعالى حال عبادة الملائكة له و خضوعهم و أنهم لا يستكبرون عن عبادته و كل ذلك ترغيب لنا فى الطاعة ثمّ قبح تعالى فعلهم فقال (أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ) تبكيتا لهم ثمّ بين فساد ذلك بقوله تعالى (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا) فبين أنه لو كان يدبرهما آلهة لفسد ما هما عليه بأن يريد أحدهما أن يكون ليلا و الآخر نهارا أو يريد أحدهما أن يكون حرّ و الآخر برد فكان التدبير فيهما يفسد و هذا هو دليل علماء التوحيد فى أنه لا ثانى للّه تعالى قد نبّه سبحانه عليه بهذه الكلمات اليسيرة و نزّه نفسه عن هذا القول بقوله (فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ثمّ بيّن تعالى حكمته فى فعله لقوله (لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ) لأن من كل أفعاله حكمة لا يسأل عن فعل و إنما يسأل من فى فعله سفه كما أن من فى فعله قبح و ذلك يبطل قول هؤلاء المجبرة لأنه لو كان كل ظلم و قبح من فعله كان يجب أن يسأل عما يفعل تعالى اللّه، و بين بقوله (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ) أنّ من لا حجة معه فيما يأتيه فهو جاهل و فى ذلك دلالة على فساد التقليد و أن كل قول لا برهان معه لا يصح ثمّ قال (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) فنبه بذلك على ان المحق هو الاقل ثمّ نبه على بطلان قول النصارى فقال (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ) فبيّن ان منزلة عيسى و سائر الانبياء أنهم مكرمون و معظمون

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۱

و أنه منزه عن الولادة و نزّه نفسه عن ولادة الملائكة كما كانت العرب تقوله من أنهم بنات اللّه تعالى فقال (لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) و بين أنهم (لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) و بيّن بذلك ان الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى الطريقة و بيّن أنهم مع عبادتهم العظيمة يشفقون و كل ذلك ترغيب لنا فى العبادة و فى العدول عن الاباطيل من المذاهب و بين تعالى بقوله (وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أن من تكبر و أنزل نفسه عن منزلته فهو معذب عليه و ان كل من قال ذلك فهذا سبيله ثمّ بيّن تعالى دلالة حدوث الاجسام بقوله (أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما) و هذا هو دليل علماء التوحيد لأنه إذا لم يخل من الاجتماع و الافتراق و هو الرتق و الفتق يجب أن يكون محدثا فلو لم يكن فى كتاب اللّه من التنبيه على أدلة التوحيد و العدل و غيرهما الا ما ذكرناه فى هذه الآية لكفى و كيف يذهب عن ذلك من يزعم انه ليس فى الكتاب التنبيه على علم الكلام و لا فى السنن مع الذى ذكرناه ثمّ بين تعالى عظم نعمه بقوله (وَ جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ

رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ) الآيات و قوله تعالى (وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) فنبه بذلك على انه خلق هذه النعم للمكلفين و ان تكليفهم منقطع و ان مراده تعالى أن يهيئهم لدار أخرى و هى دار الخلود دون هذه الدار فلذلك قال (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً) فبين أنه يكلّف ثمّ يميت ثمّ يجازى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً) أ ليس يدل ذلك على أن الشر كالخير فى أنه من قبل اللّه تعالى؟

و جوابنا أن البلوى إنما تقع بالامر و النهى و لا شبهة فى أنه جل و عز لا يأمر

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۲

بالشر فالمراد به فى هذه الآية الميثاق و الآلام و أنه تعالى يبلو المكلّف بذلك كما يبلوه بالخير و ينزل به المصائب و الامراض كما يعاقبه و بين أن حال الدنيا ليست كحال الآخرة التى لا يتغير ما بأهلها أما عقاب يدوم و إما ثواب خالص يتّصل بهم و لو كان الشر من قبل اللّه تعالى لوجب أن يوصف بأنه شرير إذا أكثر منهم و عندهم لا- شر إلا- من قبل اللّه و اللّه تعالى عن قولهم علوا كبيرا و قوله تعالى (وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ) يدل على أن المراد ما قدمناه و أنه يجازيهم على ما ابتلاهم به عند رجوعهم اليه و المراد بقوله (وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ) الى حيث لا حاكم و لا مالك سواه لأنّ فى دار الدنيا قد فوض تعالى هذه الامور الى غيره و فى الآخرة لا حاكم سواه و هذا كما اذا تنازع الخصمان فانهما يقولان يرجع أمرنا الى فلان و المراد هو الذى يفصل فى ذلك و يحكم فلا دلالة للمشبهة فى شيء من ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله جل و عز (خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ) و معلوم أنه ليس بمخلوق من ذلك بل لا يصح ذلك فيه. و جوابنا أن ذلك من الكلام الفصيح فى الانكار و التبكيت فمن يكثر غضبه يقال له كأنك خلقت من الغضب و من يكثر نسيانه يقال فيه ذلك فنبه تعالى على أن الواجب على المرء التوقف و التثبت و تأمل ما يلزمه من الادلة و غيرها فلذلك قال بعده (سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) و قال تعالى (وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يستعجلون لأنفسهم العذاب جهلا منهم كما قال تعالى (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا- يُؤْمِنُونَ بِها وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) و لذلك قال تعالى بعده (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ) ثمّ أنه تعالى عزّى رسوله صلّى اللّه عليه و سلم فى اختلافهم عليه و فى عنادهم فقال

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۳

(وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ) فبين أن الواجب فيما يفعل أن ينظر فى عواقبه فإذا كانت العاقبة مكروهة لم يحسن أن يغتبط بها فخلافهم عليك يا محمد إذا كان يعقب مثل ذلك فهو و بال و دمار ثمّ بيّن تعالى أنه على اختلال أحوالهم حافظ لهم و دافع للمكاره عنهم فقال (قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ) يبعثهم بذلك على طاعته لإدامة النعم عليهم و نبههم بذلك أن لا إله سواه يدفع عنهم المكاره فلذلك قال (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) فهجّن بذلك صنيع عبّاد الاوثان و بين تعالى أنه مع ذلك متّعهم بالبقاء لكى يؤمنوا و أطال عمرهم فقال (بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ).

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أ فَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها) كيف يصحّ تعلق ذلك بقوله (بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ)؟ و جوابنا أنه بيّن قدرته على إفناء كثير من الخلق و خصّهم بأن متّعهم فقد روى عن بعض المفسرين أن المرات موت العلماء و روى عن بعضهم أن المراد به إنزال أسباب الهلاك على قوم منهم و ذكر تعالى الارض و أراد هلاك أهلها.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ) كيف يصحّ أن يصفهم بالصمم ثمّ يذمهم بقوله (وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا)؟ و جوابنا أن ذلك جرى منه تعالى على مذهب العرب في وصفهم بما هو مبالغة في الاعراض عن سماع الآيات لأن من اشتد اعراضه يوصف بأنه أصم لا يسمع كما قال تعالى (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا)
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۴
(تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) و كما قال عز و جل في وصف الكفار (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) و كما يقال حبّك للشيء يعمى و يصمّ.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) و أى مدخل للموازين في أعمال العباد و في المجازات؟ و جوابنا أن المراد بذكر الموازين العدل في باب المجازاة و لذلك قال تعالى بعده (فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ) فهذا جواب بعض علماء التوحيد و قال بعضهم بل هناك موازين يوزن بها ما تظهر به حال المرء في أنه من أهل الثواب أو من أهل العقاب و من قال بذلك يقول توزن الصحف التي فيها ذكر الحسنات و السيئات فيتبين الرجحان و قال بعضهم يجعل تعالى في إحدى الكفتين علامة من نور فتكون علامة الثواب و في الاخرى ظلمة فتكون علامة العقاب و الفائدة في ذلك أن يعرف في دار الدنيا ما يخاف في الآخرة عند ذلك من الفضيحة لمن عصاه فيزداد بذلك غما و يصرفه ذلك عن المعاصي و ما يحصل من السرور لأهل الثواب في ذلك الموقف العظيم فيصير زائدا في المسألة و الطاعات و نبّه بقوله جل و عز (وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ) على ما ذكرنا من أنه يتولى عز و جل المحاسبة. و متى قيل كيف يتولاه فجوابنا أن يفعل كلاما في بعض الاجسام فيظهر به حال المكلف و اذا جاز و نحن في الدنيا أن يرزقنا و إن كان لا يرى و لا مكان له جاز أيضا في الآخرة أن يكلم المكلف و أن يتعالى عن الرؤية و المكان و بين تعالى بعده أنه آتى موسى و هارون الفرقان و ما هو ذكر للمتقين الذين يخشون و يشفقون ثمّ قال (وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ) يعني الفرقان أ فأنتم له منكرون و ذلك تبكيت لمن أنكره ثمّ بين تعالى قصة ابراهيم صلّى اللّه عليه و سلم ليبعث بذلك على الطاعة و ما تحمله من الشدة في مخاطبة أبيه و قومه و صرفهم عن عبادة الأصنام الى عبادة اللّه تعالى و نبه بقوله تعالى (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) على فساد التقليد.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۵

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) كيف يكون مجيبا لهم بهذا الكلام و بهذه الشهادة؟ و جوابنا أن قوله (قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) كاف في بيان جوابهم لان معرفة اللّه تعالى إنما تحصل بأفعاله فلما تم ذلك خصه بقوله تعالى (وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لا أنه جعل الحجة بشهادته بل أورده توكيد للدلالة.

[مسألة]

و ربما قالوا فی قوله تعالی (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هـذا) أ ليس ذلک يدل علی أن ابراهيم صلّی اللّه عليه و سلم كذب فی هذه الحال و أن الانبياء لا يجوز عليهم الكـذب و أنتم تمنعون من ذلک؟ و جوابنا أنه صلّی اللّه عليه و سلم أورد ذلک علی وجه التوبيخ لهم لينبههم علی أن الـذی تعبـده القوم لا يصح منه نفع و لا ضـر و لذلک قال بعده (فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) قال (ثُمَّ نُكِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ) ثمّ قال بعده (أ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ) و كل ذلک يدل علی ما قلناه.

[مسألة]

و ربما تعلق بعض المجبرة بقوله تعالی (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً) و أن ذلک يـدل علی أنه الخالق للطاعة؟ و جوابنا فی ذلک أن المراد جعلهم أنبياء بإظهار المعجزات و ذلک من قبله جل و عز و ان كانوا لا يتأهلون لـذلک إلا بعـد تقـدم عبادات و طاعات من جهتهم و لـذلک قال بعده (وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ) فأضاف الخيرات الی فعلهم و قال (وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ) فمدحهم باضافة العبادة اليهم.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ) كيف يصح ذلک مع قوله (وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً)؟ و جوابنا أن الذی

حكم به داود كان حقا فی وقته و فهم سليمان نسخ ذلک فلا يدل علی مناقضة فی الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ) كيف يصح التسبيح من الجبال و الطير و ما معنی قوله بعد ذلک (وَ كُنَّا فاعِلِينَ) و قد أفهم ذلک بقوله (وَ سَخَّرْنا)؟

و جوابنـا أن تسبيـح الجبـال هو ما يظهر من دلالتها علی أنه تعالی منزه عمّا لا يجوز عليه كما ذكرنا فی قوله جل و عز (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) الی غير ذلک فلما سـخر ذلک لـداود علی خلاف المعتاد فكان يتصـرف فيه كما يريـد جاز أن يقول (يُسَبِّحْنَ) بظهور أمر معجز فيهـا و فی الطير فهـذا معنی الكلام و أما معنی قوله (وَ كُنَّا فاعِلِينَ) فهو إخبار عن طريقه جل و عز فی فعل مثل ذلک فلـذلک أتبعه بمـا أظهره عليه و علی سـليمان صـلّی اللّه عليه و سـلم من العجـائب و بمـا أظهره علی أيوب و سائر الأنبياء صـلوات اللّه عليهـم و بيـن تعـالی بعـد مـا اقتصه من أخبـارهم و مـا أظهره من العجـائب فيهم عظم منزلتهم فقـال تعـالی (إِنَّهُمْ كـانُوا يُسـارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ) فبعث بـذلک علی التمسک بمثل هذه الطريقة و لذلک قال تعالی بعده (إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) فبعث بكـل ما تقـدم علی إخلاص العبادة له و نبه علی عظيم المجازاة فی العبادة بقوله (كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كاتِبُونَ) فبين أنه يجازی علی سائر ما فعل ثمّ بين من بعد أشـراط السـاعـة بقوله (وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) و بين كيف ينزل بهم أنواع الخيرات إذا عاينوا العذاب فأما قوله تعالی (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) فالمراد به الاصـنام و الاوثان و لا يدخل فی ذلک المسيح كما ظنه بعض من لا يعرف و ذلک محكی عن بعض المتقدمين بيّن ذلک أنه قال

تعـالی (وَ ما تَعْبُدُونَ) و لو كان المراد العقلاء لأورده بلفظ من و ظاهر ذلک أنه جل و عز يعيـد هـذه الاصـنام و يجعلها كالحطب فی

النار فیشاهدها من کان یعبدها فیکون حجة أعظم و بیّن بعده الفضل بین منزلة هؤلاء و بین منزلة الذین سبقت لهم منه الحسنی فقال تعالی (أُولئِکَ عَنْها مُبْعَدُونَ) و بیّن أنه لا یحزنهم الفزع الاکبر و أن الملائکة تبشرهم بمنزلة الثواب و بیّن بقوله تعالی (نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنا) أنه تعالی قد أوجب علی نفسه إعادة الخلق و ما یتصل بهم.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ) کیف یصح ذلک و هو لا یحکم الا بالحق و ما الفائدة فی أمره بهذا الدعاء؟
و جوابنا أن الدعاء بما لا یجوز خلافه قد یحسن و علی هذا الوجه ندعو اللّه للأنبیاء و الرسل و نقول اللهم صلی علی محمد و علی آل محمد کما صلیت علی ابراهیم و نقول اغفر للمؤمنین و المؤمنات و علی هذا الوجه قال ابراهیم (لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ) فکیف ننکر ذلک و کیف نظن أنه یجوز أن یحکم بالباطل تعالی اللّه عن قولهم علوا کبیرا.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۶۹

سورة الحج

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَیْءٌ عَظِیمٌ) کیف یتعلق وصف الساعة بالتقوی؟
و جوابنا أنه بیّن أنّ ذلک الأمر العظیم یزول عن المتقین فیأتون ما یخافه المجرم و ذلک ترغیب فی التقوی و تزهید فی خلافها.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ کُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها) کیف یصح ذلک و لیس هناک رضاع و لا حمل؟ و جوابنا أن ذلک کالمثل فی عظم أهوال الآخرة و أنه یبلغ فی العظم مبلغ ما یلهی المرء عن ولده فی باب الرّضاع و الحمل و ذلک لأن من أعظم الاشفاق إشفاق المرضعة علی ولدها و الحامل علی حملها هذا و قد یجوز أن یعید اللّه المرضعة علی الولد و الحامل علی صفتها و قد روی عنه صلّی اللّه علیه و سلم أن کل أحد یموت یبعث علی ما مات علیه فیکون ذلک کالحقیقة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ تَرَی النَّاسَ سُکاری وَ ما هُمْ بِسُکاری أ لیس ذلک متناقضا؟ و جوابنا أن المراد أنهم قد بلغوا فی التحیّر إلی حد السکران و إن لم یکن هناک سکر و یحتمل أنهم سکاری من الخوف و الحیرة و ما هم بسکاری من الخمر و مثل ذلک یدخل فی نهایة الفصاحة فکیف یعدّ مناقضا و قد یقبل المرء علی من لحقه الدهش و الحیرة فیقول مثل ذلک فلذلک قال بعده (وَ لکِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِیدٌ) فنبه علی انه وصفهم
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۰
بذلک لخوفهم من هذا العذاب و قوله تعالی بعد ذلک (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ) یدل علی أن معرفة اللّه تعالی مکتسبة و أن من لا علم له لا یحل ان یجادل بل الواجب أن ینظر و یتعلم و فیه دلالة علی بطلان التقلید و قوله (وَ یَتَّبِعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ) یدل علی أن هذا الاتباع فعله و لذلک ذمّه علیه و قوله (کُتِبَ عَلَیْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ یُضِلُّهُ وَ یَهْدِیهِ) المراد به یصرفه عن طریق الجنّة و لذلک قال (وَ یَهْدِیهِ إِلی عَذابِ السَّعِیرِ) و نبّه تعالی علی قدرته علی الاعادة بقوله (یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ

فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) فـدل بخلقه الانسان على هـذا الترتيب و بقـدرته عليه على جواز الاعادة و دلّ أيضا بقوله (وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ) على مثل ذلك ثمّ حقق ذلك بقوله تعالى (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ما قدمت من قدرته على الاعادة و معنى ذلك أن إلهيته و وحدانيته هى الحق فوصف بذلك نفسه و أراد ما ذكرنـا و ذلك مجاز لأن الحق هو عبارة عن صـحة الامور التي يعتقـدها المحق و لـذلك اتبعه بقوله (وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها) فبطل بذلك ما كان عليه فرقة من العرب من إنكار الاعادة كما وصفهم بقوله تعالى (قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ) ما المفهوم من ذلك و لا يعرف ذلك فى اللغة؟ و جوابنا أن المنافق يظهر العباد و يبطن خلافها فشبه تعالى ظاهر أمره بحرف لأن الحرف هو طرف الشيء و المرء يحتاج فى العبادة أن يظهر باطنا و ظاهرا فلمّا أظهر المنافق ذلك من أحـد الوجهين وصـفه تعالى بـذلك و لـذلك قال بعـده (فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۱

(الـدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ) و هـذا الجنس من التشبيه يبلغ من الفصاحـة ما لا تبلغه حقائق الكلام و لـذلك قال تعالى (يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ) فبين أنه يعبـد الاصـنام و بيّن أن ضـرر ذلـك أقرب من نفعه و كل ذلك يحقق أن العبادة من فعل العبـد و قوله تعالى (مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ) يدل على ان العبد هو الفاعل لأنه إذا خلق فيه كل أفعاله فأىّ فائدة فى النصرة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) ان ذلك يدل على أنه يهدى قوما دون قوم بخلاف قولكم ان الهدى عام.

و جوابنـا ان المراد يكلف من يريـد لأـن فى النـاس من لاـ يبلغه حـد التكليف أو يحتمل ان يريـد الهدايـة إلى الثواب لأنها خاصـة فى المطيعين دون العصـاة و رغّب تعـالى المؤمن فى تحمـل المشـاق و احتمـال ما يناله من المبطلين بقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) فبيّن حسن عاقبة المؤمن عند الفضل ليكون فى الدنيا و إن لحقه الذل صابرا و على هذا الوجه قال صلّى اللّه عليه و سلم الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الـدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) كيف يصـح السـجود من هـذه الامور أكثرها جمادات؟ و جوابنا ان المراد بهـذا السـجود الخضوع فالمراد بـذلك أنه تعـالى يصـرفها فى الامور و لا مانع و لأجل ذلك لما ذكر الـذى للمكلفين خص و لم يعم فقال تعالى (وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) لان فيهم من ينقاد فيطيع و فيهم خلافه و يحتمل أن يراد بالسـجود دلالتها على تنزيه اللّه تعالى فلما لم يصحّ فيها السجود أريد ذلك و لما صح ذلك فى الناس أريدت

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۲

الحقيقة فخصه و لذلك قال (وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) لما لم يفعل السجود و العبادة و قوله من بعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ) المراد به ما يشاء أن يفعله لا ما يشاء من غيره فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها) كيف يصح أن يريدوا ذلك مع اليأس من الخروج و هذه الارادة تكون قبيحة و لا يقع من أهل الآخرة القبيح عندكم.
و جوابنا أن فى العلماء من قال ذكر تعالى الارادة و أراد ما فى نفوسهم من الميل الى ذلك كما قال تعالى (جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) و قال بعضهم يحسن أن يزيدوا ذلك و ان لم ينالوه على وجه الاستغاثة كما يحسن منهم الصياح و الصراخ على هذا الوجه فلهم فى ذلك غرض يحسن منهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) ما فائدة ذلك فى وصف المؤمنين فى الجنة و معلوم انهم يعرفون الطيب من القول أن يهدوا إليه؟ و جوابنا أن المراد به ما يعرفون من تحية البعض للبعض و ذلك مخالف لما يقع فى الدنيا لاغراض تتصل بمنافع الدنيا و بالتكليف و يحصل فى هذا القول من السرور بالتعظيم ما لا يوجد مثله فى دار الدنيا و معنى قوله تعالى (وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ) ما ينالهم من السرور بشكر نعم اللّه تعالى و يحتمل أن يكون المراد بذلك ما يكون فى دار الدنيا و أنهم هدوا إلى الاخلاص و الى اتباع طريقة الحق.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ) كيف يصح ذلك فى الحرم و قد ثبت أنه مملوك؟ و جوابنا ان المراد نفس المسجد دون الدور و المنازل و فى ذلك خلاف شائع و عظم اللّه تعالى المعاصى فى المسجد الحرام بقوله (وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ)
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۳
و بقوله (وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقائِمِينَ) و بقوله (وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) و لذلك قال بعده (ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) و معنى قوله تعالى (وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً) مواضع النسك لا نفس النسك الذى هو فعلها فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك و نبّه بقوله تعالى (لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ) على ان الذى ينتفع به الاخلاص دون صورة العمل و نبه بقوله (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) على ان ذلك من قبل العبد لأنه لو كان من خلقه تعالى لما جاز أن لا يحبه و لا يريده.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ) كيف يصح هدم الصلوات؟ و جوابنا ان المراد أماكن الصلوات فى غير المساجد ثمّ أتبعه بذكر المساجد و مثل ذلك مفهوم كقوله (وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ) الى ما شاكل ذلك و لذلك قال بعده (يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) كيف يصحّ ذلك و فى جملة المؤمنين من يغلب؟ و جوابنا ان النصر على وجوه

فلا بد فيمن ينصر ربّه بالطاعة و الجهاد أن يكون اللّه تعالى ناصره ببعض الوجوه هذا و الغلبة على المؤمن لا تخرجه عن أنه المنصور لأنه المحمود العاقبة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) ما الفائدة فى ذلك و لا رسول إلّا و هو نبىّ عندكم؟ و جوابنا ان معنى وصف الرسول بأنه نبى إثبات ما يختص به من الرفعة العظيمة فلما كانت الفائدة فى ذلك تنزيه القرآن (١٨)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٢٧۴

مخالفة للفائدة فى وصفه بأنه رسول جاز أن يذكرهما فإن قيل فما المراد بقوله (إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) و كيف يصحّ ذلك على الانبياء؟ و جوابنا أن المراد إذا تلا القرآن يلحقه السهو فى قراءته و ذلك معروف فى اللغة فلذلك قال بعده (فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ) و لو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك فامّا ما يرويه الحشوية من أنه صلّى اللّه عليه و سلم ذكر فى قراءته أصنامهم و قال إن الغرانيق العلا شفاعتهن ترجى حتى فرح الكفار فلا أصل له و مثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة فبيّن تعالى بذلك أن السهو فى القراءة جائز على النبى صلّى اللّه عليه و سلم و أنه من يعد يبيّن الفضل من السهو و يبيّن الصحيح منه و لذلك قال بعده (وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ) و قال بعده (وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الْمُلْکُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) كيف يصح ذلك و الملك فى كل حال للّه عز و جل؟ و جوابنا أن المراد أنه فى دار الدنيا ملك كثيرا من الناس الامور و فى الآخرة لا حاكم سواه البتة و لذلك يحكم بينهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنْ جادَلُوکَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ) كيف يصح هذا الجواب و هو تعالى عالم بكل شىء؟ و جوابنا أن ذلك تحذير من مجادلتهم فحذّرهم بذلك بعد البيان و لذلك قال قبله (فَلا يُنازِعُنَّکَ فِي الْأَمْرِ وَ ادْعُ إِلى رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ) ثمّ قال (وَ إِنْ جادَلُوکَ) فاذا تقدم البيان جاز من الرسول صلّى اللّه عليه و سلم الاقتصار على هذا الجنس من التحذير و لذلك قال بعده (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) و بيّن تعالى أنه عالم بكل شىء فقال (أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) و بين أيضا أن ما علمه من الامور التى تحدث قد كتبه ليستدل بها

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٢٧۵

الملائكة فقال (إِنَّ ذلِکَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) و حذر بذلك عبّاد الاصنام فلذلك قال بعده (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً) ثمّ بيّن بعده ضعف المخلوقين بقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً) و اكد ذلك بقوله (وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) فبين أنه على حقارته يغلب المرء فلا يتمكن الانسان من استنقاذ ما سلبه و قد حكى عن أبى الهذيل رحمه اللّه تعالى أن بعض الملوك سأله و قال ما الفائدة فى خلق الذباب فأجاب بأن فى ذلك إذلال الجبابرة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ) أ ليس يدل ذلك على نقيض قوله تعالى (فاطِرِ السَّماواتِ وَ

الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِکَةِ رُسُلًا) فأيهما هو الصواب أ يكون بعضهم كذلك أو كلهم أجمع؟ و جوابنا أن بعضا منهم يكون رسلا إلى الانبياء دون الكل و لئن كان جميعهم من الرسل فلا تناقض فى ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) كيف يصح ذلك و لغة العرب صادرة عن إسماعيل؟ و جوابنا ان المراد المعنى دون نفس الاسم فكأنه وصفهم بتمسكهم بالملة و بأنهم من أهل الثواب و هو المفهوم من وصفنا لهم بأنهم مسلمون و مؤمنون.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۷

سورة المؤمنون

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) ثمّ قوله آخرا (وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ) فكرر ذلك و كيف يجوز مثله؟ و جوابنا أنه فى الاول وصفهم بالخشوع فى الصلاة و فى الثانى وصفهم بالمحافظة على أوقاتها و ليس ذلك بتكرار.

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله (أُولئِکَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) و معلوم أن معنى الميراث لا يصح فيهم؟ و جوابنا أنه شبة وصولهم الى الفردوس من دون سبب يأتونه بوصول المرء الى الاملاك بالميراث عند الموت و هذا من أحسن ما يجرى فى الكلام من التشبيه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) كيف يصح ان يتكرر خلق الشيء الواحد فكيف يصح فيما خلق من طين أن يوصف بأنه مخلوق من نطفة؟ و جوابنا أنه تعالى ذكر الانسان و أنه خلق من طين و هو آدم و النطفة لمّا كانت منه جاز أن يقول (ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً) يعنى الأولاد و أما قوله (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) فالمراد ما به صارت علقة و هذا كما يقول المرء عملت من الخشب بابا و المراد أنه عمل ما به صار بابا فالخلق فى الشيء الواحد لم يتكرر و إنما يحدث فيه شيئا بعد شيء.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۸

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ) أ ليس ذلك يقتضى أنه غير ما تقدم ذكره؟ و جوابنا أنه لما صار بالحياة التى خلقها اللّه تعالى فيه على صفة لم يكن عليها جاز أن يقول ذلك مجازا و قد يقول الرجل فى ولده و قد تأدب و تعلم و تغيرت أحواله أنه غير الذى رأيتموه و ذلك ممّا يكثر فى الكلام.

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله (فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) كيف يصح ذلك و لا خالق سواه؟ و جوابنا أن ذلك من حيث اللغة فوصف كل من تدبر فعله و أتى به على وجه الصواب أنه خالق و ذلك مشهور فى اللغة فعلى هذا الوجه يصح ما ذكره تعالى و انما منع أن يجرى هذا الوصف الا على اللّه تعالى مطلقا من حيث كل أفعاله لا تكون إلا مقدّرة على وجه الصواب كما لا يقال مطلقا فى أحد سواه أنه ربّ و إن كان قد يقال فى زيد أنه ربّ داره و عبده فمن حيث التعارف لا يوصف بذلك سواه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) كيف يصح ذلك و الماء إنما ينزل من السحاب؟ و جوابنا أن الصحيح أنه ينزل من السماء و يحمله السحاب ثمّ ينزل الى الارض و إنما يذكر ذلك بعض الأوائل لقولهم أن الماء يصعد من الارض كالبخار و يحمله السحاب ثمّ يصفو و ينزل و ليس الامر كما قالوه و كتاب اللّه أصدق من قولهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) كيف يصح ذلك فى اللغة و هى لا تنبت بالدهن و لا الدهن ينبت؟ و جوابنا أن المراد ينبت ما هو أصل الدهن و هو الزيتون الذى منه يخرج الدهن و تنبت أى تخرج و قد يقال فى الشجرة إنها تخرج كيت و كيت و يقال أيضا انها تخرج بكيت و كيت و قد قال أن الباء كالبدل من اللام

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۷۹

لان ذلك من حروف الجر فكأنه قال تنبت الدهن فالكلام صحيح على كل حال.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا) كيف يصح و قد كان بين الرسل فترات و كيف يصح قوله تعالى (فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً) و ذلك تكرار؟ و جوابنا أنه تعالى وصف بعض الرسل بذلك و لذلك قال بعده (ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى و تقدم من قبل ذكر الرسل فلا يمتنع من ذلك البعض أنه أرسلهم على اتصال و لا يمتنع اذا تقارب بعثة بعضهم بعد بعض أن يقال ذلك فأما قوله فأتبعنا بعضهم بعضا فانه يعنى فى الهلاك و لذلك قال بعده (وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ) فالمراد بذلك الامم التى كان اللّه تعالى تعجل إهلاكها و قوله من بعد (فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) دلالة على أن الذين ينجون من العذاب هم المؤمنون و معنى قوله من بعد (وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً) أى دلالة و معجزة فإنه تعالى نقض العادات فيها و فى ابنها و قوله تعالى من بعد (يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً) يدل على أنه أباح الطيبات و أنه لا يدخل فى جملة الورع اجتنابها أكل ذلك و قوله من بعد (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ) المراد به التخلية كأنه تعالى يعزى الانبياء فقد كانوا يتشددون فى الدعاء إلى اللّه تعالى و يغتمون بترك القبول و قال تعالى (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ) أى فى حيرتهم التى أوتوا فيها من قبل أنفسهم حتى حين و ذلك كالتهديد لانّ قوله تعالى (حَتَّى حِينٍ) تنبيه على عذاب الآخرة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ) كيف يتعلق فساد السموات و الارض باتباعهم أهواءهم؟ و جوابنا أن المراد من كذب بالرسل و باللّه تعالى و اثبت آلهة سواه و لو صح مع اللّه تعالى آلهة إلا اللّه لفسد التدبير و هذا

هو المراد بالآية كما نقوله فى دلالة التمانع فى قوله (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۰

و لذلك قال بعده (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ) ثمّ قال منزها لنفسه (سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ) فحكى جل و عز عنه ذلك ثمّ قال (كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها) ما الفائدة فى ذلك و هو معلوم من قبل؟

و جوابنا أن المراد هذه طريقة فى هذه الكلمة أنه يكررها و يتمنى عوده من حيث لا يتلافى و يقتصر على التمنى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ) كيف يصح نفى الانساب و هى ثابتة فى الآخرة كما قال تعالى (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ) و قد يدعى الرجل فى الآخرة بالآباء؟ و جوابنا أن المراد انقطاع النفع بعد نفخ الصور بالانساب و قد كان ينتفع بها فى الدنيا و إلا فالنسب الذى قد ثبت و تقضى لا يزول و لذلك قال تعالى (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ) و انما سينتفع بذلك أهل الصلاح فلذلك قال تعالى فى سورة الرعد (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ) فوصفهم ثمّ قال فى آخره (أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فعند ذلك يعظم السرور بالاجتماع و بعد ذلك قال تعالى حاكيا عمن خفت موازينه (قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ) و بيّن تعالى عظم ما أقدموا عليه بقوله (إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۱

(فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) فدل بذلك على عظم هذا الجرم ثمّ بين ما لهم من المنزلة بقوله (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل كيف يجوز أن يقولوا (لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) و ذلك كذب منهم لأنه جواب لقوله (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ)؟ و جوابنا أنهم لم يريدوا بذلك أحوال حياتهم بل أرادوا حال الوفاة و لم يريدوا بقولهم (لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) التحقيق لأنهم لو أرادوا الخبر لكان هذا القول متناقضا و كأنهم أرادوا أنهم و ان كثر لبثهم فهو قليل فى حكم يوم أو بعض يوم فى أنهم لم ينتفعوا بالتلافى و الاستدراك و لذلك قال بعده (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) و قال بعده (وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) فنبه على تقصيرهم حيث أمكنهم التلافى و أنهم فيما بعد فاتهم ذلك و قوله تعالى من بعد (وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ) دلالة على أن كل قول لا حجة فيه فهو محرم و لذلك قال تعالى (فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۳

سورة النور

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (سُورَةٌ أَنْزَلْناها) كيف يصح انزال السورة و ذلك يستحيل فيها؟ و جوابنا عن ذلك و عن سائر ما في القرآن نحو قوله (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) و قوله (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) الى غير ذلك هو أن المراد به إنزال السورة بانزال من يحملها و على هذا الوجه نصف القرآن بأن اللّه أنزله و هذا كما يقال أنزلنا الماء و يراد بذلك الظرف و نزحنا الماء من البئر الى غير ذلك و كما يقال إن فلانا أظهر علمه و المراد أودعه الكتب فمن هذا الوجه يستدل بهذه الآيات على حدوث القرآن لأن ما هو قديم لا يجوز فيه انزاله بنفسه و لا بغيره و في قوله تعالى (وَ أَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ) و الآيات هي الادلة دلالة أيضا على حدوثه و في قوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) دلالة على أن اللّه تعالى أراد من جميعهم التذكر.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) كيف يصح هذا الخبر و نحن نعلم أن الزاني قد يطأ و قد يعقد على غير الزانية؟ و جوابنا أنه و ان كان في صورة الخبر فالمراد به الأمر.

و اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال هو منسوخ و منهم من قال بل هو ثابت و أن المراد أن الزاني لا يحل له التزويج بالعفيفة حتى أنهم يقولون اذا حدث الزنا منه بطل النكاح و مع ذلك فان ظاهره انما يقتضي أنه في حال زناه لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۴

ينكح إلّا زانية لان الزاني هو الواطئ بغير شبهة و بغير نكاح و ملك و من هذا سبيله فهو غير ناكح إلا الزانية و من يقدر فيها هذا التقدير.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) كيف يصح في افكهم أن يكون خيرا مع قبحه و عظم الاثم فيه؟ و جوابنا أن المراد به خير لهم من حيث نالهم به من الغم ما صبروا عليه و ان كان كذبا قبيحا فالمراد هو ما قد ذكرناه و لذلك قال تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) فذمهم و بين أن الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم و معلوم أن هذا الصنيع منهم كان كالسبب في تعظيم الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و المتصلين بعائشة فصار الصبر عليه عظيم الثواب و لذلك يقال الآن فيمن زنى بأهل له أنه اذا صبر فله ثواب و اذا ظلم المرء فلم يخرج الى المقاتلة على ذلك بل صبر فله ثواب و هذه القصة انما ضمت الى هذه السورة لتعلقها بالقذف و الرمي اللذين بين اللّه تعالى حكمهما في الاجنبي و في الزوجيات و هي تشتمل على أحكام و أدب يمكن أن يقال ان جميع ذلك من الخيرات فبين تعالى أن من يتولى كبر الشيء أعظم إنما ممّن هو كالتابع و بيّن أن الواجب على من يسمع مثل ذلك أن لا يظن صحته بمن عرف عفته و يؤيده قوله (لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً) و فيه أن الواجب في مثله الاعتماد على الشهادة فاذا انتفت وجب الكف و هو معنى قوله (لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ) لان المراد هلّا فعلوا ذلك (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ).

[مسألة]

و متى قيل أ ليس من لم يأت بالشهود قد يكون صادقا فكيف يصح ما ذكره تعالى؟ و جوابنا أنه وصف قولهم في هذه القصة خاصّة بأنه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۵

كذب و ما يذكر فى كتب الفقهاء من أن الملاعن يكذب نفسه و ان ذلك منه كالتوبة يجب أن يكون كالمجاز لان الزوج إذا رمى امرأته فقد يكون صادقا و يكذب نفسه فان كذب نفسه على الحقيقة فذلك ذنب ثان لأن تكذيب الصادق كذب و بين أنه لو لا فضل اللّه عليهم لمسهم فى ذلك عذاب عظيم و ما يمسهم فيه العذاب لا يكون خيرا و نبّه بقوله تعالى (وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) على أن الخبر بلا علم يقبح و بين أن الذنب قد يعظم عند اللّه و إن حسبه المذنب هيّنا و بين أن الخبر فى مثل ذلك يسمى بهتانا فدل بذلك على عظمة لان فى تلك الاخبار ما لا يسمى بذلك و ان كان كذبا و بين يقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ) أن محبة القلب بانفراده قد تكون ذنبا عظيما فيبطل بذلك ما يظنه كثير من الناس من أنه لا يؤاخذ المرء بما يقع فى قلبه إذا لم يعمل و لو لا خوف التطويل لذكرنا سائر ما فى هذه القصة من الفوائد فأما ما قاله آخرا من قوله سبحانه و تعالى (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ) فالمراد به اظهار الفضل و المدح و ذلك يصح من اللّه تعالى و ليس المراد نفس الطاعة فليس للمخالفين التعلق بذلك و قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ) يدل على أن ذلك من الكبائر العظام و يدل على أنه ملعون فى الآخرة إذا لم يتب و الملعون فى الآخرة لا يصح ان يكون من أهل الجنة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) كيف تصح الشهادة من اللسان؟ و جوابنا بأن ينطقه اللّه و كذلك الكلام فى أيديهم و فى أرجلهم و فى ذلك زجر عظيم لأن المقدم على الذنب إذا تصوّر أنه يجزى عليه فى الآخرة بهذه الشهادة كان ذلك من أعظم زواجره. فان قيل فاللسان و اليد و الرجل هى المتكلمة بهذه الشهادة. قيل له هذا هو الظاهر و اللّه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۶

عز و جل قادر على أن يحييها مفردة لتتكلم بهذه الشهادة كما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم فى الذراع أنها كلّمته و قالت لا تأكلنى يا رسول اللّه فإنى مسمومة و فى العلماء من يقول هذه الشهادة من فعل اللّه تعالى فإن وجدت فى الاعصاب فيكون اللّه تعالى المتكلم و أضيفت الشهادة إليها على وجه من المجاز.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أ ليس يدل ذلك على أنه جسم و على أنه أحسن الاجسام كما قاله بعضهم؟ و جوابنا أن المراد أنه منوّر السموات و الارض بين ذلك أنه قال تعالى (مَثَلُ نُورِهِ) فأضاف النور إليه و قال آخرا (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ) و يحتمل أن يكون المراد نفس النور و يحتمل أن تكون الادلة و فى الوجهين من يفعل ذلك يوصف أنه منور و إنما وصف نفسه بذلك مبالغة من حيث أن كل الانوار من قبله كما يوصف بأنه رجاء و غياث الى ما شاكل ذلك و لذلك قال تعالى بعد (وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ).

[مسألة]

و متى قيل كيف يصح قوله عز و جل (زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ) و لا ثالث لهذين؟ و جوابنا أن المراد أن مكانها ليس مما تطلع عليه الشمس فقط و لا تغرب أى تظهر عليه الشمس عند الغروب فقط بل مكانها المكان الذى لا تنقطع منه الشمس و ذلك بيّن فى وجه المنفعة للاشجار.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها) بعد أن وصف الظلمات العظیمة کیف یصح ذلک؟ و جوابنا أن بعضهم قال لا- یراها أصلا و قال بعضهم بل الظلمات و ان عظمت مما تقرب المرء من تحریک أعضائه و قد یجوز ان یراها فلیس فی ذلک مناقضة.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۷

(فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی رِجْلَیْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ) کیف یصح الاقتصار علی هذه القیمة و فی الحیوان ما یمشی علی أکثر من أربع؟ و جوابنا أن تبیان هذه الاوصاف لا- یمنع فوق رابع لو صح ما قاله فکیف و ما یظهر له من الارجل أکثر من أربع انما یمشی من جملتها علی أربع فالکلام تام.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۸۹

سورة الفرقان

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِیراً) أو ما یدل ذلک علی أنه الخالق لأفعال العباد؟ و جوابنا أن المراد به الاجسام التی ننتفع بها لأنه تعالی ذکر ذلک عقیب قوله (لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی الْمُلْکِ) و قد بینا من قبل أن اللّه لا یجوز أن یمتدح بفعل القبائح فالمراد ما ذکرنا و قوله تعالی (الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ) یدل علی أن مراده بهذه الآیات ما یکون حسنا و حکمة فاللّه تعالی استفتح هذه السورة بما یدل علی قولنا و هو قوله تعالی (الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً) فبین أنه أنزله لینذر و یخوف کل واحد من العالمین، و التخویف انما یراد منه الانصراف عن الکفر و المعاصی فکیف یصح أن یبعثه لیصرفهم عما هو الخالق له فیهم و لا- یمکنهم و هو الخالق فیهم الانصراف عن ذلک و لو اجتهدوا کل الاجتهاد و قوله تعالی من بعد (انْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلًا) أراد تعالی أنهم لا یستطیعون السبیل الی القدح فی نبوّته فلا یصح للمخالفین أن یسألوا عن ذلک فی أن القدرة مع الفعل.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ) تنزیه القرآن (۱۹)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۰

(سَمِعُوا لَها تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً) کیف یصح ذلک فی النار حتی توصف بأنها تراهم و هی جماد و حتی توصف بأن لها تغیظا و زفیرا و ذلک لا یصح إلا فی الحی الذی یغتاظ مما یری؟ و جوابنا أن المراد بذلک التمثیل دون التحقیق فمن یقرب من الشیء یقال یراه و قد یشبه صوت النار عند التلهف بالزفیر الذی یظهر من المغتاظ و یحتمل أنه تعالی ذکر إذا رأتهم و أراد خزنة جهنم فإنهم یغتاظون فیکون لهم من الزفیر بعد علمهم بما یقتضی ظهور ذلک.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ) كيف يصح ذلك و لا خير فى النار أصلا؟ و جوابنا ان المراد أيهما أولى بأن يكون خيرا و قد يقول الحكيم لغيره من العصاة ان التمسك بالطاعة خير لك من المعصية و المراد ما قد ذكرنا.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (وَ لكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ) و ذلك خلاف قولكم. و جوابنا أن المراد أنه متعهم فاختاروا عند ذلك نسيان الذكر و المراد بهذا النسيان ترك الواجب لأن النسيان فى الحقيقة من فعل اللّه تعالى فلا يجوز أن يذمهم عليه و لذلك قال تعالى بعده (وَ كانُوا قَوْماً بُوراً) و قوله تعالى (وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً) أحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يرى و الا لم يصح أن يستعظم هذا القول منهم كما لا يجوز أن ينزل الملائكة بدلا من البشر لكن انزال الملائكة مقدور و الحكمة تمنع منه و الرؤية ليست مما يصح أصلا و فى قوله عز و جل (يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي) دلالة على أن المضل عن الدين ليس هو اللّه تعالى كما يقوله المجبرة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۱

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) كيف يصح أن يكون تعالى جعلهم أعداء للانبياء؟ و جوابنا أنه تعالى إذا عظم الانبياء و اصطفاهم و خصّهم بالمعجزات و كان ذلك من قبله و لأجل ذلك عادوا الانبياء جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه من هذا الوجه بأنه يفعل فيهم العداوة مع زجره و نهيه عن ذلك و مع ايجابه عليهم أن يتركوها إلى الولاية و إلى التصديق و الانقياد و حكى تعالى عن الكفار أنهم قالوا (لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً) كالذى فعله تعالى فى كتب الأنبياء و جعلوا ذلك كالطعن فقال جل و عز (كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا) فبيّن أن إنزاله على تصرف الاوقات و تجديد ذلك على قلبه ما يوجب الثبات و الصبر و ذلك معلوم من حال ما يرد على السمع فى الاوقات المتباينة و بعد فإنه صلّى اللّه عليه و سلم لم يكن يكتب و يقرأ فلو أنزل عليه جملة واحدة لكان مخالفا للحكمة و بعد فإن إنزاله فى وقته أحسن موقعا من إنزاله قبله فعند الحوادث إنزال اللّه تعالى ما يتصل بها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ) كيف يصح حشرهم على وجوههم؟ و جوابنا أنه تعالى قادر على ذلك و يكون أدخل فى الذل و الاهانة و يحتمل أن يكون المراد أنهم يساقون وجها واحدا إلى جهنم من دون ميل و توقف كما يقول القائل جئتك اليوم وجها واحدا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) كيف يصح وصفه بأنه مدّ و لا يتأتّى فيه ذلك؟ و جوابنا أن المراد به أنه مد ذلك أى ادامه كما قال تعالى فى صفة الجنة (وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ) لما لم يكن هناك شمس و معنى قوله تعالى (وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً)

أى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۲

دائما لا ينقطع لكنه جعل الشمس عليه دليلا و ذلك أحد ما تظهر به نعمه لأنه بالشمس و طلوعها يعرفون كيفية الظل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً) كيف يصح و إنما خلق آدم من طين؟ و جوابنا أن ذلك الطين إذا كان بالماء حصل على تلك الصفة فجاز أن يقول ذلك و يحتمل أن يريد سائر أولاده لأنه من النطفة خلقهم فسمّاها ماء ثمّ ذكر تعالى ما يبعث المرء على التمسك به من الآداب و الاحكام فى صفة عباد الرحمن فقال تعالى (وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) فذكر من صفاتهم ثلاثة عشر خصلة إذا تأملها المرء و تمسك بها عظمت منزلته فى الدين و لو لا خوف التطويل لشرحناها ثمّ قال تعالى آخرا (أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً) فان قيل فقد ذكر تعالى فى جملته (فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ) كيف يصح ذلك و محال فى السيئة الماضية أن تصير حسنة؟ و جوابنا أن المراد بالسيّئات عقابها و بالحسنات الثواب فقال تعالى فيهم أنهم إذا تابوا صار لهم بدلا من العقاب الثواب و فى قوله تعالى (إِلَّا مَنْ تابَ) بعد ذلك الكفر و القتل و الزنا دلالة على أن التوبة مقبولة فى كل ذنب لا كما يظنّه قوم فى انها لا تقبل فى القتل.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ) و هل المراد بذلك المؤمن أو الكافر؟ و جوابنا أنه تعالى قال ذلك عقيب وصف المؤمن فالمراد به لو لا دعاؤهم الذى هو التوحيد و العدل لم يعبأ تعالى بهم حتى يرقيهم فى منزلة الثواب على ما وصف و يكون قوله تعالى (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) يرجع الى من خالف حاله حال

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۳

هؤلاء المؤمنين و يحتمل أن يكون المراد الكفار فإنه عز و جل لا يدخلهم فى إنزال العقاب بهم لو لا دعاؤهم و عبادتهم لغير اللّه و معنى قوله (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) أى باللّه و رسوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۵

سورة الشعراء

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ) كيف يصح هذا الجمع فى الأعناق و إنما الصحيح أن يقال خاضعة؟
و جوابنا أن قوله أعناقهم يشتمل على ذكرهم و ذكر أعناقهم فقوله (خاضِعِينَ) يرجع اليهم و قد كان صلّى اللّه عليه و سلم يغتم بأن لا يؤمنوا فبيّن تعالى أن ذلك موقوف على اختيارهم و أنه تعالى لو شاء لأنزل آية كانوا يخضعون لها فيؤمنون لا محالة قهرا لكن لا ينفع إذ المراد أن يؤمنوا على وجه يستحقون الثواب معه. و قد قيل إن المراد بالأعناق جملتهم كما يقال جاءنا عنق من الناس و الأول أبين و بين بعده أنه و إن لم ينزل هذه الآية القاهرة فقد أنزل القرآن فقال تعالى (وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ) فبيّن أنه معقول كما نقوله و أنهم مع قيام الحجة به يعرضون عنه فلا عليك يا محمد أن تغتم بكفرهم (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ) و بيّن بقوله (أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أى عزيز ان ذلك من الادلة العظام التى لو نظروا فيها لعلموا أنّ ما هم عليه

باطل.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) و قد ناداه ربه (أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) كيف يصح من ذلك أن يعتل بهذه العلة؟ و جوابنا أنه لم يرد الخوف على نفسه فإن الانبياء لا يجوز أن يبعثهم اللّه تعالى إلّا و قد وطّنوا أنفسهم على احتمال المكاره و إنما أراد أنه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۶

يخاف منهم أن لا- يقبلوا و سأل ربه المعونة التي تكون أقرب الى قبولهم فأعانه اللّه عز و جل بأخيه هارون و قال (فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) و الاستماع و إن لم يجز على اللّه تعالى لأنه كالاصغاء فالمراد نفس السماع و اللّه تعالى يوصف بذلك.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ) كيف يصح أن يعتدّ لفرعون بمثل ذلك؟ و جوابنا أن ذلك بمنزلة إنكار كونه نعمة لا بمنزلة الاقرار لأن الذي فعله ببنى إسرائيل يجرى مجرى الظلم العظيم و يحتمل ان يكون المراد عبدت بنى إسرائيل و خيبتنى مع الذى كان منك من تربيتى و غير ذلك فيكون في الكلام حذف فعند ذلك قال له (وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ) فأجابه رب السموات و الارض و ما بينهما لأنه تعالى إنما يعرف بأفعاله التي تختص به و لا تجوز عليه المشاهدة فكان الذى أجابه به هو الجواب الحقيقى و لم يزل يكرر مثل ذلك حتى قال إنه لمجنون ثمّ قال (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهَاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) و ليس ذلك بطعن في أدلته و اللّه تعالى مسخره لما علم من عاقبة أمر موسى صلّى اللّه عليه و سلم عند ظهور الآيات و ما ينزل بهم آخرا من الهلاك و على هذا ما فصله تعالى في القصة.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ) كيف يصح ان يقول فانهم و إنما يقال في الأصنام فانها و كيف يصح ان يصفها بأنها عدو و هى جماد و كيف يصح أن يقول إلا رب العالمين فيستثنى من الاصنام رب العالمين؟ و جوابنا أن إبراهيم صلّى اللّه عليه أجرى كلامه على طريقة اعتقادهم و كانوا يعتقدون في الاصنام أنها تنفع و تضر كالناس بل أزيد فلهذا جمعها هذا الجمع و وصفها بهذا الوصف و إلا فهو عالم بأن الأمر بخلاف ذلك

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۷

فنبأهم على أن كل ذلك يضرهم و انما ينتفعون بعبادة اللّه الذى خلق و يهدى و يطعم و يسقى الى سائر ما ذكره من نعمه. فان قيل كيف قال في جملة كلامه (وَ اغْفِرْ لِأَبِي) مع اصراره على الشرك؟ فجوابنا أنه دعا له على شرط التوبة و الإنابة على ما تقدم قبل ذلك بيانه فإن قيل فكيف قال (وَ لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) و ذلك ممتنع في الانبياء. فجوابنا أن الداعى قد يدعو بما يعلم أنه لا يقع على وجه الانقطاع إلى اللّه و التمسك بالخضوع و بيّن أنه في الآخرة لا ينفع مال و لا بنون و إنما تنفع الاعمال الصالحة الخالصة مما يفسدها و هو معنى قوله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) و بيّن ما يقال لعابد الصنم في الآخرة بقوله (وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ) و ما يقولون بقوله (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ) و بيّن بقوله تعالى (وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) بطلان قول من يقول إن اللّه يضلهم فالقرآن يكذب قولهم ثمّ ذكر تعالى بعد قصة موسى و هارون و قصة ابراهيم و قصة نوح و هود و صالح و لوط و شعيب ما نزل بهم من الامور و أنزل اللّه تعالى بأممهم من العذاب و كل

ذلک ليتأمل القارئ فی کتاب اللّه تعالی فيعرف بذلک قدرته و حکمته و يکون ذلک داعية طاعته و الانصراف عن معصيته. فان قال ففی جملة کلام موسی صلّی اللّه عليه و سلم (فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) کيف يصح أن يصف نفسه مع نبوّته بهذا؟ و جوابنا أن المراد بالضالين الذّاهلون عن التمسک بالطاعة فيما أقدموا عليه لأن ذلک و إن لم يکن من الکبائر فهو من الصغائر. فان قيل ففی جملته (فَأَلْقی عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ) و قال فی موضع آخر (کَأَنَّها جَانٌّ) و ذلک کالمتناقض. و جوابنا أن المراد أنها کالثعبان فی العظم و کالجان فی سرعة حرکتها من حيث خلقت من نار السموم. فان قال ففی القصة أن رسولکم الذی أرسل اليکم لمجنون فأقر بأنه رسول کيف يصح ذلک؟

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۸

و جوابنا انه أراد أنه کذلک فی زعمه. فان قيل (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ) کيف عرف فرعون ذلک؟ و جوابنا انه أراد بالقائه العداوة بينکم أنه ينحاز بعضکم الی بعض. فان قال فکيف قال (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ) و هم فی تلک الحال مؤمنون؟ و جوابنا الذين کانوا سحرة.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) أ ليس ذلک يدل علی أنه نفسه فی زبر الانبياء و المعلوم خلاف ذلک؟ و جوابنا أن ذکره و وصفه فی زبر الاوّلين بين ذلک أنه عربی و سائر کتب الانبياء بخلافه و معنی قوله من بعد (کَذلِکَ سَلَکْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) يعنی القرآن أی جعلناه بحيث يعلم و يقرأ فلم يقع منهم الانتفاع بذلک.

[مسألة]

و متی قيل ما معنی قوله (وَ ما أَهْلَکْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ) کيف يصح أن يصير ذلک سبب هلاکهم و هو بأن يکون سببا لنجاتهم أقرب؟ و جوابنا أن المراد ما أهلکنا أهل قرية إلا بعد ازاحة العلة بالمنذرين الذين هم الانبياء و بعد کفرهم بهم و نصبهم العداوة لهم فلذلک قال بعده (ذِکْری وَ ما کُنَّا ظالِمِينَ) و فی قوله من بعد (وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ) دلالة علی اعجاز القرآن لانه لو جاز أن يقدر العباد عليه لجاز مثل ذلک فی الشياطين الذين لمخالطتهم بنا يعرفون هذه اللغات و أدّبه اللّه تعالی بقوله (وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بعد قوله تعالی (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ) و قبل قوله تعالی (فَإِنْ عَصَوْکَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) فلم يأمره من هذا القول فی الکفار و أمره فی المؤمنين بما ذکره و من تأمل ذلک و تمسک بمثله فی العدو و الوليّ فله الحظ الکثير فی استعمال الاخلاق الحسنة ثمّ قال تعالی (وَ تَوَکَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۲۹۹

يَراکَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ) فان المرء اذا تصوّر فيما يأتيه أنه جل و عز يراه و يعلم کان أقرب الی أن لا يفعل الا ما يحسن منه و التوکل علی اللّه هو أن يلتمس الخير و يبتعد عن الشر فيما عهد اللّه تعالی اليه و لا يفارق هذه الطريقة الی ما يکرهه و ليس التوکل ما يدعيه قوم من أعمال الخير و ترک التکسب و الاشتغال بطلب ما يحتاج اليه من الناس فان ذلک محرم فی اکثر الآيات.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۱

سورة النمل

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ) كيف يصح انه تعالى يكون مزينا لأعمال الكفار؟ و جوابنا ان المراد زيّنا لهم ما ينبغى أن يعملوه و ما يجب عليهم السعى فيه و قد يقال لم يوجد مع ذلك أن عملهم على هذا الوجه و لذلك قال بعده (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) و ذكر تعالى ذلك بعد قوله فى القرآن (هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ) ثمّ قال عقيب ذلك إن من لم يؤمن قد زينا له ما يجب أن يأتيه لكنه يعمى عن ذلك و قد قيل زينا بمعنى موافقتها الشهوة و الهوى للعلم بأنه تعالى يفعل الشهوة لكنه يصرف عنها و الوجه الاول أولى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها) ما معنى هذه البركة و ما المراد بمن حولها و هل يتصل ذلك بموسى صلّى اللّه عليه و سلم؟ و جوابنا أن البركة هى بمعنى الثبات و البقاء فبين تعالى ثبات تلك النار لموسى و من حولها لأن موسى كان قد جاءها و صار هو و أصحابه حولها كما يتفق فى العادة حال الناس مع النار و قيل أراد تعالى بقوله بورك من فى النار موسى عليه الصلاة و السلام و أراد بمن حولها الملائكة عليهم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۲

السلام لأنهم حضروها و يحتمل فى هذه البركة أنها لمكان البقعة التى أصابتها النار و لذلك قال تعالى فى سورة القصص (نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ) و قد قيل فى من حولها أنهم لم يكونوا مؤمنين فأثبت اللّه تعالى البركة فى النار لما جاءها موسى لما له من الفائدة فى حضورها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) كيف يصح هذا الاستثناء من المرسلين و لا يجوز أن يكون فيهم ظالم خائف؟ و جوابنا انه قد قيل الا من ظلم بالاقدام على صغيرة ثمّ تلافاه بالتوبة فانه غفور رحيم و قد قيل ان المراد لكن من ظلم فانه يخاف الا ان يتوب فيكون كلاما مستأنفا فى غير الرسل لئلا يتوهم ان الخوف لا يزول الا عن الرسل و قوله تعالى من بعد (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ) لا تناقض فيه لانّ الحجة بعد البيان و اليقين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها) كيف يصح من سليمان ان يسمع قول النمل و كيف صح من النمل هذا القول؟ و جوابنا أنها لما قربت من موضع مسيره صلّى اللّه عليه و سلم و أنطقها اللّه تعالى بذلك صح ان يعلم و مثل ذلك و ان كان معجزا فانه يصح فى ايام الانبياء صلوات اللّه عليهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) كيف يصح هذا القول من سليمان صلّى اللّه عليه و سلم فى طير ليس

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۳

بمكلف حتى يعذبه و كيف يذكر ذلك فى جملة الزجر و كيف يزيد ذلك بأن يأتيه بسلطان مبين و كيف يعرف الهدهد ذلك من

مراده حتى يأتيه بخبر سبأ؟

و جوابنا ان اللّه تعالى كان سخّر له الطير و فى جملتها ما يكون أقرب الى الفهم و لو كان ممنوعا من النطق و يجوز فى تلك الايام ان يكون تعالى قد زاد فى علمها بالهام و أن يكون سليمان قد تقدم من قبل بأمور عرفها الطير او الهدهد خاصة فلذلك قال (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) فأما قوله تعالى عز و جل (لَأُعَذِّبَنَّهُ) فالمراد به التأديب فكما يؤدب المرء من قارب البلوغ فكذلك قال للهدهد فأما الذبح فقد يجوز أن يكون جائزا فى شريعته كما ثبت فى شريعتنا مثله فيما يؤكل فلا مطعن على ذلك بما ذكروه و قوله من بعد فى صفة المرأة و أنها تملكهم و انهم يسجدون للشمس من دون اللّه فقد يصحّ وقوع مثله ممن لم يبلغ حد التكليف فلا يصح أن يعترض به على ما ذكرنا و قوله تعالى من بعد (قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ) يصح فى الهدهد و إن كان لا يعرف التوحيد اذا أجرى الكلام على الحد الذى ذكرنا فان مثله يصح من المراهق لانه يعرف الفصل بين من يظهر التوحيد و يعبد ربه بأفعال و بين من يسجد لغير اللّه تعالى و ان لم يكن مكلفا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد فى هذا القدر من الاوقات و ان ذلك معلومة استحالته؟ و جوابنا أن سرعة الحركة و التحريك لا يعلم منتهى حده فلا سريع الا- و يجوز أسرع منه فلا- يمتنع صحة ذلك اذا كان اللّه تعالى مقويا له عليه و معنى قبل ان يرتد اليك طرفك المبالغة فى الاسراع لان ذلك قد يقال فى الامر السريع الشديد السرعة و يحتمل أن طرفه لا يرتد الا بعد اوقات و يكون ذلك كالمعلوم من حاله لأن من نظر الى جهة ربما أطال النظر اليها ثمّ يرتد طرفه و معنى قوله من بعد فى قصة لوط صلّى اللّه عليه و سلم (أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۴

وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) الفائدة فيه إعظام ما فعلوه لأنه اذا كان جهرة فهو أعظم من أن يكون خفية و ربّ شىء يحسن خلوة و يقبح كونه بحيث يشاهد و ما ذكره تعالى من بعد من قوله (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ) فيه تنبيه على عظم نعمة اللّه جل و عز لتدبر فيقام بحق شكره فذكر ما يقارب عشرين خصلة من النعم التى لا يقدر عليها غيره منبها على توحيده ثمّ قال فى آخره (قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) موبخا لهم على جحد ذلك ثمّ على قول الكفار (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا) فانه يقبح منهم هذا القول مع تقدم تلك الدلائل و مع قوله بعد ذلك (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) و قوله (وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ) يدل على أن الحوادث كلها مكتوبة فى اللوح المحفوظ ليستدل بذلك الملائكة على قدرة اللّه و علمه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) كيف يصح أن يحسبها من يشاهدها جامدة ساكنة مع شدة الحركة و سرعتها؟ و جوابنا أن الجمود فى العادة الاتصال و لا يكون إلّا مع السكون و عند سرعة الحركة لا يحتمل التفرق فقال تعالى (وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) و هى على حالها التى يظن أنها لا تكون الا مع السكون و قد قيل أنها تبلغ فى سرعة الحركة ما لا يكاد يظن أنها متحركة خصوصا اذا كان المرء يتحرك مع حركتها فيكون كراكب السفينة فانه يظن مع سائر الركاب أنهم ساكنون و إن كانوا يتحركون أسرع حركة و قوله تعالى (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) أحد ما يدل على ان الكفر و الفساد ليس من فعله و الا لكان يصح وصفه بانه محكم متقن و قوله تعالى من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۵

بعد (وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) يدل على أن الاهتداء و الضلال من فعل

العبد و قوله تعالى من بعد (وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لكى يتصور المرء نفسه فيما يأتى و يذر أنه يبصر و يسمع.

تنزيه القرآن (۲۰)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۷

سورة القصص

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أ ليس جعل اللّه تعالى لهم أئمة يدل على أنه خلقهم كـذلك فاذا كانوا أئمـة بأفعال فيجب ان تكون تلك الافعال خلقا للّه؟ و جوابنا أنهم إنما يكونون أئمـة بالعقل و الخوف و التمكن و بالألطاف من قبل اللّه تعالى و كل ذلك من خلقه و هو الـذى أراد تعالى و كل ذلك من خلقه و هو الذى أراد تعالى و قيل ان المراد حكمنا بذلك كقوله تعالى (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) فالمراد عند الجميع قضينا و حكمنا و بيّن ذلك قوله تعالى (وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ) فـأراد بـذلك نحو ما ذكرنا لأن التركـة لا تكون باختيار الوارث و كـذلك قال (وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) و اذا كان موسـى صلّى اللّه عليه و سلم و قومه إنمـا تم لهم ما تم بما أنزل اللّه تعالى بفرعون و بما خصه به من المعجزات و كل ذلك من فعله صحّ أن يقول و جعلناهم أئمّة و ليس المراد خلق فيهم صلاتهم و عبادتهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) كيف يصح أن يوحى اليها و قد بيّن فى غير آية أنه ما أرسل إلا رجالا و كيف يصح و هى لم تكن نبية فيوحى اليها بما لا يعلم إلا من قبله تعالى؟ و جوابنا أنه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۸

يجوز ان يعرفهـا ذلـك على لسان نبى الزمان فلا يلزم ما قلتم و يحتمل انه ألهمها ذلك فقوى فى ظنها كل ذلك الى حصول العلم لها به و قد قيل أراها تعالى ذلك فى المنام بعلامات مخصوصة فعلمت بها و الأقرب ما قدمناه من أن رسولا كان فى الزمان فعرّفها أو نزل جبريل فعرفها على ان ذلك من معجزات ذلك الرسول.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) و كيف يصح ذلك مع قول امرأة فرعون (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً)؟ و جوابنا ان المراد بقوله تعالى (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) العاقبة و المراد بقوله تعالى قرة عين مـا دعـاهم الى التقاطه و ذلك لا تنافى فيه و قـد ثبت أنّ هـذه اللفظـة قـد يراد بها المآل و ما يقصـد إليه كقول القائل فى المرضـعة و الوالدة أنها تربّى ولدها لكى تنتفع به و يبقى لها و قد يقال مرضعة للموت إذا كان هذا هو العاقبة و على هذا الوجه قال الشاعر:

و أم سماك فلا تجزعى فللموت ما علت الوالدة

فامـا قوله تعالى من بعـد (وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها) فالمراد فراغ قلبها من سائر أمور الـدنيا سوى أمر ولـدها فلـذلك قـال تعالى (لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أى تصـدق بما أوحينا اليها و قوله تعالى (وَ

حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ) المراد به الصرف و المنع لا التحريم فى الحقيقة و ذلك كقوله تعالى فى أهل النار (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ) فليس لأحد ان يطعن بذلك و كقوله (وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ) و قوله تعالى (وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يدل على أن ذلك الوحى كان مقطوعا به على ما ذكرناه.

[مسألة]

و متى قيل فى قوله تعالى (هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۰۹

(عَدُوِّهِ) كيف يصح ذلك و إنما يقال هذا من أعدائه فيستقيم الكلام؟ فجوابنا ان المراد ما ذكرته و العدو قد يقع على الجمع و على الواحد على طريقة العرب فى المصادر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ) كيف يصح من النبى أن يقع منه قتل من لا يحل دمه؟ و جوابنا ان وكزه كان على وجه الدفع لمّا أراد مخاصمته و لم يظن انه يؤدى الى قتله و ذلك كالمرء يؤدب ولده استصلاحا له فيؤديه الى الموت و هذا من الصغائر التى نجوزها على الانبياء و لذلك قال (هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) و ذلك يدل على أن أفعال العباد ليست من خلق اللّه تعالى و إلا كان الأشبه به أن يقول هذا من عمل الرحمن و لذلك قال بعده (قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) و قوله تعالى (قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) أحد ما يدل ايضا على ما قلناه لأن فعل المجرمين إن خلق جرمهم فلا فائدة فى أن يكون ظهيرا و إن لم يخلق هو أيضا فلا فائدة فى ذلك و قوله تعالى (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) يحتمل أنه ظهر منه ما يوجب أن لا يعينه و يحتمل أنه خاف إن أعانه على نفسه منهم فلا مطعن فى ذلك و قوله من بعد (فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ) يدل على التأويل الثانى و انه خاف من ذلك فلهذا امتنع من نصرته و قوله تعالى (وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) أحد ما يدل على وجوب العمل بالخبر فيما يجرى مجرى الخوف و لذلك خرج خائفا الى مدين و سأل اللّه تعالى أن ينجيه من القوم الظالمين و لو كان ظلمهم من خلق اللّه لكان ينجيه من نفسه تعالى اللّه عن قولهم علوا كبيرا و قوله تعالى من بعد (فَسَقى لَهُما ثُمَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۱۰

تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) مع شدة حاجته عجيب فى اقتصاره على هذا القدر حتى دعاه شعيب و أمّنه و كفاه و أنكحه ابنته و قضى له موسى بعد ذلك أحسن الأجلين. فالمروى عن المفسرين أنه قضى الاجل الأكمل و قوله بعد (نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) أحد ما يدل على حدوث كلام اللّه تعالى و إلا كان يجب أن يكون أبدا قائلا لموسى هذا القول.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى كيف يصح على فرعون أن يظن هذا الظن مع كمال عقله و معرفته بأن القصور و إن بنيت أطول منها فلا يصح فيها ذلك و كيف يصح ان يقول هذا القول مع قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل (لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ

الْأَرْضِ) فان كان عالما بذلك فكيف يصح ان يظن الاطلاع إلى إله موسى؟
و جوابنا ان فرعون لما ادعى الالهية و صدقه قومه لجهلهم كان يظهر القدرة و يدعيها و إن كان فى الباطن يعلم خلاف ذلك و على هذا الوجه قال ما علمت لكم من إله غيرى مع علمه باحتياجه الى الاكل و الشرب و دفع المضار و على هذا الوجه أيضا قال لهامان و ذلك لا يمنع من ان يكون فى الحقيقة عالما باللّه تعالى على ما يدل عليه قوله (لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ) فليس بين الآيتين اختلاف.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ) أ ليس يدل على شك منه فى النبوة؟ و جوابنا انه تعالى قال ذلك على وجه الحجاج و لذلك قال بعده (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣١١

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ) فأما قوله تعالى بعد ذلك (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) فالمراد لا تثيب و ليس المراد لا تدله و لا تبين و كيف يصح ذلك و قد قال جل و عز (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) أو يقال أنه ظهر منه صلّى اللّه عليه و سلم شدة المحبة لإيمان ابى طالب عمه و أن يكون من أهل الجنة فأنزل اللّه تعالى ذلك منبها به على أن الجنة لا تنال إلا بالعمل الصالح و لذلك قال (وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) كيف يصح أن يصف نفسه بأنه يختار ما اختاروه أو يختار ما لم يختاروه و أى فائدة فى ذلك؟ و جوابنا أن المراد ما كان لهم الخيرة فى ترك عبادة اللّه و اتخاذ الاصنام آلهة و لذلك قال بعده (سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فبين أنه الخالق لما يشاء و أنه يختار لهم التوبة لان هذه الآية عقيب قوله (فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) فبين أنه تعالى يختار للمكلفين ما هو أصلح و أنه ليس لهم الخيرة فيما يختارونه بارادتهم و شهوتهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) كيف يصح أن يبلغ فى الغنى هذا الحد و مثل ذلك متعذر فى العادة؟ و جوابنا أن العصبة قد يقل عددها و يكثر فلا يمتنع أن يكون اللّه تعالى قد آتاه من الاموال ما فرقه فى الظروف الكثيرة و بلغت مفاتيح غلقها ما ذكره اللّه تعالى و لسنا نعلم أن الغلق فى ذلك الزمان كيف كان فانه قد يعظم فتعظم لذلك مفاتيحه و قد يصغر و معلوم أن كثيرا من الملوك يجتمع فى خزانته مثل ذلك و أكثر فلا حاجة لاستبعاد ذلك و قوله تعالى (إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ) لا بد من حذف فى الكلام و هو لا تفرح بما حصل فرح من يظن أنه يدوم و يبقى و قوله (وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣١٢

اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) يدل على ما قلناه فكأنهم أشاروا عليه بأن ينفقه فى سبيل اللّه و ينصرف عن الجمع الكثير و قوله (وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) المراد به التمتع بالقدر الذى يخرج فى العرف و قد قيل أن المراد أن يأتى فى الدنيا ما يفوز لأجله بالآخرة إذ الدنيا إنما تراد لمثل ذلك إذا وسّع اللّه على المرء و لذلك قال تعالى آخرا (وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً) حاكيا عن أولى العلم منهم و نبه تعالى بقوله (فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ) على أن الاعتداء بالدنيا و ان كثرت من أعظم الخطأ و أن الواجب تفريق ذلك فى مصالح الدين و الدنيا و قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) فان من

يكون بغيته جمع الاموال و عمارة الدنيا و يلهو عن الآخرة فمراده العلو فى الارض و الفساد فان أضاف الى ذلك التسلط على الناس لما فضله اللّه به فهو أعظم و لمن يعنى بذلك ارادة العلو فى باب الدين فان بلغ الانبياء هذه الرتبة العالية فيجوز أن يريدوا انقياد الناس لهم و دخولهم تحت طوعهم و قوله عز و جل (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ) أحد ما يدل على أنه لا يزيد فى العقاب البتة و ان كان يزيد على الثواب التفضل الكثير و قوله تعالى من بعد (وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) فالمراد به أنه يفنى جميع الاشياء ثمّ يعيد ما يجب إعادته و قوله إلا وجهه المراد به إلا هو فليس للمشبهة تعلق بذلك و يلزمهم أن أثبتوا للّه وجها و يدا أن يقولوا إن سائره يفنى و يبقى وجهه و ليس ذلك مما يعتقده مسلم و على هذا السبيل يقال هذا وجه الامر و هذا وجه الصواب فقد يذكر الوجه و يراد نفس الشيء فعلى هذا الوجه نتأول الآية.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۱۳

سورة العنكبوت

[مسألة]

قد بيّن تعالى فى هذه السورة ما إذا وطّن المكلف نفسه عليه كان باعثا له على العبادة و صارفا له عن المعاصى فقال تعالى (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ) فبيّن أن المؤمن لا يخلو من فتن و محن و شدائد و أن الواجب أن يعتبر بذلك و يصبر و صبره على ذلك يدعوه الى الصبر على العبادة و عن المعاصى ثمّ بيّن أن هذه عادة اللّه تعالى فيمن تقدم أيضا فقال جل و عز (وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ) و ذكر العلم و أراد المعلوم لأنه تعالى عالم لم يزل و لا يزال و لا يعلم الشيء عند كونه فقط و مثل ذلك يجرى مجرى الوعيد كقول القائل لغيره أنا عالم بتقصيرك إذا قصرت و بوفائك اذا وفيت ثمّ بيّن من بعد بقوله (وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) أن من تمسك بعبادته فإلى نفسه أحسن و أنه تعالى ما أراد بتكليفه إلّا أن يعرضه للمنزلة العالية (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) و بيّن أنه وصّى المرء ببرّ الوالدين إيجابا لحقهما و أنه يجب أن لا يمتنع من برهما و إن دعواه إلى الشرك لكنه لا يطيعهما فى باب الدين و يصاحبهما بالمعروف.

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) و أىّ فائدة فى هذا الادخال

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۱۴

و قد آمنوا و عملوا الصالحات و لم صاروا هم بأن يدخلوا فى الصالحين أولى من أن يدخل الصالحين فى جملتهم؟ و جوابنا أنه تعالى قد بين ما للصالحين من المنزلة فى الآخرة و ما يفعله بهم من معونة و نصرة فى الدنيا ثمّ بين أن كل من آمن و عمل صالحا فهو داخل فى هذا الوعيد باعثا لهم على التمسك بالايمان و بيّن من بعد أن المعتبر بالاخلاص لا بالقول فقال تعالى (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ) و بين أن النفاق يمنع من دخول المنافق و إن أظهر الايمان فيما وعد به الصالحين فقال تعالى (وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ).

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله تعالى (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ). فجوابنا أن اللّه تعالى أنكر ذلك عليهم بقوله (وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ) و انما قالوا ذلك إيهاما للمؤمنين بأنهم ينصرونهم فى الدنيا و ينفعونهم لا بأنهم

يحملون خطاياهم فى الحقيقة ثمّ بيّن تعالى أن الامر بالضد من ذلك و أن هؤلاء الكفار يحملون أثقالهم و أثقالا مع أثقالهم لأنهم إذا دعوا غيرهم إلى الكفر و المعاصى كانت هذه منزلتهم.

[مسألة]

و متى قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً) كيف يصح ان يعيش المرء هذا القدر و هذا بخلاف العادة؟ فجوابنا أن من ينكر ذلك فمراده دعاء إلى التعطيل و الإلحاد و اللّه تعالى قادر على ذلك و على هذا الوجه بيّن أمر الجنة و أنه يبقيهم و من تأول ذلك على أن المراد أن دعوته الى الشريعة بقيت هذه المدة فقد أخطأ و كان صلّى اللّه عليه و سلم يدعو حالا بعد حال و يصبر عليهم كما ذكره اللّه تعالى فى نبوّة نوح ثمّ دعا عليهم آخرا بقوله (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً) لما علم بأنهم لا يؤمنون و أنزل اللّه تعالى بهم من بعد العذاب و قوله عز و جل (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣١٥

ظالِمُونَ فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ) يدل على أنه بقى هذه المدة و انه بقى بعدها أيضا و لذلك قال (وَ جَعَلْناها) يعنى السفينة (آيَةً لِلْعالَمِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ما فائدة قوله تعالى (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)؟ و المعلوم أن ذلك خير لهم على كل حال. و جوابنا أن ذلك يقال على وجه التهديد لا لأن علمهم يدخل ذلك فى أن يكون خيرا ثمّ بين لهم ان الذين يعبدونهم لا يملكون لهم رزقا و لا نفعا و أن الواجب عبادة من يبتغى من جهته الرزق و من اليه المرجع فى الاثابة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) كيف يصح وقوع الكفر فى الآخرة؟ و جوابنا أن المراد بهذا الكفر الجحد و الانكار فان المودة بين المبطلين تكون فى الدنيا دون الآخرة كما قال تعالى (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها) كيف خفى على ابراهيم انهم لم يريدوا بالاهلاك لوطا و من آمن معه حتى قال ما قال فأجابوه بما أجابوا؟ و جوابنا أنه يجوز فى الدنيا أن يلحق العذاب بالعصاة و يكون فيهم غيرهم فيكون ذلك محنة فلما كان ذلك مجوزا جاز أن يقول إبراهيم صلّى اللّه عليه و سلم ما قال و لا يمنع أن يكون فى ظنه ان القوم لا يعرفون أن لوطا فيها فعرّفهم ذلك و قوله تعالى من بعد (فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ) لذكر ما أنزله بأمم الانبياء من العذاب و قوله بعد ذلك (وَ ما كانَ اللَّهُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣١٦

لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يدل على ان هذه الافعال أفعال العباد ليصح أن يؤاخذوا بها و ان ينسب الظلم الى أنفسهم كما نقوله فى هذا الباب و قوله من بعد (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أ يدل على ما نقوله من أنه لا يفعل إلا الحكمة و الصواب و

فى قوله بعد (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ) ربما يقال إنا نرى من يصلى و لا ينتهى عن ذلك فكيف يصح هذا الظاهر؟ و جوابنا عنه ان الذى تنهى الصلاةُ عنه هو الذى لا يقع و المصلى و ان فعل منهما الكثير فمعلوم من حاله انه غير فاعل لشىء من ذلك فى بعض الاوقات فبيّن اللّه تعالى أنه أوجبها لأن عندها ما هو ازيد منه و معلوم أيضا أنه غير فاعل المصلى لا يختار الفحشاء و المنكر و إلا فالصلاة محال أن تنهى فالمراد ما ذكرناه و هذا أحد ما يعتمد عليه فى أنه تعالى لا يعبد بهذه الشرائع إلا لهذا الوجه و قوله من بعد (وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ربما قيل فيه ان ظاهره يقتضى فيمن ظلم منهم أنه يجادل بما ليس أحسن و ذلك لا يصح؟ و جوابنا أن من ظلم منهم نفسه و تمرد لا يكون ما يلزمنا أن نرد به عليه مثل الذى نخاطب به غيره و إن كان الجميع حسنا أنّا نفعل مع بعضهم ما غيره أحسن منه و ان كان كل ذلك من باب الحسن و قوله تعالى (وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ) يدل على ما نقوله من أنه تعالى ينزه الانبياء عن كل أمر ينفر عنهم و قوله تعالى من بعد (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) ربما يتعلق به الخوارج فى أن كل فسق كفر و ربما يتعلق به من يقول إنه مع الايمان لا يضر شىء. و جوابنا أن ذلك لا يمنع من أن يحيط بغيرهم فلا يدل على ما قالوه و فى قوله تعالى (وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) دلالة على انهم يعاقبون و يعرفون أن ذلك العقاب عدل من حيث عملوا و أذنبوا و لو كان ذلك من خلق اللّه تعالى فيهم لما صح ذلك و قوله تعالى من بعد (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۱۷

ربما يقال ما الفائدة فى ذلك و هو معلوم للمخاطب؟ و جوابنا أن المراد فاياى فاعبدون و لا يصدنكم عن العبادة عدم الاستقرار فى مكان واحد بل يجب أن المرء يكون الوفاء بعبادة اللّه تعالى و لو مع التحول ان تحول فأرض اللّه واسعة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ) كيف يصح ذلك فى وصف الدار التى هى جماد؟ و جوابنا انه تعالى بيّن بهذا المجاز ما لا يفهم بالحقيقة إذ المراد أن هذه الدار من حق الحياة فيها أن تدوم و لا تنقطع و من حقها أن يدوم نعيمها بلا بؤس و أن يتصل و لا مشقة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۱۹

سورة الروم

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) كيف يصح أن يفرحوا بغلبة بعض الكفار لبعض؟ و جوابنا أنه تعالى لما بشر المؤمنين بأنهم سيغلبونهم ذكر ذلك فلو لم يكن إلا ما يظهر من صدق هذا الوعد لكفى فكيف و قد ينصر المؤمن مما يجرى من الذل على الكفار من قبل الكفار أيضا و لذلك قال تعالى بعده (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) و بيّن ان الاكثر من الناس لا يعلم الا ظاهر الحياة الدنيا دون ما يتعلق بالدين بقوله تعالى (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ) و متى قيل فى قوله تعالى (وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ) لما ذا كرر و ما الفائدة فيه و هل يحمل على التأكيد أو فيه مزيد فائدة. فجوابنا «*»

(*) جواب هذا السؤال لم نجده فى شىء من نسخ الكتاب و انما وجدنا مكان الجواب بياضا هكذا و قد ذكر الزجاج فى تفسيره فقال

هم الاول مرفوعة بالابتداء و هم الثانية ابتداء ثاني و غافلون خبرهم الثانية و الجملة الثانية خبر الاول و الفائدة فى الكلام ان ذكرهم الثانية و ان كانت ابتداء يجرى مجرى التوكيد كما تقول زيد هو عالم و هو اوكد من قولك زيد عالم و يصلح ان تكون الثانية بدلا من هم الاولى مؤكدة أيضا كما تقول رأيته اياه و رأيت زيدا نفسه و لعل قاضى القضاة لم ير منه جوابا شافيا و أراد اشفاء منه فتوقف فيه و لا يمتنع أن يكون قد أجاب عنه فى نسخة أصله و ان لا يكون قد وقع البيان.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲۰

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ) كيف يصح أن يسمى ما يفعله بهم تعالى سوءا و ذلك لا يكون إلا قبيحا؟ و جوابنا أنه أجرى هذا اللفظ على ما هو جزاء عليه كقوله (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) و ذكره كثير فى اللغة و الا فما يفعله تعالى لا يكون الا عدلا و حكمة و ذلك لا يوصف بهذا الوصف و لذلك لا يحسن وصف اللّه تعالى بأنه مسيء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) ثمّ قال (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) فبين أنهم عند قيام الساعة يتفرقون الى هذين القسمين كافر و مؤمن فقولك أن الفاسق له منزلة بينهما يبطل. و جوابنا أنه تعالى قال يتفرقون ثمّ ابتدأ بقوله تعالى فأما الذين آمنوا و أما الذين كفروا فذكرهما و لم ينف ثالثا لهما و قد ثبت حكم ذلك الثالث بسائر الآيات.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أ ليس يدل ذلك على ان كلامهم من خلق اللّه تعالى؟ و جوابنا أن اختلاف خلقة الالسنة من قبله تعالى و لأجل هذا الاختلاف يدرك كلامهم مختلفا فمن كان فى لسانه رقة لا يكون كلامه بمنزلة كلام من فى لسانه غلظ و كذلك اختلاف منافذ الرياح و النفس فبيّن تعالى ان فى ذلك آية و عبرة و هذا الجواب اولى من قول من يقول ان المراد به اختلاف اللغات و انها من باب التوقيف و تضاف الى اللّه تعالى لأن الوجه الذى به يقع الاعتبار فى اختلاف الألسنة هو فى كيفية ادراكنا لان الكلام فى اللغات هل هى توقيف او اصطلاح فيه الخلاف الكثير و معنى قوله تعالى من بعد (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) أنهما تقومان بفعله و ارادته و ذكر الامر على وجه التفخيم لشأنه كأن هناك أمرا هو قول و هذا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲۱

كقوله تعالى (إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) و قوله تعالى من بعد (ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يجرى هذا المجرى لانه تعالى لا يدعوهم فى الحقيقة لكنه يجيبهم و يكمل عقولهم و يمكنهم فيخرجون و يرجعون الى اللّه تعالى بمعنى الى حيث لا حاكم سواه و قوله تعالى من بعد (وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) ربما قالوا فيه ان ذلك يدل على جواز الضعف عليه. و جوابنا انه بمعنى هيّن كما اذا قلنا فى اللّه انه أكبر و أعظم فالمراد به كبير عظيم و كما قال الشاعر:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

و المعنى أنه عزيز طويل.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) كيف يصح ظهور الفساد لاجل كسبهم؟ و جوابنا أنهم اذا أفسدوا فى الارض و ظلموا و منعوا الحقوق يظهر بذلك الفساد فى الموضعين و اذا قلت النعم من جهة اللّه تعالى لاجل ذلك كان ردعا لهم عن أمثال ما فعلوا و بذلك قال تعالى (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) و لا يمتنع أن يكون الصلاح عند كسبهم أن يقع من اللّه تعالى التضييق فى المعيشة على وجه الاعتبار كما فعله تعالى بأمم الأنبياء من إنزال العقاب بهم و لذلك قال تعالى بعده (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) فبيّن ما نالهم لاجل شركهم و قوله من بعد (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) هو خطاب للكل و إن كان لفظه خاصا و المراد بالوجه نفس الانسان فكأنه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه و لا تزول فلا تأمن فى كل وقت من الاخترام فاذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين تنزيه القرآن (٢١)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٢٢

و لذلك قال تعالى بعده (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) و قوله تعالى من بعد (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) يدل على أنه من فعله و الا كانت اضافته الى خالقه أولى و قوله تعالى (وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يوجب أن ذلك من فعلهم أيضا و قوله تعالى من بعد (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يدل أيضا على ذلك لان المجازاة من اللّه تعالى على نفس ما خلق لا تصح و قوله تعالى من بعد (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ) يدل أيضا على ذلك لأن الكفر إن كان من خلقه فقد أراده و أحبه و إذا أراده فقد أحب الكافر إذ محبة الكافر هو محبة كفره و قوله تعالى من بعد (فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) يدل على ان الجرم من قبلهم و قوله تعالى من بعد (وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) يدل على ان ايمانهم من قبلهم إذ لو كان خلقا من اللّه لكان ناصرا لنفسه و ذلك محال و قوله تعالى من بعد (فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى هو على وجه المبالغة لتركهم القبول و التفكر و كذلك قوله (وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) و لذلك قال تعالى بعده (إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) و لو أراد حقيقة الصم لكان حالهم فى الاقبال كحالهم فى الادبار و لذلك قال تعالى بعده (إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا) فأما قوله عز و جل (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) و الضعف عرض لا يصح أن يخلق الجسم منه فالمراد المبالغة فى ضعفه و هو على ما هو عليه و بيّن ان آخر أمره أن لا ينتظر له قوة بعد ضعف و بقوله تعالى (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً) و كل ذلك تحريك لهم على التدارك الى التوبة خصوصا و قد أدرك حال الشيبة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) كيف يصح أن يخبروا بذلك و يقسموا عليه و هو كذب و عندكم أنهم فى الآخرة هم ملجئون

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٢٣

الى أن يفعلوا القبيح؟ و جوابنا أن المراد بذلك إخبارهم عن أنهم ما لبثوا غير ساعة عند أنفسهم لأنّ ما بين الموت و الاعادة و ان طالت مدته فهو كالقصير من الاوقات فى أن المعاد لا يتبين له ذلك و قوله تعالى (فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) يدل على ما نقول لأنه أن كان ظلمهم من خلق اللّه فهم مستغنون عن المعذرة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٢٥

سورة لقمان

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) كيف يصح مع ثقلها و عظمها أن تقف لا على عمد؟ و جوابنا أنه تعالى اذ اسكنها حالا بعد حال وقفت و ان كانت ثقيلة كما أن أحدنا يمسك يده و قد بسطها فمن حيث يفعل فيها السكون حالا بعد حال تثبت و لذلك متى لم يسكنها سقطت لانّ أحدنا يغفل و يلهو و اللّه سبحانه يتعالى عن ذلك و اختلف المفسرون فى ذلك فقال بعضهم الفائدة فيه نفى نفس العمد أصلا على ما ذكرنا و قال بعضهم الفائدة فيه انا لا نرى العمد و الاول هو أقوى و هو داخل فى الاعجوبة و قوله تعالى من قبل (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يدل على أن المضل هو الانسان و أنه مذموم و يدل على أن كل قول قيل بلا علم فى الاديان فهو مذموم و قوله تعالى المتصلة من بعد (وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِى الدُّنْيا مَعْرُوفاً) يدل على أن العشرة بأحوال الدنيا قد تحسن مع المباينة فى الدين ثمّ بين أن من أناب الى اللّه يجب أن يتبع فقال (وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ) الى قوله تعالى من بعد حاكيا عن لقمان (يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) القصد فيه أن يتأمله المرء فيعمل به فان هذه الوصية جامعة للانقطاع الى اللّه تعالى بعد المعرفة بعلمه و قدرته لان قوله تعالى (إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّماواتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲۶

إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) يؤذن بأن ما أقدم المرء عليه دق أم جل فهو معلوم للّه و تكون المجازاة بحسبه و ذلك ردع عظيم و هى جامعة القيام بالعبادات و هو بقوله (يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ) و هى أيضا جامعة للآداب و ما ينبغى أن يتمسك به المرء من الاخلاق و التواضع و هو بقوله (وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً) الى آخر الكلام و قوله من بعد (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يدل على أن التمسك بالمذاهب إنما يحسن اذا كان عن علم و قوله (وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ) مما لا مزيد عليه فى بطلان التقليد لأنه تعالى بيّن أنهم اذا جاز أن يتركوا الدليل اتباعا لآبائهم من دون دلالة فقد جاز أن يرجعوا إلى اتباع الشيطان فيما يدعوهم اليه لأن ما فى كلا الموضعين هو اعتماد على القول من دون دلالة و هذا هو الذى نعتمد عليه فى بطلان التقليد و نقول إنه إذا جاز تقليد الآباء فى الاسلام فيجوز تقليد أولاد النصارى لآبائهم لأن كل ذلك اعتماد على قبول القول من غير دلالة و قوله تعالى (وَ لَوْ أَنَّ ما فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ) يدل على أن كلام اللّه مقدور له يحدث حالا بعد حال لا كما قاله قوم من أنه متكلم بذات أو بكلام قديم لا يصح فيه زيادة و لا نقصان.

[مسألة]

و ربما تعلقوا بقوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ) و قالوا يدل ذلك على أن جريه من فعل اللّه تعالى ليكون مضافا الى اللّه تعالى و لو لا ذلك لوجب أن يكون مضافا الى الملاح و لما صح أن يكون آية و قد قال تعالى (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ) و جوابنا أن وجه الاعتبار فى ذلك خلقه تعالى للماء فى البحر على الصفة التى معها تجرى السفن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲۷

و خلقه الرياح على هذا الوجه و لو لا ذلك لما صح جريها بفعل العباد و فى ذلك آيات اللّه تعالى و نعمه لأنه لو لا ذلك لما صحّ التوصل الى قطع البلاد و جلب النعم و قوله تعالى (وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) يدل على أن الجحد لا يكون من خلق اللّه تعالى إذ لو كان من خلقه لما صح أن يذمه هذا الذم العظيم و قوله تعالى من بعد (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عقاب ربكم بالتحرز من المعاصى و قوله تعالى (وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِى والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) من أقوى دلالة ما يدل على أن وعده و وعيده لا يجوز أن يقع فيهما خلف و من أقوى ما زجر اللّه به عباده عن المعاصى فإذا تدبر المرء عند قراءته ما ذكرنا عظم انتفاعه بذلك؛ و لذلك قال بعده (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا) يعنى بذلك متاعها (وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) زجر بذلك

عن قبول كل قول يغر المرء و يصرفه عن التمسك بطاعة اللّه ثمّ بين تعالى ما يختص به عز و جل من العلم و لم يطلع العباد عليه بالادلة و ان جاز أن يطلع أنبيائه على بعضه ليكون معزا لهم فقال جل من قائل (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يحكم أن أحكام المنجمين صحيحة فيما جرى هذا المجرى.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۲۹

سورة السجدة

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) أ ليس ذلك صريحا فى أنه تعالى فى السماء؟ و جوابنا أنه جعل جل و عز السماء مكانا للملائكة و للأرزاق التى بها يحيى الناس و لذلك قال تعالى (وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ) فلاجل ذلك قال (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ) و معنى قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) أى الى المكان الذى لا حكم فيه الا حكمه لانّ الملائكة طوع اللّه و لا يفعلون إلا بأمره.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ). و جوابنا أن المراد بهذه الآية نزول الملائكة بالوحى و غيره من السماء الى الارض و رجوعها الى مكانها فلا يكون ألف سنة بل بين السماء و الارض مسير خمسمائة عام و أما الآية الثانية فالمراد بها يوم القيامة و يدل عليه قوله تعالى (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً) فبين أنه يطول ذلك الزمن على الكفار لشدته فيساوى لاجل تلك الشدائد خمسين ألف سنة و قوله من بعد (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) يبين أنه لا قبيح فى قوله و لا أسمائه فان قيل ففى جملة ما خلق ما يقبح فى الصورة.

فجوابنا أن المراد نفى ما يقبح فى العقل من فعله لا ما يستقبح فى الصورة بين ذلك ان هيئة الانسان فى صلاته و قضاء حاجته و النهى عن المنكر قد يستقبح فى المنظر و توصف مع ذلك بأنها حسنة و حكمة و قوله تعالى (أَ إِذا ضَلَلْنا فِي

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۰

الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ) يدل على بطلان تعلقهم فى باب الرؤية بذكر اللقاء لانّ اللّه عز و جل بين أنهم كافرون بلقاء ربهم و أراد كفرهم بالاعادة و بالثواب و العقاب و قوله عز و جل من بعد (وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) المراد به يقولون ربنا و حذف مثل ذلك يحسن فى الكلام اذا كان فيه ما يدل عليه و لا يجوز أن يتمنوا ذلك و يسألوه الا و العقاب من جهتهم يقع و باختيارهم يكون و قوله تعالى (وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها) فالمراد به على وجه الالجاء الذى وقع لم ينتفعوا به لانهم انما ينتفعون بما يفعلونه طوعا ليستحقوا به الثواب و لذلك قال تعالى (وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ) و قوله (فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) يدل على أن اللقاء ليس بمعنى الرؤية و أراد تركتم النظر و العلم بالاعادة و قوله تعالى (إِنَّا نَسِيناكُمْ) و النسيان على اللّه تعالى لا يجوز و المراد به عاقبناكم على ترككم على مثال قوله تعالى (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) و قوله تعالى (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) يدل على أن الفاسق ليس بمؤمن لانه تعالى ميز بينهما فجعل للمؤمنين جنات المأوى و للفاسقين النار.

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله تعالى (وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ). و جوابنا أن المراد ما عجله من الآلام لكى يصلحوا فسماه عذابا مجازا و يجوز أن يريد بذلك عذاب القبر أو الحدود التى تقام على بعضهم فمن يعلم ذلك يكون أقرب الى أن يرجع عن معاصيه و قوله تعالى (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها) أحد ما يدل على أن العبد مختار لفعله و الا فالاعراض ممن لا يقدر على الشيء و تركه محال لأنه لا يقال فى أحدنا أنه أعرض عما يعجز عنه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۱

و قوله تعالى من بعد (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) و المراد به العقاب يدل على أن كل مجرم و ان كان من أهل الصلاة فاللّه تعالى ينتقم منه إلّا أن يكون تائبا أو جرمه صغيرا و قوله تعالى من بعد (وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا) المراد به جعلناهم أنبياء و علماء يقتدى بهم لأجل صبرهم فدل بذلك على أن الانبياء لو لا صبرهم عن معاصى اللّه لما جعلوا أنبياء فيبطل بذلك قول من يجوز عليهم الكفر و الكبائر قبل البعثة و قوله تعالى من بعد (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يحمل على أنه تعالى يفصل بينهم بالعلم فينقاد المبطل و يعرف المحق حاله فى ذلك فان كان الفصل يقتضى نقل الاعراض فسيفعله تعالى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) و كيف يصح و القوم يكذبون بذلك كما قال تعالى بعده (وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) و من لا يؤمن بيوم القيامة كيف ينتظر ذلك؟ و جوابنا أن موتهم لما كان مقدمة الاعادة جاز أن يقول ذلك و يحتمل أنهم على غير يقين مما قالوا فهم على شك و تجويز فحكمهم حكم المنتظر.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۳

سورة الاحزاب

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ما معنى ذلك فان كان تعريفا لنا فهو معلوم؟ و جوابنا ما جعل لأحد ما يتسع به فى النظر فى الامور و فى الامور و فى الاجتهاد و فى الرأى حتى لا يشغله بعض ذلك عن بعض بين ذلك ان المراد مقصور على ما جرت به العادة على النظر فى الدين و الدنيا و قد قيل انه كان فى الصحابة من يلقب بذلك و يعتقد فيه الاتساع فى الرأى و المعرفة فانزل اللّه تعالى ذلك لان المنافقين زعموا أنه له قلبين.

[مسألة]

و متى قيل ما المراد بقوله (النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) كيف يصح أن يكون أولى بهم من أنفسهم و كيف يصح فى أزواجه أن يكنّ أمهاتهم؟ و جوابنا أنه أولى بهم فيما يقتضى الانقياد فى الشرع و أولى بهم فيما يتصل بالاشفاق أو المراد أنه أولى بهم من بعضهم لبعض كقوله تعالى فسلموا على أنفسكم و اما أن أزواجه صلّى اللّه عليه و سلم أمهات المؤمنين فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين و تبرئة رسول اللّه عن ان يخلفه فى أزواجه غيره و لذلك روى عن عائشة فى امرأة قالت انك أمى انها أنكرت ذلك و قالت انما أنا أم رجالكم لأن التزويج فى الرجال يصح فأكد ذلك بأن شبههن بالامهات و ربما حذف فى التشبيه اللفظ ليكون على وجه التحقيق كما يقال للرجل

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۴

البليد هو حمار و لمن لا يصغى و لا يفهم انه ميت قال تعالى (إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى .

[مسألة]

و متى قيل ما معنى قوله (وَ إِذْ أَخَـذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ) و قوله (وَ أَخَـذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً) ما هذا الميثاق المأخوذ من أمم الانبياء؟ و جوابنا انه تعالى لما أعلمهم بوجوب طاعته و طاعـة الرسول و دلهم على ذلك ببعثـة الرسل و غيرهم و ألزمهم القيام بذلك كان ذلك أوكـد من المواثيـق بالايمـان المغلظـة و أعظم فى وجوب الحجـة عليهم فى الآـخرة و لـذلك قـال تعـالى بعـده (لِيَسْـئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَـةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِـعْفَيْنِ) كيف يجوز أن يزيد فى عقابهن و ذلک ظلم يتعالى اللّه عنه؟ و جوابنا ان مكان اتصالهن برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم و عظم نعمة اللّه عليهن بذلک و بغيره يوجب ان ما يقع منهن من المعصـية يكون أعظم عقابا لان المعصـية تعظم بعظم نعمة المعصـى كما ان معصـية الولد لوالده و له عليه الحقوق العظيمـة أعظم فبيّن اللّه تعالى ان عقاب معصـيتهن لو وقعت منهن يكون أعظم لان ذلک عين المسـتحق فان قيل فقد قال تعالى (وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَـلْ صالِحـاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ) فانه كان عظم المعصـية لعظم النعمـة فيجب فى الطاعـة ان يكون موقعها منهن أخف لان عظم النعمـة كما يعظم المعصـية يخفف أمر الطاعـة. و جوابنا عن ذلک ان الطاعة للّه تعالى تعظم لوجه آخر و هو ان الناس يقتدون بهن لعظم منزلتهن فى القلوب كما قال صلّى اللّه عليه و سلم مثل ذلک فى من سن سنة حسنة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۵

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) أ ليس ذلک يدل على انه تعالى يفعل فيهم الصرف عن المعاصى؟ و جوابنا ان المراد بهذا انه تعالى يلطف لهم زيادات الالطاف فلا يختارون الا الطاعة فهذا معنى الاذهاب بالرجس و لذلک قال بعده (وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله فى قصة زيد (وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ). و جوابنا أنه تعالى أحب فيما أراده من تزوج النبى صلّى اللّه عليه و سـلم بـامرأة زيـد ان يكون مظهرا لـذلک لانـه من باب ما قـد أحله اللّه تعالى له و أن لا يكون فى قلبه من الناس ما يتكلف لاجله ابطان ذلک و لـذلک قال (فَلَمَّا قَضـى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناکَها) و قوله تعالى (إِنَّا أَحْلَلْنا لَکَ أَزْواجَکَ) مع انه مقدم فى الانزال على قوله تعالى (لا يَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ) و هى التاسـعة لان المعتبر فى الناسخ أن يكون متأخرا فى التعريف و الانزال لا فى التلاوة و قوله تعالى (وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ) فيها اختلاف فبعض المفسرين يزعم أن ذلک مقدار ثابت بيّن به تعالى أنه يحل له التزوج فلا يدل على أنه صـلّى اللّه عليه و سلم مخصوص بذلک كما خص باباحة الزيادة على أربع و منهم من يثبت الموهبة و لذلک قال تعالى (خالِصَةً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ).

[مسألة]

و متى قيل فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ) بعبارة واحدة ذلك عندكم ممنوع منه و كيف يصح الصلاة من اللّه تعالى و من الملائكة على الرسول؟ فجوابنا أن قوله تعالى (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) يرجع الى الملائكة فقط لانه تعالى يعظم أن يذكر مع غيره و لكنه يعقل بذلك أنه جل و عز أيضا يصلى على الرسول و صلاته جل و عز معناها الرحمة العظيمة و الانعام الجسم و صلاة الملائكة الدعاء و قد قال تعالى قبل ذلك (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ) و ذكر ذلك فى عباده و المراد أنه يرحمكم بالهداية لتصلوا الى الثواب و قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۶

عَلَيْهِ) المراد الدعاء له بالمغفرة و الرحمة العظيمة و فى الفقهاء من استدل بذلك على وجوب الصلاة عليه و على وجوبها فى التشهد و من حيث قال (وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً) فقال بعض أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد عرفنا معنى السلام عليك فكيف الصلاة عليك فعلمهم كيف يصلون عليه فيوردون ذلك فى الصلاة كما علمهم التشهد من قبل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ) كيف يصح ذلك؟ و جوابنا أنه تعالى يفعل ذلك فى الحقيقة لانه قادر على ذلك فيكون أزيد فى غمهم و قوله تعالى من بعد (رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ) فى السادة الذين اتبعوهم صحيح لان من سن سنة سيئة يزاد فى عقابه فأما قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا) ففى المفسرين من قال دخل ليغتسل فلما خرج و ثيابه على حجر عدا الحجر حتى رؤى مكشوفا فبرّأه اللّه مما كانوا يضيفونه إليه من أنه عليه السلام آدر و هذا مما أنكره مشايخنا و قالوا إن ذلك لا يجوز على الانبياء و أن المراد بالآية أنهم اتهموه بأنه قتل هارون أخاه لانه مات قبله و كان فى هارون ضرب من اللين و فى موسى صلّى اللّه عليه و سلم خشونة فلميلهم إليه قالوا هذا القول فبرّأه اللّه اعاده حتى برئ موسى من هذه التهمة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ) كيف يصح ذلك فيها و هى من جملة الجمادات التى لا يصح أن تعرف و تعلم؟ و جوابنا أن المراد عرضنا الامانة أى تضييع الامانة و خيانتها على أهل السموات و الأرض و هم الملائكة (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها) و الاشفاق لا يصح إلا فى الحى الذى يعرف العواقب ثمّ قال تعالى (وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا) و لو حمل نفس الامانة لم يصح ذلك فيه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۷

سورة سبأ

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) كيف يصح ذلك و قد زال التكليف؟

و جوابنا انه و ان زال فالشكر و الحمد للّه فى الآخرة يكثر لانهم يسرون بذلك فيشكرون نعم الوقت حالا بعد حال و يشكرون النعم المتقدمة و ما يفعله المرء لربه لا يكون داخلا فى التكليف.

[مسألة]

و متی قیل کیف یصح فی قوله تعالی (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَأْتِینَا السَّاعَةُ قُلْ بَلی وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ) و ما تعلق به قوله تعالی (عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ) مما تقدم و جوابنا ان من اقیمت له الدلالة علی بطلان ما هو علیه مجوز اذا ذکر مذهبه أن یکون هذا جوابه لینبه علی تقصیره فبیّن اللّه تعالی بأنه عالم الغیب و أنه یجازی کل أحد یوم القیامة بما استحقه علی ما ذکره من بعد.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (یا جِبالُ أَوِّبِی مَعَهُ وَ الطَّیْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِیدَ) کیف یصح أن یأمر اللّه تعالی الجبال و الطیر و کیف یلین الحدید و فی تلیینه إبطال کونه حدیدا؟ و جوابنا أن ذلک بمنزلة قوله تعالی (إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ) و لیس ذلک بأمر فالمراد بیان أن الجبال و الطیور لا تمتنع علیه فیما یریده فأما تلیین الحدید فمعلوم أنه یلین بالنار و لا یخرج من ان یکون حدیدا فجعله اللّه تنزیه القرآن (۲۲)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۸

عز و جل لداود صلّی اللّه علیه و سلم بهذه الصفة أو جعله من حیث القوة بحیث یتصرف فیه کتصرف أحدنا فی الطین و کل ذلک صحیح و لما بیّن عظم نعمه علی داود و سلیمان بالامور التی سخرها لهما قال تعالی من بعد (اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُکْراً) بالامور التی سخرها لهما قال تعالی من بعد (اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُکْراً) و ذلک یدل علی ان النعم توجب مزید الشکر و القیام بالطاعة علی وجه الشکر و بیّن تعالی بقوله (وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ) ان التکلیف و ان عم الکثیر فقلیل منهم یقوم بحق شکره و ذکر تعالی ذلک لیجتهد کل أحد أن یکون من جملة هذا القلیل فیفوز بالثواب فاما قوله تعالی من بعد (وَ هَلْ نُجازِی إِلَّا الْکَفُورَ) فلا یصح للخوارج الذین یقولون ان کل ذنب کفر ان یتعلقوا به لان المراد و هل نجازی بما تقدم ذکره إلا الکفور و قد أجری اللّه تعالی العادة بانه لا یعذب بعذاب الاستئصال فی الدنیا إلا من کفر و قوله تعالی (وَ قَدَّرْنا فِیهَا السَّیْرَ) ربما یتعلق به المجبرة انه تعالی یفعل السیر و ذلک بعید لان المقدر للشیء لا یجب أن یکون فاعلا له لان من بین الشیء کیف یفعل یوصف بانه قدره و ان کان الفعل من غیره و لذلک قال بعده علی وجه الامر (سِیرُوا فِیها لَیالِیَ وَ أَیَّاماً آمِنِینَ).

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَیْنَ أَسْفارِنا) کیف یصح من العقلاء أن یسألوا ربهم أن یباعد بین أسفارهم و هی قریبة؟ و جوابنا ان ذلک منهم جاء علی وجه الجهل کقوله تعالی (وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ) هذا إذا قرئ علی هذا الوجه و قد قرئ ربنا باعد بین أسفارنا و ذلک علی وجه الجبر لانه غیر أحوالهم فنالهم من المشاق فی أسفارهم خلاف ما کانوا علیه و قد یقول الضعیف بعد علیّ الطریق لمزیة مشقته و ان کان حال الطریق لم یتغیر.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ ما کانَ لَهُ عَلَیْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ یُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) کیف یصح أن یصف نفسه بانه یعلم بانه لم یکن له علیهم سلطان و هو عالم بنفسه؟ و جوابنا انه تعالی

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۳۹

یذکر العلم و یرید المعلوم کما ذکرنا من قبل فالمراد به أنه لا یقع من إبلیس إلا الوسوسة و الترغیب فی المعاصی و عند ذلک یتمیز

من يؤمن ممن يشك و يجهل و لذلك قال بعده (وَ رَبُّکَ عَلی کُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ) أی هو انه عالم بهذه الامور قبل أن تقع.

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) من المراد بذلک و ما معنی قوله لمن بعد (حَتَّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا الْحَقَّ) و ما الفائدة فی هذا الجواب؟ و جوابنا ان المراد بذلک الملائکة بیّن تعالی انهم لا یشفعون إلّا بإذنه و أنهم بخلاف الشیاطین فلا یقع منهم إلا ما هو طاعة للّه تعالی و فی الخبر عن ابن مسعود أنه تعالی إذا أراد أن یکلم ملائکته بما لا یرید ظهوره لغیرهم یحدث فی السماء صوتا عظیما یفزع منه سائر الملائکة فإذا انجلی یقولون للملائکة الذین کلمهم اللّه ما ذا قال ربکم فیجیبون بقولهم قالوا الحق أی قال ربنا الحق فیعلمون أن ذلک من الباب الذی یجب أن لا یظهر فهذا معناه و قد قیل ان الملائکة الذین ینزلون لکتب أعمال العباد إذا نزلوا فزع من هو دونهم من ذلک و توهموا أن ذلک لقیام القیامة فیسألون و یجابون بما تقدم فأما قوله من بعد (قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِیَّاکُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ) فالمراد بیان الحق و تمییزه من الضلال کما یقوله أحدنا لمن یستدعیه لأنه صلّی اللّه علیه و سلم کان یعلم أنه علی هدی و أن المشرکین علی ضلال و قوله تعالی من بعد (وَ لَوْ تَری إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ یَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ الْقَوْلَ یَقُولُ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَکُنَّا مُؤْمِنِینَ) دلیل قوی علی ان العبد هو القادر علیه لأنه تعالی لو کان هو الخالق فیهم الایمان لما صح أن یقولوا لو لا انتم

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۰

لکنا مؤمنین بل الصحیح أن یقولوا لو لا خلق اللّه تعالی الکفر فینا لکنا مؤمنین فذلک یدل علی قدرتهم علی الایمان و اعترافهم یوم القیامة بأن الذی صرفهم عن الایمان دعاء هؤلاء الرؤساء و انه لو لا دعاؤهم لکانوا یختارون الایمان و قوله تعالی من بعد (قالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناکُمْ عَنِ الْهُدی بَعْدَ إِذْ جاءَکُمْ بَلْ کُنْتُمْ مُجْرِمِینَ) یدل أیضا علی ما ذکرنا لأنهم بینوا أن الذی وقع منهم لم یکن صدّا لهم عن الهدی و قد ظهر لهم و تجلی أن ما وقع منهم إنما وقع باختیارهم و لو کان تعالی یخلق فیهم لکان أقوی حجة لهم أن یقولوا أ نحن صددناکم بل اللّه خلق فیکم ذلک و قوله تعالی من بعد (وَ ما أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُکُمْ عِنْدَنا زُلْفی إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً) بیان من اللّه تعالی بان الاموال و الاولاد لا تنفع فی الآخرة و أن الذی ینفعهم إیمانهم و عملهم الصالح و بیّن من بعد بقوله تعالی (وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ یُخْلِفُهُ) ما یقوی قلب المرء علی الانفاق فی طاعة اللّه فإن قیل فنحن نری من ینفق و لا یخلف اللّه علیه شیئا. و جوابنا أن المراد فهو یخلفه متی کان صلاحا و لم یکن فسادا و لم یوقت ذلک بوقت و ذلک یبطل السؤال.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ یَقُولُ لِلْمَلائِکَةِ أَ هؤُلاءِ إِیَّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ) کیف یصح ذلک و فیهم من لم یکن یعبد الملائکة بل أکثرهم لیس بهذه الصفة؟

و جوابنا أن الغرض إبطال عبادة اللّه دون بیان لمن کانوا یعبدون من ملک أو جنّ أو صنم و لذلک قال تعالی بعده (فَالْیَوْمَ لا یَمْلِکُ بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا) فاذا أقبل علی الملائکة جلّ و عزّ و نبّه علی أن من عبدهم فقد عبد من لا یملک له ضرّا و لا نفعا فقد نبّه بذلک علی ان عبادة الجن و الصنم بهذا التوبیخ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۱

أولی و قوله تعالی من بعد (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلی نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَیْتُ فَبِما یُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) فیما یدل علی الضلال من قبل العبد و لا یضاف إلیه من حیث زجر اللّه تعالی عن فعله و الاهتداء و الایمان و إن کان من فعله فإنه یضاف الی اللّه تعالی من حیث

أمر به و رغب فى فعله و لطف فيه و أعان و ذلك صريح قولنا فيما يضاف الى اللّه تعالى و ما لا يضاف.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۳

سورة فاطر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) و ذلك متناقض. و جوابنا أنه لا يمتنع أن يكون بعضهم رسلا إلى بعض و يكون ذلك توكيدا فى ألطافهم فأما قوله تعالى (أُولِي أَجْنِحَةٍ) فالمراد أنهم بهذا الوصف فبعضهم له مثنى و بعضهم له رباع و يحتمل أن يكون الملك متمكنا من أجنحة هى ثلاث و من أجنحة هى مثنى و من أجنحة هى رباع لأن الجناح لا حياة فيه و هو آلة الطيران فقد يجوز فيه الزيادة و النقصان.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) أ ليس ذلك يدل على أن كل محدث مخلوق فاللّه خالقه لا خالق سواه و ذلك بخلاف قولكم لانكم تقولون أنه من فعل الشيء مقدرا فهو خالقه و تستدلون بقوله (فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ). و جوابنا أنه تعالى انما نفى خالقا سواه و رازقا لنا لأنه قال هل من خالق غير اللّه يرزقكم من السماء و الارض و لا خالق بهذه الصفة إلا هو و قد بيّنا من قبل أن إطلاق هذه اللفظة لا يصح إلا فى اللّه تعالى فلا وجه لإعادته.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً) كيف يصح أن يرى القبيح حسنا؟ و جوابنا أن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۴

الداعى له الى القبيح زينه فى عينه حتى اعتقده بهذه الصفة و هذه طريقة اتباع من يضل و يفسد و بيّن تعالى بعده أنه الذى يضل عن الثواب فقال (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ) كيف يصح و من ليس بعالم قد يخشى عقاب اللّه؟ و جوابنا أن المراد الخشية الصحيحة فإنها لا تقع إلا من عالم باللّه تعالى على حقه و من عالم بثوابه و عقابه و من عالم بما تؤدى هذه الخشية من العبادات و بما معه يثبت ما يخشاه فهذا معنى الكلام ثمّ أنه تعالى رغّب فى طاعته نهاية الترغيب بأفصح قول فقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) كيف يصح فى الانبياء أن يكون بعضهم ظالمين و بعضهم مقتصدين و بعضهم سابقين بالخيرات و الواجب أن يكون جميعهم من السابقين؟ و جوابنا ان المراد أنه تعالى أورث الكتاب الانبياء الذين بعثهم من جملة عباده و الاقسام المذكورة لم ترجع إليهم بل ترجع إلى عبادنا فكأنه قال ثمّ أورثنا الكتاب الذين

اصطفينا من جملة عبادنا و عبادنا منهم ظالم لنفسه و هم الذين يعصون ربهم بكفر أو فسق و منهم مقتصد و هو المؤمن التائب

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۵

الذى لم ترتفع منزلته فى باب الثواب و منهم سابق بالخيرات و هم الذين علت منزلتهم فهذا معنى الكلام و فيه وجوه من الاقاويل لكن الـذى ذكرنـا أبين و هـذه طريقتنـا فى اقتصـار الاجوبـة رغبـة منـا فى أن لا يطول و قوله تعالى (رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَـلُ) و قوله تعـالى لهم (أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مـا يَتَـذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَـذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ) من أقوى ما يـدل على أنهم كانوا يقتـدرون على الايمان و انهم قصدوا أن لا يختاروا ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۷

سورة يس

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لِتُنْـذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ) كيف يصح اثبات مكلفين لم ينذروا؟ و جوابنا أن ذلك يصح إذا كان المعلوم من حالهم انهم يعصون فى كل شـىء على كل حال فجاز أن يقتصر بهم على التكليف دون الانذار الواقع من الانبياء و على هذا الوجه تـأخر القرآن فى الزمن فـان قيـل فـان كـان كـذلك فلم ذمّهم تعـالى بقوله (فَهُمْ غافِلُونَ)؟ فجوابنا لأنهم عصوا من حيث لم ينفع فيهم الانذار و لذلك قال تعالى (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) ثمّ ذمهم بأن شبّه حالهم بالمغلول و بمن سدت عليه الطريق و قـد مضـى الكلام فى أن مثل ذلك يقع منه تعالى على طريقـة التشبيه و التمثيل لحالهم بحال من هـذا وصـفه و قد قيل ان المراد لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم على هذا الحد من الشـرع و الأول أقرب إلى الظاهر و قوله تعالى من بعد (إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) ربما تعلقوا به فى أنه تعالى لم يهـد إلا من كان قـد اهتـدى و قـد تقدم القول فى تأويل مثل ذلك فى قوله (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) فى سورة البقرة و بيّنا أن من لم يقبل شبه بمن يتعذر عليه القبول لما تعلمه من حال الرسول و أنه أنذر الكفار كما أنذر المؤمنين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ) ما الفائدة فى ارسالهما اذا كان لا بد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۸

من ثـالث؟ و جوابنا ان المصـلحة ربما تكون فى الاقتصار على اثنين فى الارسال فى وقت ثمّ فيما بعـده تكون المصـلحة فى ضم ثالث إليهما لان المصالـح تختلف بالأوقات و متى قيل كيف يصـح بعثه الرسل فى حالـة واحدة و الشـرع واحد و ما الفضل بين الجماعة فى ذلك و بين الواحـد؟ و جوابنا أنه إذا قـدّر إرسال بعض دون بعض فلاختلاف المصالح فى الاوقات و اذا جمع بينهم فى الارسال فلان المصـلحة فى جماعتهم و لا بـد فى المعجز من أن يظهر على كل واحـد أو على جماعتهم و قوله من بعـد (وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) يدل على أنه لا نبى الا و قد بلّغ ما جاء به قبل أم رد و قوله عز و جل (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) المراد به من جاء من أقصـى المدينـة يسـعى و ظاهر ذلك يقتضـى أن دخوله الجنـة واقع و انها ليست جنة الخلد و لا يمتنع فى بعض من يحبه اللّه تعالى أن يـدخله بعض جنان السـماء كما ذكرناه فى الانبياء و الشـهداء فلا يصـح أن يجعل حجـة فى أن جنـة الخلـد مخلوقـة و يدل ذلك على سرور المرء بوقوف قومه على عظم منزلته و اجتماعه معهم لا يكاد يعدله غيره من السرور.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ جَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ وَ فَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أ ليس يدل ذلك على أنه تعالى جعل ما عملته أيديهم كما جعل الجنات و ذلك يدل على ان أفعال العباد مخلوقة للّه تعالى؟

و جوابنا ان قوله (وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) يرجع الى قوله (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) فكأنه قال ليأكلوا من ثمره و ليأكلوا ما عملته أيديهم بالمكاسب و غيرها فبين أنه جل و عز خلق لهم النعيم و مكنهم أيضا من اكتساب النعيم فيبطل ما قالوه و قوله تعالى من بعد (وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ) أحد ما يدل على وجوب النظر فى الآيات و فساد التقليد.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۴۹

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) ما معنى ذلك و هل يصح وقوعه من عاقل؟

و جوابنا أن الجاحد لربه و المنكر للقول بان هذه النعم من جهة فاعل حكيم قد يجوز أن يقول لمن يعتقد ربه و ان النعم من قبله هذا القول لظنه انه كالشبهة فيما ذهب اليه القول اذا كان الاطعام و الارزاق من قبله تعالى فما الفائدة فى ان يحوج العبد الى غيره و هلا كفاه بنفسه فعلى هذا الوجه يقع مثل هذا الكلام من العاقل و لو علموا ان الاحسان من اللّه على العبيد لا بد ان يكون بحسب المصالح و أنه قد يجعل حاجته الى غيره و يحمله الكلفة فى ذلك لكى ينتفع فكون له مصلحة فى الطاعة التى يلتمس بها الثواب و ازالة العقاب لعلموا أن ذلك هو الحكمة و الصواب و قوله تعالى (ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أحد البواعث على المبادرة الى الطاعات و الى الثواب من حيث لا يأمن المرء الاحترام فى كل وقت و لذلك قال تعالى (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) و قوله تعالى من بعد (فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يدل على ان العبد يفعل و يستحق على فعله الثواب أو العقاب و أنه لا يجوز أن يؤاخذ بعمل غيره و أنه لا يجوز منه تعالى أن يعذب الاطفال بذنوب الآباء و قوله تعالى من بعد (أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ) المراد به القبول من الشيطان على ما تأولنا عليه قوله تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال صلّى اللّه عليه و سلم لما أحلوا و حرموا بقولهم وصفهم بذلك و قوله تعالى من بعد (وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً) يدل على ان الاضلال فى الدين لا يكون من قبله تعالى كما يقوله القوم و الا كانت الاضافة الى الشيطان لا وجه لها و قوله من بعد (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) احد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۰

ما اذا تصوره المرء يكون زاجرا له عن المعاصى لئلا تشهد عليه جوارحه بها يوم القيامة فتكون الفضيحة الكبرى و قد بينا من قبل ان هذا الكلام يفعله تعالى فيصير بصورة أن يكون الكلام كلام اليد و الرجل و أن هذا أقرب من قول من يقول هو كلامهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) كيف يصح ذلك و المعلوم من حال كثير ممن يعمر انه لا ينكس فى الخلق؟ و جوابنا انه لا بد من تقدير شرط فى الكلام فان التعمير هو تطويل العمر و اطالة العمر قد تختلف فاذا بلغ حدا مخصوصا فلا بد من ان ينكسه فى الخلق فتغير أحواله فيجب أن يكون هذا هو المراد.

[مسألة]

و ربما تعلقوا بقوله تعالى (وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ) كيف يصح ذلك و هو صلّى اللّه عليه و سلم أفصح العرب؟ و جوابنا أن

المراد أن ما علمناه إنشاء الشعر فيكون حاله كحال من اتسع فى معرفة اللغة فما هو منهم و لا يجوز حمله على أنه لم يكن يعرف أوزان الشعر أو لم يكن يحفظ الشعر فإنه كان يحفظه و لا ـ ينطق به فإذا صار ذلك عادة له معروفة أبعد من التهمة فيما جعله اللّه معجزة له و لذلك قال تعالى (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً) أ ليس ذلك يدل على أن للّه تعالى يدين؟ و جوابنا إن دل فيجب أن يدل على أيدى و لا يقول بذلك أحد و إذا وجب أن يتأول ذلك فكذلك سائر الآيات و ذكر تعالى الأيدى على طريق توكيد اضافة العمل إليه كما قال تعالى (بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) و كما يقال فى كلام وقع من المرء هذا ما عملت يداك و إنما تذكر اليد من حيث أنها

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۱

أقوى آلات الافعال و ختم جل و عز السورة بالرد على من انكر الاعادة و الذى أورده من أقوى ما يورد فى ذلك و هو انه إذا ابتدأ الحى و صح منه ذلك و هو عالم لذاته صح أن يعيده إذا أفناه لان حال المعاد فى صحة وجوده لا تغير حال القديم تعالى فى صحة إيجاد ما يقدر عليه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۳

سورة الصافات

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ) كيف يصح ذلك و الكواكب لا اتصال لها بسماء الدنيا لأنها جارية فى أفلاكها؟ و جوابنا أنها فى المنظر كذلك فصحّ أن يصفها تعالى بهذا الوصف و كل ما علا يوصف بأنه سماء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ) و أنه قد قرئ بالضم و ذلك يوجب جواز التعجب على اللّه تعالى. و جوابنا أن المراد قل يا محمد بل عجبت و يسخرون فيكون فيه هذا الحذف و يحتمل أن يكون المراد استكثاره تعالى لذلك الامر فأجرى هذا اللفظ عليه مجازا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) كيف يصح ذلك على الأنبياء و عندكم ان أحكام النجوم باطلة؟ و جوابنا أنه ليس فى الظاهر أنه أراد أحكام النجوم فيحتمل أنه نظر فى نفس النجوم و يحتمل أنه أراه نجوما كان تعالى قد جعلها علامة له فيما يريد معرفته أو كانت علامة لهم فيما كانوا ينظرون فيه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله جل و عز (إِنِّي سَقِيمٌ) كيف يصح على الانبياء الكذب؟ و جوابنا أنه يجوز فى حال ما قال هذا القول أنه أصابه

بعض العلل فقال ذلك و يحتمل أنه يريد سأسقم كقوله تعالى (إِنَّکَ مَيِّتٌ) أى ستموت و كقوله (إِنِّى أَرانِى أَعْصِرُ خَمْراً).

تنزيه القرآن (۲۳)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۴

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ) أ ليس فى ذلك تصريح بخلق أعمال العباد؟ و جوابنا ان المراد و اللّه خلقكم و ما تعملون من الأصنام فالاصنام من خلق اللّه و انما عملهم نحتها و تسويتها و لم يكن الكلام فى ذلك فانه صلّى اللّه عليه و سلم أنكر عبادتهم فقال أ تعبدون ما تنحتون و ذلك الذى تنحتون، اللّه خلقه و لا يصح لما أورده عليهم معنى إلا على هذا الوجه و ذلك فى اللغة ظاهر لأنه يقال فى النّجار عمل السرير و ان كان عمله قد تقضى و عمل الباب و نظير ذلك قوله تعالى فى عصا موسى (فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ) المراد ما وقع أفكهم فيه فعلى هذا الوجه نتأول هذه الآية و معنى قوله من بعد (وَ قالَ إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أَرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُکَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى و قوله من بعد (فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا) و قوله من بعد (وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) سؤالات منها ما رآه فى المنام كيف يلزمه و الانبياء إنما تعمل على الوحى و منها أنه كان يجعل ذلك كالأمر و كيف يصح أن يأمره بذبحه ثمّ يزول ذلك و هل هذا إلا كالبداء و منها أنه كان الفداء بذبح فكيف يصح من غير جنس ما جعل فدية له؟ و جوابنا أن رؤيا إبراهيم فى المنام يجب أن تكون قد تقررت بما يعلم به أن ذلك بالوحى و لولاه لما قال (فَانْظُرْ ما ذا تَرى و لما أخذ فى ذبحه فإنه إن يفعل فقد مات الذبيح مع شدة إشفاقه على ولده و لذلك قال ولده (افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) فلولا علمهما أن هذا أمر من اللّه لم يصح فأما هذا عندنا فهو أمر بمقدمات الذبح و عظم ذلك عليه لظنه أنه سيؤمر باتمام الذبح لأن العادة جارية بأن الإضجاع و أخذ الآلة لا غرض فيه إلا الذبح فعلى هذا الوجه فعل ما أمر و ما ظنه لم يؤمر به فلا يؤدى إلى البداء

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۵

و قد قيل أنه فعل الذبح لكنه عز و جل كان صرفه عن موضع الذبح و كان تعالى يلهمه فعل ما يفعله الذابح و بقى الذبيح حيا لما فعله اللّه تعالى و قيل غير ذلك فأما الذبح الذى أمره اللّه بان يفدى به فذلك صحيح و إن لم يؤمر بالذبح و يكون فداء عما لو أمر به لفعله و لا يجب فى الفداء أن يكون من جنس ما يجعل فداء منه و لذلك يصح فى الشاة أن يكون ذبحها فداء عن حلق الشعر فى المحرم إلى غير ذلك و قوله عز و جل من بعده (وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) بعد ذكر الامر بالذبح يدل على ان الذبيح هو إسماعيل على ما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال أنا ابن الذبيحين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً) كيف يصح ذلك و لا احد يجعل بين اللّه و بين الجنة نسبا؟ و جوابنا انه يحتمل ان يريد الملائكة و قد تقدم ذكرهم لانهم لا يرون كالجن و قد كانوا يقولون فى الملائكة انها بنات اللّه. تعالى اللّه عن ذلك و يحتمل أنهم عبدوا الجن كما عبدوا اللّه بأن اطاعوهم و يبين ذلك قوله (وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) أى فى العقاب.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) كيف يصح ذلك و منهم من غلب و قتل؟ و جوابنا ان النصرة ربما تعتبر فيها العاقبة فمن عاقبته محمودة فهو منصور على من غلبه و عاقبته ذميمة فالنصرة أبدا تكون للمطيعين خصوصا و لهم نصرة بالحجة و الادلة و غيرهما.

[مسألة]

و ربما قيل فيما تقدم من قصة يونس صلّى اللّه عليه و سلم (وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) كيف يصح ذلك و ظاهره الشك فى هذا العدد و فى الزيادة؟ و جوابنا ان المراد به و يزيدون أو بل يزيدون على ما روى عن المفسرين و قد يجوز أن يزيد فى منظر عيون من يشاهدهم من دونه ما اللّه تعالى يعلم عددهم مفصلا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۷

سورة ص

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ) إن فى هذه الآيات مطاعن منها تسورهم عليه و هم خصمان كيف يصح و منها انه جمع بقوله تسوروا و ثنّى بقوله خصمان و بقوله (إِنَّ هذا أَخِي) و بقوله (لَقَدْ ظَلَمَكَ) و منها ان فى الخبر ان ذلك ورد فى قصة اوريا و رغبة داود فى امرأة أوريا و انه عليه السلام عرضه للقتل رغبة فيها إلى غير ذلك مما يذكره الجهّال. و جوابنا ان الصحيح إن كانت تلك المرأة التى رغب فيها قد صارت أيّما بلا زوج فخطبها و كان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت اليه و لم يفتش عن ذلك فصار ذلك ذنبا صغيرا و على هذا الوجه نهى صلّى اللّه عليه و سلم ان يخطب المرء على خطبة اخيه و يدل على ذلك قوله (وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ) فنبه بذلك على ما ذكرناه و الذى يرويه من لا معرفة له بأحوال الانبياء صلّى اللّه عليهم و سلم لا معتبر به فاللّه تعالى لا يبعث إلا من هو منزّه عن هذه المعاصى حتى انهم لا يقدمون لا على كبيرة و لا على صغيرة يعرفونها قبيحة و إنما عاتبه اللّه تعالى و نبهه من حيث صار غافلا عن خطبة متقدمة كان يمكنه أن يفتش عنها فلا يقدم على الخطبة بعد تلك الخطبة. فأما التّسوّر فإنه غير قبيح من الملائكة فى زمن الانبياء ليكون ما يؤدونه أقرب الى التحريك و التنبيه و أما التثنية و الجمع فيجوز فى اللغة فى هذا المكان فان قوله خصمان يدل على اثنين و قد يذكر ذلك و يراد أكثر بأن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۸

يكون مع المتداعيين غيرهما و إنما وصفا بذلك من حيث تصورا بصورة الخصمين كيما ينبها داود عليه السلام. فان قيل كيف قال (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ) و لم يعلم صحة ما ادّعى. و جوابنا أنه لا بد من أن يكون فى الكلام حذف فكأنه قال إن كنت صادقا فقد ظلمك و إلا فالمعلوم أنه لا ظالم هناك و قوله تعالى (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ) يدل على ان ذنب داود ليس إلا ما قلناه من أنه رغب فى ضم هذه المخطوبة إلى نسائه على الوجه الذى ذكرناه و قوله تعالى (فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ) من بعد يدل على ان الذى فعله كان فى تلك الشريعة محرما و لو لا ذلك لجوزناه حلالا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) ان ذلك يدل على ان تصرفه من خلق اللّه. و جوابنا أنه إنما يدل على فوض إليه هذه الأمور فأما ما يأتيه من تصرفه فهو فعله و لذلك صار مؤاخذا بذلك الصغير الذى فعله على غفلة و لذلك صح قوله (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى لانه إن كان ما يحكم به من خلق اللّه فكيف يضاف ذلك الى الهوى و كيف يقول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ) كيف يصح ان يعزل عن النبوة و يصير على كرسيه بعض الشياطين على ما يروى فى ذلك؟ و جوابنا ان الذى يروى فى ذلك كذب عظيم و الصحيح ما روى من أنه تفكر فى كثرة نسائه و مماليكه فقال و قد آتاه اللّه من القوة إنى لأطؤهن فى ليلة واحدة فيحملن و يحصل لى من الاولاد العدد الكثير ففعل و لم تحبل الا واحدة و ألقت جسدا غير كامل الخلقة فحمل ذلك الجسد الى كرسيه فنبهه عنده على ان الذى فعله من التمنى كالذنب و انه قد كان من حقه ان ينقطع إلى اللّه تعالى فيما يرزق

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۵۹

من الأولاد قلّ أو كثر فأناب عند ذلك و تاب مما كان منه فأما أن يعزل و يؤخذ خاتم ملكه و يصير الى بعض الشياطين و يطأ ذلك الشيطان نساءه فذلك مما لا يجوز على الأنبياء و قد رفع اللّه قدرهم عن ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) كيف يصح من الانبياء أن يسألوا ذلك مع دلالته على الرغبة فى الدنيا و على ما يجرى مجرى المنافرة و الحسد؟ و جوابنا انه لا يمتنع و هو نبى ان يرغب الى اللّه عز و جل فيما يظهر به فضله و كرامته عند اللّه و ليس فى ذلك ما يشبه الحسد المذموم لانه انما يكون حاسدا اذا أراد انتقال نعيم غيره اليه. فأما إذا أراد لنفسه أعظم المنازل من اللّه تعالى ابتدا مع إرادته بقاء سائر النعم على أهلها فلا وجه ينكر فى ذلك و لذلك قال تعالى (فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ) الى سائر ما ذكر مما يدل على انه أجابه و أظهر فضله بهذه الأمور التى اختص بها ثمّ ذكر تعالى من بعد قصة أيوب صلّى اللّه عليه و سلم و انه سأل اللّه عز و جل كشف الضر عنه فأجابه اللّه الى ذلك و زاده فالذى يرويه الجهال فى قصته من كيفية البلاء إلى غير ذلك لا يصح و الذى يصح انه تعالى انزل به الأمراض و العلل و الفقر و الحاجة لما علم من المصلحة ثمّ أزال ذلك عنه بالنعم التى أفاضها عليه على ما نطق به الكتاب فأما قوله تعالى فى قصة ايوب صلّى اللّه عليه و سلم (وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ) يدل على أنه يحسن الاحتيال فى التخلص من الايمان و غيرها و قد ذكر ذلك الفقهاء فى كتبهم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۱

سورة الزمر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ) أ ليس قد نفى أنه يهدى الكافر و أنتم تقولون قد هداه كما هدى المؤمن؟ و جوابنا أن المراد لا يهديه الى الثواب فى الآخرة و قد تقدم ذكر ذلك.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) أ لیس ظاهر ذلک أنه خلق زوجها بعد أن خلقنا فکیف یصح ذلک؟ و جوابنا أن ثمّ قد تدخل فی خبر مستأنف فلا یوجب الترتیب فی نفس المخبر عنه کقوله الرجل لغیره قد عجبت مما فعلت الیوم ثمّ ما صنعته أمس أعجب و قوله من بعد (وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَةَ أَزْواجٍ) المراد به من کل جنس زوجین ذکرا و أنثی فهی و إن کانت أربعة أجناس إذا قدر فیها ما ذکرنا صارت ثمانیة و قوله تعالی من بعد (إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنْکُمْ وَ لا یَرْضی لِعِبادِهِ الْکُفْرَ) یدل علی أنه إنما یکلفنا لمنافعنا و حاجتنا و یدل علی انه تعالی لا یرید المعاصی لان الرضا یرجع فی المعنی الی الارادة فلو کان مریدا للکفر کما قاله القوم لوجب اذا وقع ان یکون راضیا به لأن المرید لا یصح أن یرید من غیره أمرا فیقع ذلک الامر علی ما أراده إلا و یجب أن یکون راضیا به و قوله تعالی من قبل (لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفی مِمَّا یَخْلُقُ ما یَشاءُ) ذکره تعالی لا علی وجه أن ذلک مما یصح ان یراد لکن علی وجه الاحالة بین به ان القادر علی

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۲

أن یخلق ما یشاء لا یجوز أن یتخذ ولدا فعلی هذا الوجه ذکر ذلک و قوله تعالی (وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ) ربما سألوا فیه و قالوا کیف أنزلها؟

و جوابنا أنه تعالی خلقها فی السماء ثمّ انزلها إلی الأرض کما خلق آدم فی السماء ثمّ اهبطه إلی الأرض.

[مسألة]

و ربما قیل ما معنی قوله (یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) و المعلوم انه خلق واحد. و جوابنا ان المراد خلق ما تتغیر به النطفة فتکون علقة الی ان یستقر الخلق التام فهذا هو المراد و قوله تعالی (وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری یدل علی ان احدا لا یؤخذ بذنب غیره فیبطل بذلک قولهم ان الطفل یعذب بکفر ابیه.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ) کیف یصح ان یکون أول المسلمین و قد تقدمه من المسلمین ما لا یحصی عدده؟

و جوابنا ان المراد و أمرت أن اکون أول المسلمین من قومی و ذلک معقول من الکلام و فی قوله تعالی (قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً) دلالة علی ان الاعمال لا یستحق بها الثواب الا علی هذا الوجه و قوله (قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ) یدل علی ان النبوة لا تمنع من هذا الخوف فکیف یمنع منه ان یکون المرء من أولاد الانبیاء کما یقوله بعض العامة من الامامیة حتی یزعمون أنّ من ولد من فاطمة علیها السلام قد حرّم اللّه تعالی النار علیه و قوله تعالی من بعد (فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) هو علی وجه الزجر و التهدید لا انه أمر فی الحقیقة و قوله تعالی من بعد (أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَیْهِ کَلِمَةُ الْعَذابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النَّارِ) یدل علی ان الوعید الوارد عن اللّه تعالی واجب لا یجوز خلافه و اذا لم یجز أن ینقذ الرسول من النار فکیف یصح ما یقوله القوم من انه صلّی اللّه علیه و سلم بشفاعته یخرج الکثیر من أهل النار؟

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۳

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ) انه یدل علی أن الاسلام من قبله تعالی. و جوابنا ان شرح الصدر بالاسلام

غير الاسلام فلا يدل على ما قالوه و انما المراد بذلك أنه تعالى يورد عليه من الطاقة ما يدعوه الى الثبات على الاسلام كما ذكرنا فى قوله (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ) و قوله (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) و هو القرآن فيدل على انه محدث من حيث أنزله و من حيث سماه حديثا و من حيث وصفه بانه متشابه و ما هو قديم لا يصح ذلك فيه و قوله (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يدل أيضا على حدوثه و قوله (ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ) يدل أيضا على ذلك و قوله (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) المراد من يضلل اللّه عن طريق الجنة الى النار كما قدمناه من قبل و قوله (قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) يدل على حدوثه و على انه حدث بعد لغة العرب ليصح أن يوصف بانه عربى و قوله (وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) لا يدل على ما قالوه لان المراد و من يضلل عن طريق الجنة الى النار فما له من هاد اليها و من يهده الى الجنة فما له مضل على ما تقدم ذكره و قوله من بعد (فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها) يدل على ما قدمنا ذكره من ان الاهتداء يضاف الى اللّه تعالى دون الضلال و ان كانا جميعا من فعل العبد.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) انه يدل على أنه لا مؤمن الا و يغفر له اللّه تعالى و ان ارتكب الكبائر.

و جوابنا ان المراد انه يغفر ذلك بالتوبة بدلالة قوله (وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ) و الآية فى الكفار وردت فلا شبهة فى أنهم من أهل النار و يدل على ذلك قوله (وَ أَسْلِمُوا لَهُ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۴

و قوله من بعد (بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ) و قوله تعالى من بعد (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) مما روى فيه عن الحسن البصرى رحمه اللّه أنه قال ما ورد ذلك الا فيمن كذب على اللّه بان أضاف الكفر اليه و زعم أن خلقه و أراده و كذلك سائر المعاصى و قوله من بعد (وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) يدل على أن المتقين فى الآخرة لا ينالهم من أهوالها كما يظنه بعض من خالفنا فى ذلك و قوله من بعد (اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) قد تقدم معنى الاضافة و أن المراد به الأجسام التى قدرها اللّه تعالى الى سائر ما يتصل بها دون أفعال العباد و إذا كان اللّه تعالى تمدّح بانه خالق كل شىء فكيف يدخل فيه الكفر و الكذب و الفواحش مع أن خلق ذلك الى الذم أقرب و قوله تعالى (وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ) أحد ما يدل على قولنا لأنه تعالى لو كان خالقنا للكفر فيهم لكانت الحجة لهم بأن يقولوا و ما ذا ينفع مجىء الرسل الينا مع ان اللّه تعالى خلق الكفر فينا و أراده و قضاه و قدره.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۵

سورة غافر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) كيف يصح ذلك و قد يجادل فيها المؤمنون؟ و جوابنا أن المراد المجادلة الباطلة فى آيات اللّه و لذلك ذمهم بذلك فهو كقوله (وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) كيف يصح مع عظم العرش و انه لا خلق أعظم منه أن يكونوا حاملين له و لئن جاز ذلك فما الذى يمكن فى نفس الأرض ان تحمله الملائكة؟ و جوابنا أن العرش فى السماء فى أنه مكان لعبادة الملائكة كالبيت الحرام فى الأرض و لذلك قال تعالى (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) حواليه و لا يمتنع مع ذلك أن يكونوا حاملين له اذا كان اللّه تعالى قد عظم خلقتهم و قواهم على ذلك. إما فى كل حال و إما فى بعض الأحوال.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ) أن ذلك يدل على ان السيئات ليست من فعلهم. و جوابنا ان هذه المسألة من الملائكة لاهل الآخرة فالمراد بذلك ان يقيهم جزاء السيئات و هو العقاب و الا فنفس السيئات من فعلهم فى دار الدنيا و ليست الآخرة مما يقع تكليف فتقع هذه المسألة من الملائكة للمؤمنين و لذلك قال تعالى بعده (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۶

فَتَكْفُرُونَ قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) و لو لم يصح عذاب القبر لكانت الاماتة مرة واحدة و قولهم (فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا) يدل على ان الذنوب من قبلهم و لو كانت من خلق اللّه تعالى فيهم لكانوا بدلا من اعترافهم يقولون ما ذنبنا اذا خلقت فينا و لم يمكننا أن ننفك منه و قوله تعالى من بعد (رَفِيعُ الدَّرَجاتِ) فالمراد به ما يرفعه من درجات غيره فليس للشبهة بذلك تعلق.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ) كيف يصح ان يقول ذلك و قد أفنى الخلق على ما يروى فى الأخبار و لا يكون فيه فائدة و ان كان يقوله تعالى و قد أعاد الخلق فما الفائدة فيه و قد عرفوا فى الآخرة أن الملك للّه الواحد القهار؟ و جوابنا أنه تعالى يقوله و قد أعاد منبها بذلك على انه لا حكم فى الآخرة الا له و لا ملك الا له و ان الآخرة مخالفة للدنيا فانها و ان كان الملك فيها للّه لكنه قد فوّض الى الغير النظر فى ذلك و ما يرى من أنه تعالى يقوله و لا أحد و لا يصح بل القرآن يشهد بخلافه و هو قوله تعالى (لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ) ثمّ قال تعالى (لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ) فانما يقول ذلك فى ذلك اليوم و لذلك قال تعالى بعده (الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ) و المعروف للمكلفين من أهل الثواب و العقاب أن الواقع بهم هو المستحق و أنه لا ظلم هناك و أنه بخلاف أيام الدنيا التى يجرى فيها الظلم و غيره و قوله تعالى (لا ظُلْمَ الْيَوْمَ) يدل على أن العبد هو الذى يفعل المعصية و لو كان تعالى يخلقها فيه ثمّ يعذبه أبد الآبدين لكان ذلك ظلما و يدل أيضا على ان أطفال المشركين لا يعذبون لانهم لو عذبوا و لا ذنب لهم لكان العقاب من أعظم الظلم و قوله تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ) يدل على أنه تعالى ليس بجسم و إلا كان يجب فى محاسبة الخلق أن تطول كما يطول ذلك منا فإنما يكون سريع الحساب

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۷

بأن يفعل المحاسبة فى أجسام و أن يكون الكل فى حال واحد و قوله تعالى (وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) ثمّ قال تعالى من بعد (ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ) يدل على أن الشفاعة لا تكون الا للمؤمنين فتزيدهم منزلة على وجه التفضل و لو كانت الشفاعة لاهل الكبائر المصرّين لم يصح هذا الظاهر و قوله تعالى من بعد (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) يدل على أن الذى لأجله حسن منه أن يعاقبهم أن الرسل جاءتهم بالبينات و مع ذلك اختاروا الكفر و لو كان تعالى خلق ذلك فيهم لكان مجىء مرسل اليهم و أن لا يجيئوا اليهم سواء.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) كيف يصح ان يكون كاتما لإيمانه مع أنه حكى عنه (وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ) ثمّ قال (وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ) و لو كان مظهرا لإيمانه لم يزد على ذلك. و جوابنا أنه يحتمل في الاول أن يكون كاتما لإيمانه ثمّ من بعد لما جربهم و سلم منهم أظهره و ذلك لا يستحيل و يحتمل ان يكون معرضا بتلك اللغة و حكى اللّه عنه على حسب مراده فيكون بالعربية تصريحا و ان كان بتلك اللغة تعريضا.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ) كيف يصح ذلك منهم مع علمهم بأنه لا يخفف البتة؟ و جوابنا أن مثل ذلك لا يقع من الممتحن على وجه الاستعانة بالغير و الاسترواح الى هذا القول و ان علم ان ذلك لا يتم. و قد قيل ان ذلك يحسن في الآخرة لقوله تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۸

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) كيف يصح ذلك و انما كان هذا القتل في حال ولادة موسى لا في هذه الحال؟ و جوابنا أنه في تلك الحال كان يأمر بقتل الاولاد لمّا ظهر في الاخبار أنه سيكون هناك من يغلبه من الانبياء و في هذه الحال أمر أيضا بهذا القتل لئلا يكثر أتباع موسى فهما حالان مختلفان فأما قوله تعالى من بعد (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) و قوله تعالى (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا) يدل على أن الايمان فعل للعبد و أنه اذا فعله طوعا ينتفع به و اذا فعله على وجه الالجاء لا ينتفع به و لو كان خلقا للّه لم يصح ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۶۹

سورة فصلت

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ) كيف يصح ذلك مع التكليف؟ و جوابنا ان ذلك حكاية تشددهم في الامتناع من القبول لا انهم بهذا الوصف و لذلك ذمهم و زجرهم بقوله تعالى (فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ) و قوله تعالى من بعد (كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَ نَذِيراً) يدل على أن القرآن محدث من جهات و قوله تعالى (وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ) يدل على ان كفرهم لا يمنع من وجوب الصلاة و الزكاة عليهم و إن كان فعلهم إنما يصح بأن يقدموا الايمان.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) ثمّ قال (وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) فتلك ستة ثمّ قال (فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ) فصارت ثمانية كيف يصح ذلك مع قوله تعالى في غير موضع (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي

سِتَّةِ أَيّام) و تلك مناقضة ظاهرة؟

و جوابنا أن قوله (وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها) تنزيه القرآن (۲۴)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۰

(وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيّام) المراد به مع اليومين المتقدمين فلا يكون ذلك مخالفا للآيات الأخر و قد يقول المرء لولده أ ليس علمتك القرآن فى سنة و فقّهتك فى الدّين فى سنتين يعنى مع التى تقدمت فأما قوله تعالى من بعد (ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ) فالمراد به قصد خلق السماء فالاستواء فى الحقيقة لا يصح على اللّه تعالى و قوله تعالى (فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ) فالمراد أنه أراد منهما الانقياد لما يريده فاستجابا و ذلك كقوله تعالى (إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) و المراد أن تكون و قد يقول القائل أردت كذا و كذا فقالت نفسى لا تفعل و قد يقال أتت السحاب فأمطرت قال الشاعر: امتلأ الحوض و قال قطنى. و ذلك كقوله تعالى (جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) و كل ذلك ظاهر فى اللغة و إنما يلتبس على من يقل تأمله و قوله تعالى (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى يدل على انه تعالى قد هداهم بأن دلهم و بين لهم و أنهم لما لم يقبلوا لم يهتدوا فالاهتداء فعلهم و الهدى من قبل اللّه تعالى لا- كما يقول من خالفنا فى ذلك و زعم ان الهدى هو الايمان و قوله تعالى (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ) فالمراد به الردع عن المعاصى لأنه إذا فعلها بهذه الجوارح شهدت عليه فى الآخرة و قد ذكرنا من قبل أن هذه الشهادة من فعل اللّه تعالى فيها و قوله تعالى (قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فالمراد به ما ذكرنا من أنه فعل فيها ما صورته صورة الشهادة و قوله تعالى (وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ) فالمراد به ما كنتم تظنون ذلك و لذلك قال تعالى (وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ) و قوله تعالى من بعد (وَ قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ) فالمراد به التخلية فلما لم يمنعهم من ذلك جاز أن ينسبه الى نفسه و ذلك كقوله تعالى (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۱

و كقول القائل لغيره قد أرسلت كلبك على الناس إذا لم يطرده عن بابه و قوله تعالى من بعد (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ) يدل على أنه لا- بد مع التوحيد من الاستقامة فى الأفعال و الأحوال حتى يصير المرء من أهل الثواب و قوله تعالى من بعد (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً) يدل على أن من أعظم الأعمال الدعاء و يدل على أنه إذا لم يقترن به العمل الصالح لم ينتفع به. فان قيل فقد قال (وَ قالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) و انتم تمنعون ذلك؟

و جوابنا أن المراد من المنقادين للحق و ذلك أوجب عندنا و قوله من بعد (وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا) يدل على أنه تعالى فعله فجعله عربيا و كان يجوز أن تجعله أعجميا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۳

سورة الشورى

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) كيف يصح ذلك مع قوله تعالى (وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)؟ و جوابنا ان المراد و يستغفرون لاهل الارض الذين هم المؤمنون لا لأهل السماء لأن أهل الأرض هم المحتاجون الى الاستغفار و يحتمل أن يكون المراد و يستغفرون لأهل الأرض لإزالة عذاب الاستئصال عنهم و الأول أقوى لأن إحدى الآيتين يجب أن تبنى على الاخرى كما يبنى المجمل على المفسر.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ) و هو يوم القيامة كيف يصح ان ينذر يوم القيامة و التكليف منقطع؟ و جوابنا ان المراد ينذرهم ما يلقون يوم الجمع و هم يخافون فحال الانذار هو حال التكليف و لذلك قال تعالى (لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) فبين وجه التخويف فى ذلك و قوله تعالى (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً) المراد ان يلجئهم الى الايمان لكنه لم يشأ الا على وجه الاختيار تعريضا للمثوبة و قوله تعالى من بعد (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ربما قالوا فيه أن ظاهره يتناقض لانه يقتضى ان لمثله مثلا و لو كان كذلك لما صح النفى لانه يقتضى الاثبات. و جوابنا ان ذلك و إن كان مجازا فهو مؤكد للحقيقة على ما جرت به عادة العرب و هو أوكد من قول القائل ليس مثله شىء و قوله تعالى من بعد (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۴

إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) فالمراد به أنه شرع لكل الانبياء أن يقيموا الدين فيما يتصل بالاعتقاد و التوحيد لان ذلك مما لا يقع بينهم فيه خلاف فأما الشرائع المختلفة فلكل منهم دين و ما هو دين أحدهم بمنزلة ما هو دين غيره لأنه دين لهم مضاف اليهم و لذلك قال بعده (وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) فنبه بذلك على ما ذكرنا و قوله (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) المراد به و يهدى الى رضوانه و ثوابه من ينيب فلا تعلق للمخالفين بذلك و قوله تعالى (وَ ما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ) ربما سألوا فيه و قالوا كيف يؤدى علمهم الى التفرق؟ و جوابنا انه تعالى أراد بالعلم البيان و أنهم تفرقوا بعد البيان و بعد قيام الحجة و يحتمل ان يكون المراد تفرقوا بعد العلم على وجه البغى كما ذكره تعالى و المراد المبطلون دون المحقّون.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ) كيف يصح أن لا يكون له عليهم حجة؟ و جوابنا ان المراد إنا قد بالغنا فى إقامة الحجة حتى لم تبق باقية فلا حجة بيننا و بينكم و هذا على وجه التوبيخ و إلا فمعلوم من دين الرسول صلّى اللّه عليه و سلم أنه كان لا يعذر القوم بل له الحجة العظيمة عليهم و لذلك قال بعده (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) و قال تعالى بعده فيمن يحاج فى اللّه من المبطلين (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) و لا يجوز ذلك الا و حجة المحقين ثابتة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ) كيف يصح القول بأنه أنزل الميزان و هو أمر يتولى فعله الناس؟ و جوابنا ان المراد أنه انزل الكتاب بالحق و انزل التمسك بالميزان فى باب المعاملات و قد قيل انه فى الابتداء أنزله اللّه تعالى و عرفهم كيف يتعاملون

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۵

و قد قيل ان المراد بالميزان العدل نفسه و قوله تعالى من بعد (وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) أحد ما يرغب فى التوبة و يخوف من تركها و ذلك لطف عظيم للمكلفين.

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح قوله (وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) و معلوم ان فيمن يريد حرث الدنيا

من له نصيب فى الآخرة. و جوابنا ان المراد من كانت إرادته مقصورة على حرث الدنيا لأن من هذا سبيله لا نصيب له فى الآخرة و بين تعالى أنه لا يبخل عليه بما أراده من أمر الدنيا و ان كانت هذه حاله و قوله من بعد (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ) أحد ما يدل على أن من لم يتب من الظلمة سيعاقب لا محالة. ثمّ ذكر تعالى من بعد رحمته فقال (وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ) و قوله تعالى من بعد (وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ) يدل على انه لا يفعل إلا ما يبعث على الطاعة و العبادة فلذلك قال (وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ) و قوله تعالى من بعد (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) فالمراد به الجزاء على السيئة و ذلك مجاز مشهور فى اللغة و لذلك قال تعالى بعده (فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) و المراد بذلك من عفا عن السيئة و لم يقابل بمثلها و لا كافأ عليها و لذلك قال بعده (وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) فبيّن أنه إذا انتصر و قد ظلم فلا سبيل عليه و لو كان ما فعله سيئة لما صح ذلك و لذلك قال بعده (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) و بعث تعالى على الصبر فقال (وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) و قوله تعالى (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) المراد من يضلله بالعقوبة و بالصرف عن الثواب فلا ولى له

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۶

لأنه لا ناصر له و هذه حاله و لذلك قال بعده (وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) فيتمنّون الرجعة لكى يؤمنوا و عند ذلك بين اللّه عز و جل أن المؤمنين يقولون (إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) اذا عاينوا ما أنزل بهؤلاء الظالمين و لذلك قال بعده (أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذابٍ مُقِيمٍ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) و قوله تعالى من بعد (وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) أحد ما يذكر فى ان الرؤية على اللّه تعالى لا تجوز و إلا فقد كان أصح انه يكلم البشر على غير هذه الوجوه و ربما قالوا فى ذلك ما معنى قوله (إِلَّا وَحْياً) و هل معناه غير ما ذكر فى قوله (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) و ما معنى (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) و الحجاب على اللّه تعالى لا يجوز. و جوابنا عن الاول أن المراد على وجه الخاطر و الالهام و قد يوصف ذلك بأنه وحى من اللّه. و عن الثانى بأن الحجاب فى نفس الكلام يصح و ان كان على اللّه تعالى لا يصح و قوله تعالى من بعد (وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ) أحد ما يدل على انه من قبل النبوة لم يكن مكلفا بشريعة ابراهيم و لا غيره و لا كان يعرف الايمان و قوله تعالى من بعد (يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) المراد به من يكلفهم دون غيرهم فلا يدل على انه تعالى هدى بعض المكلفين دون بعض و لذلك قال بعده (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) و معلوم أنه هدى كل المكلفين.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۷

سورة الزخرف

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا) كيف يصح فى القرآن ذلك و انما أنزله على الرسول صلّى اللّه عليه و سلم؟ و جوابنا ان المراد انه كتبه فى اللوح المحفوظ على الوجه الذى تعرفه الملائكة ثمّ حصل الانزال الى السماء الدنيا فى ليلة مباركة كما ذكره تعالى ثمّ حصل الانزال حالا بعد حال بحسب الحاجة إلى الاحكام و القصص و فى كل ذلك مصلحة فاما فى الأول فالملائكة يعرفون به ما يدعوهم الى طاعته و يعرفون به أنه من عالم الغيب لأنه تعالى ذكر عند إثبات القرآن فى اللوح المحفوظ ما سيكون من حاله و حال الرسول صلّى اللّه عليه و سلم من المصالح المعروفة فلا تناقض فى ذلك و قوله تعالى من قبل (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) أحد ما يدل على حدوثه من وجوه و قد بينها من قبل.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ) كيف يصح ذلك و فى الانبياء من قبلوا منه و عظموه؟ و جوابنا ان المراد بذلك من دخل تحت قوله (وَ كَمْ أَرْسَلْنا) و ذلك لا يعم جميع المرسلين و لذلك قال بعده (فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۸
عَلى ظُهُورِهِ) كيف يصح بعد ذكر الانعام ان يقول على ظهوره و لا يقول على ظهورها؟ و جوابنا ان ذلك يرجع الى لفظة ما فقد يصح ان يفرد ما يرجع اليه كما يصح ان يجمع و هذا كما نقوله فى لفظة من أنها تارة يجمع ما يرجع اليها و تارة يوحد و فى قوله (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا) دلالة على ما يلزم العبد من الشكر عند كل نعمة دقت أو جلت ثمّ قبح تعالى ما قاله بعض العرب من أن الملائكة بنات اللّه تعالى و بيّن أن ضربهم المثل للّه تعالى بما يعدونه نقصا من عجائب كفرهم فقال (وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ) و بين بقوله (أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ) ان كل قول لا علم معه بصحته يصير وبالا و قوله من بعد (وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ) يدل على انه تعالى لا يشاء عبادة غيره و لو لا ذلك لما قال (ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) و قبح التقليد بقوله (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ) ثمّ قال (وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) و قال بعد ذلك (قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ) و هذا هو الذى يبطل التقليد و يعلم أن الواجب اتباع الهدى و الدلالة و قوله تعالى من بعد (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ) أحد ما يدل على أنه تعالى لا يخلق الكفر و لا يدعو إليه لأنه إن كان هو الخالق له فلا فائدة فى هذا و انما يكون له فائدة إذا كان الكلام مع المختار للكفر فعند هذا الضرب من النعم يختار ما لولاها كان لا يختاره ثمّ بين تعالى أن كل ذلك متاع الدنيا و أن الآخرة عند اللّه للمتقين و الاتقاء معناه أن لا يتخذوا زخرفا فى الدنيا من المعصية فيترك المعصية و يتقى النار و ذلك لا يصح الا و هم المختارون لذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۷۹
الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) كيف يصح ان يكون تعالى يمنع من اتباع الشيطان و يقيضه للعبد؟ و جوابنا أن المراد من يعش عن ذكر الرحمن فى الدنيا نقيض له شيطانا فى الآخرة فيصير قرينه كما ذكره اللّه تعالى فى غير موضع و لو لا هذا التأويل لحملناه على معنى التخلية كما تأولنا عليه قوله تعالى (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) و لذلك قال بعد (حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) و لذلك قال بعده (وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ) و كل ذلك يبين صحة ما تأولنا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ) ما فائدة هذا الكلام و كيف ينتفعون بالاشتراك

فى العقـاب؟ و جوابنـا أن المراد أن كـل ممتحن فى دار الـدنيا إذا انفرد بالمحنـهٔ تكون محنته أثقـل و أعظم و أغلـظ منهـا إذا كان له شركاء فيها فبين اللّه تعالى أن هـذا القدر من الروح و الخفهٔ لا يحصل فى الآخرهٔ لأهل العذاب إذا اشتركوا فيه و قوله تعالى من بعد (أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِی الْعُمْیَ) أحد ما یدل على أنه تعالى یذکر مثل هذا الوصف فيمن يمتنع من الإصغاء و القبول على ما تأولناه من قبل.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قالُوا یا أَیُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ) كيف يصح أن يصفوه بأنه ساحر و يسألوه أن يدعو ربه و ذلک متناقض؟ و جوابنا أن المراد أنهم قالوا بحسب اعتقادهم و قالوا إن لم تكن كذلک على ما نعتقده فادع لنا ربک و قد قيل إن هـذه اللفظـهٔ تسـتعمل فى اللغهٔ فيمن يعتقد فيه التقدم فى معرفهٔ الأمور فعلى هذا الوجه قالوا و معنى قوله تعالى (فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ) أغضبونا فالأسف فى الحقيقهٔ لا يجوز إلا على من يجوز عليه الحزن و الغم و قد قيل ان المراد آسفوا رسلنا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۰

[مسألهٔ]

و ربمـا قيل فى قوله تعالى (وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْکُمْ مَلائِکَهًٔ فِی الْأَرْضِ یَخْلُفُونَ) كيف يصـح أن يجعل من الناس ملائكـهٔ؟ و جوابنا أن المراد بقوله (مِنْکُمْ) ليس ما ذكرته بل المراد ان ينزل الملائكهٔ بحيث يرون فى جملتهم فيكونون منهم بين اللّه تعالى بذلک أن عيسى و أن فـارق حـاله فى كونه لا ـ من أب حـالهم فليس ذلـک ببعيـد عنـد اللّه تعالى كما لا يبعـد أن يجعل مع الناس ملائكـهٔ و اللّه تعالى أنشأهم بلا ولادهٔ.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَهِٔ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها) ما المراد بذلک؟ و جوابنا أنه قد ظهر فى الأخبار نزول عيسـى عليه السلام عند الساعهٔ و أن اللّه تعالى جعله دلالهٔ للساعهٔ فلذلک قال تعالى (فَلا تَمْتَرُنَّ بِها) لأن العلم و الدلالهٔ تمنعان من المريهٔ و قوله تعالى من بعد (الْأَخِلَّاءُ یَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِینَ) يدل على أنهم فى الآخرهٔ بخلاف ما هم فى الدنيا ففى الدنيا يحبّ بعضهم بعضا و فى الآخرهٔ يغلّظ اللّه قلب بعضـهم على بعض و يكون ذلک زائدا فى غمومهم و قوله تعالى من بعد (یا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) يدل على ان المتقين لا تلحقهم أهوال الآخرهٔ و تعلق بعضـهم فى ان اللّه تعالى يرى لجهله بقوله تعالى (وَ فِیها ما تَشْتَهِیهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْیُنُ) و زعم ان من أعظم لـذات العين رؤيـهٔ اللّه تعالى و هـذا جهل عظيم لأن الواجب ان يثبت أولا أنه يرى ثمّ يقول ذلـک كما لو قال قائل إنه داخل تحت قوله تعالى (وَ فِیها ما تَشْتَهِیهِ الْأَنْفُسُ) بالمعانقـهٔ و الملامسـهٔ لكان إنما يبطل بأن يقال يجب ان تثبت أولا أنه جسم يصـح ذلک عليه ثمّ تقول هـذا القول و قوله تعالى من بعـد (إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ) يدل على أن غير الكفار من المجرمين هذا وصفهم.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَمْ یَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ بَلی وَ رُسُلُنا لَدَیْهِمْ یَکْتُبُونَ) كيف يصح

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۱

أن يكتبوا السر و هم لا يعلمونه؟ و جوابنا أنه تعالى يعرف الحفظهٔ ما يفعله العبد بأمور من قبله فتكتبه إذا كان ذلک مما لا يشاهد فهذا

الوجه وجه الكلام.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ) كيف يصح أن يكون أوّل عابد لمن له ولد؟
و جوابنا ان المراد فأنا أول الآنفين من عبادة من هذا حاله و قد ذكر عن الفرزدق أنه قال:
و اعبـد أن يهجى كليب بـدارم. و أراد به الآنفـة و يحتمل أن يريـد بـذلك تبعيد أن يكون له ولد لأن عبادته له تمنع من ذلك و قوله تعالى (وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ) يـدل على أنه يجوز عليه المكان و أنه يدبر الاماكن و لو كان على العرش كما قالوا لم يصح ذلك.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۳

سورة الدخان

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) كيف يصح ذلك و انما أنزله فى المدة الطويلة حالا بعد حال؟
و جوابنا أنه أنزله الى السماء الدنيا فى ليلة مباركة على ما تقدم ذكره و لذلك قال (فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) لأنه تعالى أمر فى تلك الليلة بأن الملائكة ينزلون القرآن حالا بعد حال بحسب الحاجة اليه و المصلحة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) ما المراد بذلك و كيف يرتقب ما لا يوجد فى الدنيا؟
و جوابنا أنه يحتمل ان يريـد فارتقب ذلك للكفار و العصاة على وجه الردع لهم و يحتمل أن يكون هـذا الدخان أحد المعجزات كما روى عن ابن مسـعود فى انشـقاق القمر و قوله تعالى من بعد (وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) المراد به امتحناهم و كلفناهم و ليس المراد انا خلقنا الكفر فيهم كما يزعمه بعضهم و لذلك قال تعالى (وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ) كيف يصح أن يخوف تعالى بشجرة الزقوم و هى لا تعرف؟ و جوابنا أنه اذا وصف حالها صح التخويف بها و لذلك قال تعالى (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) و قوله تعالى من بعد (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۴
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) المراد به ذق العذاب إنك أنت الموصوف بذلك فى الدنيا و لذلك قال تعالى بعده (إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى كيف يصح استثناء الموتة الاولى من حالهم فى الجنة؟
و جوابنا أن المراد توكيد نفى الموت عنهم بذكر ما عرفوه من الموتة الاولى فالمراد سوى الموتة الاولى التى عرفوها.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۵

سورة الجاثية

[مسألة]

إن اللّه جل و عز جمع بقوله تعالى (إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بيّن كل الأدلة على اللّه تعالى لانها إما بالنظر فى الاجسام فيعلم أنها محدثة من حيث لا تنفك عن المحدثات و يعلم ان فاعلها مخالف لها و إما بالنظر فى أنفسنا بتجدد أحوالها على من برأها و إما بالنظر فى سائر الدواب و الحيوان فيعلم بتغير أحوالها المدبر لها و لا دليل على اللّه تعالى إلا و قد دخل تحت ما ذكرناه و لكنه تعالى أراد ذلك أيضا بذكر اختلاف الليل و النهار و ما أنزل اللّه من السماء من رزق و تصريف الرياح ثمّ قال فى آخره (تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ) فبيّن أن العدول عنها الى سائر الاحاديث ترك لما يجب من النظر ثمّ قال تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) و توعد على ترك هذه الطريقة فقال تعالى (يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) و كل ذلك بعث من اللّه تعالى على النظر و التذكر فى هذه الأدلة و فى هذه النعم ليقوم بشكرها ثمّ قال من بعد محققا لما ذكرنا (هذا هُدىً وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ) فأشار الى ما تقدم من الأدلة و بيّن أنها هدى و لو لا أنها هدى للكافرين لما توعدهم بالعذاب إذا عدلوا عنها ثمّ اتبعه بقوله تعالى (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) نبّه تنزيه القرآن (٢٥)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٨٦

بذلك على أن الغفران يكون من قبلهم إذا تمسكوا من طاعة اللّه بما يوجب الغفران ثمّ قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) فنبه بذلك على ان أمر الآخرة موقوف على هذين فمن عمل صالحا فله الجنة و من أساء فهو من أهل النار.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) كيف يصح أن ينهاه عما تمنع النبوّة منه. و جوابنا ان النبوة لا تمنع من القدرة على ذلك و التمكن منه و إنما لا يختاره فالنهى عن ذلك يصح و يكون أحد ما يدعو النبى إلى ترك ذلك و قوله تعالى من بعد (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً) يدل على ان الوعيد لاحق بهم و انهم من أهل العذاب لانهم لو صاروا من أهل الجنة لكان تعالى قد سوى بينهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ) كيف يصح اتخاذ الهوى إلها؟ و جوابنا أنه يطيع الهوى و يعدل عن طريقة العقل و ذلك تشبيه يحسن فى اللغة و معنى قوله تعالى (وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ) أنه أضله عن الثواب الى العقاب و معنى قوله تعالى (وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً) ما قدمناه من العلامة التى يفعلها اللّه تعالى و قد تقدم القول فى ذلك و قوله من بعد (هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من أقوى الصوارف عن المعاصى فانها اذا تفرقت على الاوقات ثمّ جمعت فى الصحيفة عظمت على من عرضت عليه و قوله تعالى من بعد (ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا) يدل على أن الأعراض عن الآيات من أعظم الذنوب و كذلك الاغترار بالدنيا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٨٧

سورة الاحقاف

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَ لا بِكُمْ) كيف يصح ان يقول صلّى اللّه عليه و سلم ذلك و هو كلام شاك فى أمره و أمرهم؟ و جوابنا أن المراد ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم فيما يوحى إلىّ فبيّن أن الوحى يأتى فى المستقبل بما لا يعلمه فى الوقت و قال تعالى بعده (وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) فبيّن انه بعد نزول الوحى ينذر و يحذر و قوله تعالى من بعد (وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى يعنى القرآن يدل على حدوثه لان ما تقدمه غيره لا يكون الا محدثا و كذلك قوله تعالى (وَ هذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا) يدل على ذلك و قوله تعالى من بعد (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) يدل على أن من هذا حاله لا تؤثر فيه أهوال الآخرة و قوله تعالى (وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) يعنى من جزاء ما عملوا لانهم يتفاضلون فى ذلك و كذلك قوله (وَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ) أى جزاء أعمالهم و قوله فى الكفار (أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِى حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) يدل على أنهم استحقوا العذاب لاستكبارهم و فسقهم على ما نقوله فى ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۸

مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) أ ليس ذلك يدل على أنه خلق حضورهم؟

و جوابنا ان قول القائل صرفت الى فلانا فلانا يريد انه فعل ما عنده حضر من الأسباب و ليس المراد أنه فعل نفس حضوره و لذلك قال تعالى (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا) فأضاف الحضور إليهم و فى الآية دلالة على أن فى الجن من آمن بالرسول و على أنهم مكلفون و فيهم مؤمن و كافر و على أنهم من أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلم و أنه صلّى اللّه عليه و سلم دعاهم كما دعا الانس فلذلك قالوا فى وصف القرآن (يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) أن ذلك يدل على أن فى الرسل من هو أولى العزم و فيهم من ليس كذلك و أنتم تنكرون هذا القول. و جوابنا أن مثل ذلك قد يذكر و يراد به الكل فالمراد بقوله (مِنَ الرُّسُلِ) تمييز أولى العزم من غيرهم دون التبعيض فلا يدل على ما ذكروه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۸۹

سورة محمد صلّى اللّه عليه و سلم

[مسألة]

و ربما قيل كيف قال تعالى (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ) و معلوم انهم فى بعض حروبهم نصروا اللّه بأن جاهدوا و مع ذلك فلم ينصرهم و لم يثبت أقدامهم؟ و جوابنا أنه لم يرد بقوله إن تنصروا اللّه بالاستقامة على الطاعة ينصركم فى الدنيا إذ يحتمل

انه يريد ان ينصركم فى الآخرة و يثبت أقدامكم على الثواب لان ذلك نصرة لهم فيجرى مجرى قوله (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) فكأنه قال إن تنصروا اللّه يجازيكم على النصرة و يحتمل أنه يريد أن الغلبة لكم على كل حال و إن غلبتم فى الظاهر لأن المغلوب إذا كان مستحقا للثواب فهو المنصور و الغالب اذا كان من أهل العقاب فهو مخذول غير منصور فان قيل فقد قال تعالى بعده (وَ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) و كيف يصح ذلك مع الوعد لهم بالنصرة؟ و جوابنا أن المراد لانتصر منهم بالاهلاك لكنه تعالى يمهلهم و ربما قالوا فى قوله تعالى (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ) كيف يجوز أن ينفى كونه مولى الكافرين و هو مولاهم و خالقهم و رازقهم؟ و جوابنا أن المراد بأنه مولى المؤمنين أنه المتولى لحفظهم و نصرتهم فى باب الدين و ذلك منفى عن الكافرين.

[مسألة]

و ربما قالوا إن قوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ) الى قوله (كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ) كيف يصح اتصال هذا الكلام بما تقدمه و انما يحسن ذلك إذا قيل أ فمن هو فى الجنة كمن هو

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٩٠

فى النار؟ و جوابنا ان معناه أ فمن كان فى الجنة التى مثلها هذا المثل و وصفها هذا الوصف كمن هو فى النار و فى الكلام حذف لما فيه الدلالة على ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ) كيف يصح أن يقول ذلك لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم و علمه به متقدم مستقر؟ و جوابنا أن المراد الثبات على هذا العلم فى المستقبل فان قيل فكيف قال (وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) و هو مغفور له. و جوابنا أن يجتهد فى التوبة من ذنبه لعظم منزلته لأن حال الانبياء فيما يقدمون عليه أعظم من حال غيرهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ) كيف يصح أن يملى لهم و الاملاء هو الابقاء و لا يصح أن يكون إبقاؤهم من قبله بل هو من قبله تعالى؟ و جوابنا أن (سَوَّلَ لَهُمْ) المراد به زين لهم المعاصى و المراد بقوله (أُمْلِي لَهُمْ) أنه غرّهم بأن بسط لهم فى الآمال و غلب فى قلبهم أنهم يبقون فيتلافون و فى السورة أدلة على مذهبنا منها قوله تعالى (وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ) فان ذلك يدل على ان الهدى قد يكون إلى الثواب لأنه بعد القتل لا يصح سواه و هو معنى قوله (وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ) أى طيبها لهم و قوله (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ) يدل على ان الضلال قد يكون الا هلاك و لذلك قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ) و منها قوله (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً) فانه يدل على أن الالطاف و الأدلة و الخواطر التى ترد على المؤمن توصف بأنها هدى و أن للمؤمنين من الحظ فى ذلك ما ليس لغيرهم و منها قوله تعالى (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) فانه يدل على وجوب النظر و على ان التدبر فعلهم فأما قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ) فالمراد بالمرض ليس هو الكفر بل هو ما لحقهم بظهور أمر

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ٣٩١

الرسول صلّى اللّه عليه و سلم من الغموم؟ و منها قوله (وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ) فذلك يدل على ان المكلف قد يبطل ثواب ما تقدم من عمله بالكبائر و الكفر لأن ابطال نفس العمل لا يصح فالمراد به جزاء العمل فأما قوله (وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ) فالمراد به حتى يقع الجهاد و قد ذكر العلم و أراد المعلوم لأن علم اللّه تعالى لا يتجدد. تعالى عن ذلك.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۳

سورة الفتح

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ) کیف یصح أن یستثنی فی خبر بشر الرسول به و ما فائدة ذلک؟ و جوابنا انه کان مع الرسول صلّی اللّه علیه و سلم من المعلوم أنه یموت فلا یقع منه الدخول فلذلک استثنی و قد قیل ان الاستثناء متعلق بالامن فکأنه قال لتدخلن المسجد الحرام و أنتم آمنون إن شاء اللّه لأن الأمن فی داخل المسجد الحرام قد یتغیر و قد قیل الفائدة أنه علّمنا کیف نخبر عن الأمور و أن نستثنی فی ذلک.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله من قبل (لِیَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ) کیف یجوز فیما لم یقع من الذنب المتأخر أن یغفره؟ و جوابنا ان المراد ما تقدم من ذنبک قبل النبوة و ما تأخر عنها و کلاهما مما یقع فیصح فیه الغفران فان قیل فما تعلق الغفران بالفتح حتی یقول تعالی فتحنا لک فتحا مبینا لیغفر لک اللّه؟ و جوابنا انه لا یمتنع فی الفتح ان یکون سببا فی طاعات عظیمة مستقبلة تؤثر فی غفران الذنب.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّ الَّذِینَ یُبایِعُونَکَ إِنَّما یُبایِعُونَ اللَّهَ یَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ) ما الفائدة فی هذا الکلام؟
و جوابنا ان المراد انه أقوی منهم و أقدر و فی ذلک زجر لهم عن نکث البیعة فأما من یزعم أن للّه تعالی یدا تبعا لهذا الظاهر فقد أبعد لأنه یلزمه إثبات ید
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۴
فوق أیدی الناس و فوق لا یستعمل الا علی وجه لم یجوزه أحد.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَیْسَ عَلَی الْأَعْمی حَرَجٌ) ان ذلک توجب أنه لا حرج علیه فی شیء. و جوابنا أنه لا حرج علیه و لا علی المریض و الأعرج فی بعض العبادات کالجهاد و غیره و هذا معقول من الکلام.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (وَ هُوَ الَّذِی کَفَّ أَیْدِیَهُمْ عَنْکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَکَّةَ) أ لیس ذلک یدل علی أنه تعالی خلق فیهم ذلک الکف؟ و جوابنا أنه لا یقال إن فلانا کفّ فلانا عن کیت و کیت إلا بأن یبعثه علی الکف و یسبب له ذلک فهذا هو المراد.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْیا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ) ما المراد بهذه الرؤیا؟ و جوابنا انه صلّی اللّه

عليه و سلم رأى كأن قائلا يقول له (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ) فحكاها اللّه تعالى كما رآها فهذا معنى الكلام نبه بذلك على أن فى الرؤيا ما يصدق و ما يكون خاطرا من قبل اللّه تعالى.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۵

سورة الحجرات

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) كيف يصح أن تنسب إلى أحدنا محبة ذلك مع كونه كارها و كيف يجوز تشبيه ذلك بأكل لحم أخيه ميتا؟ و جوابنا ان قوله تعالى (أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ) نفى للمحبة لا إثبات لها فكأنه قال كما لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكذلك حال الغيبة يجب أن يكرهها ككراهة أكل لحم الميت فأما هذا التشبيه فمن أحسن ما يضرب به المثل و ذلك لان المرء نافر النفس عن أكل لحم أخيه الميت لقبحه فبين اللّه تعالى أن غيبته تجرى فى القبح و فى أنه يجب ان ينفر عنها هذا المجرى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا) أ فليس قد ميّز بين الايمان و الاسلام؟ و جوابنا ان الاسلام فى اللغة هو الاستسلام و الانقياد و ذلك ليس باسلام فى الدين على الحقيقة و لذلك قال (وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ) و من يكون مسلما فى الحقيقة فقد دخل الايمان قلبه و لذلك قال بعده (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فبيّن تعالى أنّ الاعراب لم يكونوا كذلك بل كذبوا فى قولهم آمنا و فى السورة أدلة على ما نقول منها قوله (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۶

فبين به أن رفع الصوت بحضور الرسول يحبط سائر طاعتهم حتى يصيروا كأنهم لم يفعلوها و منها قوله (إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ) فدل بذلك على ان الفعل لا يحسن إلا مع المعرفة دون أن يتبع فى ذلك الفعل قول قائل مع الشك و منها قوله (وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ) فدل بذلك على أن فى الفسوق ما ليس بكفر و فى العصيان ما ليس بفسق و لو لا ذلك لم نميز بين الثلاثة و منها ما نجعله أصلا فى النهى عن المنكر و هو قوله (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) فأمر بالاصلاح أوّلا ثمّ قال (فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ) فأمر بالقتال ثانيا و نبه بالطرفين الذين هما الاصلاح و القتال على ما بينهما من الوسائط فان قيل فقد سمى الطائفتين مؤمنين و عندكم أنهما إذا اقتتلا لم يصح ذلك فيهما؟ فجوابنا أنه أثبتهما مؤمنين قبل البغى و القتال لان قوله (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) معناه اختاروا المقاتلة فى المستقبل و منها قوله (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ) فدل بذلك على أن الفسق يخرج فاعله من أن يكون مؤمنا و منها قوله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ) لأن ذلك يدل على أن الايمان من نعمة اللّه تعالى من حيث ألطف لنا و سهل سبيلنا إلى فعله.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۷

سورة ق

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) أن قوله (وَ الْقُرْآنِ) قسم فكيف يصح أن يقسم بالقرآن و ليس هناك شىء مقسم عليه؟ و جوابنا أن المقسم عليه قوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا) و ما بعده فأكد هذا الخبر بالقسم على عادة العرب و نبه بذلك على ما يكون ردعا عن المعاصى من حيث لا يعرفون طريق الاحتراز و من حيث يعلم ما يأتون و يذرون و حكى عن الحسن أن المراد تأخير القسم فكأنه قال (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) و القرآن يؤكد بذلك ما تعجبوا منه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ) كيف ثنّى ذلك و الامر هو لواحد؟ و جوابنا أن فى النار خزنة و لهم عدد فلا يمتنع أن يكون خطابا للاثنين و أن يكون كما جعل على المكلف فى الدنيا رقيبين فكذلك فى الآخرة يوكل به ملكين من الخزنة و قد قيل إن الواحد قد يعبر عنه بالتثنية و يكون ذلك كالتوكيد كأنه قال ألق ألق كما يؤكد المرء أمر غيره بأن يقول اضرب اضرب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ) كيف يقول ذلك و قد أطغاه و الكذب فى الآخرة لا يقع؟ و جوابنا أن المراد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۸

ما أكرهته على الطغيان و لا ألجأته إليه لكنه اختار ذلك كقوله تعالى (أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) كيف يصح مخاطبتها و هى جماد؟
و جوابنا فى ذلك ان المراد نقول لخزنة جهنم و هذا كقوله و أسأل القرية و يحتمل أن يكون المراد استجابة جهنم لما يريده اللّه من حصول أهلها فيها كقوله تعالى (قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ) و اللّه تعالى قد أخبرنا فقال (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ) فبيّن انه سينتهى الحال إلى أن يملأها بعد المحاسبة.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) و كل المكلفين لهم قلب؟ و جوابنا أن المراد لمن كان مستعملا قلبه فى التفكر و التدبر فان فيهم من ليس هذا سبيله.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ما معنى ذلك؟ و جوابنا أن المراد المعرفة و أنها قوية فى الآخرة فالشبهة زائلة فشبهت فى القوة بالحديد لأن معرفتهم فى الآخرة ضرورية و إلا فالقوم ينظرون من طرف خفى و فى السورة أدلة على ما نقول منها قوله تعالى (لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ) و لو كان الكافر ممن لم يعط قدرة الايمان و خلق الكفر فيه لكانت الحجة له فكان لا يجوز أن يقال له ذلك و منها قوله (وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) لان ذلك يدل على أن ما توعد اللّه به لا يتخلف و منها قوله تعالى

(وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) لأنه يدل على أنهم قد فعلوا ما استوجبوا به العقاب و لو لا ذلك لكان كل العقاب من باب الظلم و العبث من حيث خلق فيهم ما عاقبهم لاجله و من حيث خلقهم للكفر و من حيث خلقهم للنار فلو ابتدأهم بها لكان أقرب من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۳۹۹

أن يستدرجهم إليها و منها قوله تعالى (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَ جاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) فذلك انما يصح اذا كانت الخشية تصرفه عن الفعل و لو كان مخلوقا فيه لما صح ذلك و قوله تعالى (لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ) يدل على انه تعالى يضم الى ثوابهم التفضل و لا نمنع من أن يكون ذلك عند شفاعة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فليس لمن خالفنا فى الشفاعة أن يتعلق بذلك و قوله فى آخر السورة (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ) يحقق ما نقوله فى الوعيد و بين أن ذلك يصرف عن المعاصى فلذلك أمر اللّه جل و عز نبيه صلّى اللّه عليه و سلم أن يذكرهم به و لو كان ذلك خلقا فيهم من جهة اللّه تعالى لما صح ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۱

سورة الذاريات

[مسألة]

و ربما قالوا كيف أقسم بالذاريات التى هى الرياح و بغيرها؟

و جوابنا أنه تعالى قد بيّن مراده بقوله تعالى (فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) و بقوله تعالى (فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) و بين الرسول حيث قال من كان حالفا فليحلف باللّه فيجب إذا أن يكون المراد بكل ذلك و رب الذاريات و رب الطور و رب القرآن و هذا أحد ما يدل على ان القرآن من جملة أفعاله و أن اللّه تعالى ربه و معنى رب الذاريات أنه المالك و لا يجوز ان يملك إلا ما يفعله و يقدر عليه فجميع ما أقسم اللّه تعالى به فى أوائل السور يجب أن يحمل على هذا الوجه لكن مع ذلك فيه فائدة و هى تعريف العباد إنعامه بما ذكر كقوله تعالى (وَ الْفَجْرِ) و كقوله (وَ الضُّحى و كقوله تعالى (وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ) الى غير ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل لما ذا قال تعالى (وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ) و معلوم من رزقنا أنه فى الارض. و جوابنا أن المراد ما هو الاصل لأرزاقنا و هو الماء النازل من السماء و لولاه لما حصل ما نأكل و نشرب و نلبس الى غير ذلك و قوله تعالى (فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يدل على ان الايمان تنزيه القرآن (۲۶)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۲

و الاسلام واحد و الا كان لا يكون لمن نفى من المسلمين تعلق بمن أخرج من المؤمنين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ) أ ليس ذلك يدل على جواز الجوارح على اللّه تعالى؟ و جوابنا ان المراد به القوّة و القدرة و لو لا ذلك لوجب إثبات أيدى كثيرة له تعالى عن ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) و فى الاشياء ما لا زوج له كالجمادات و غيرها. و جوابنا أنه لا شىء الا

و قـد خلق اللّه تعالى ما يخالفه بعض المخالفـة ليـدل بـذلك على قـدرته و لتتكامل به نعمته و هـذا كالـذّكر و الأنثى و كما نعلمه فى الثمار و الفواكه و كالليل و النهار و كالحجر الصلب و الرخو من الاشياء و ذلك تنبيه من اللّه تعالى على عظم قدرته و انعامه فلذلك قـال تعـالى (لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ) فأما قوله تعالى (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) فلا يـدل على أنه تعالى فى مكان بل المراد الفرار إلى طاعته و عبادته و التخلص من عقابه فلـذلك قال تعالى (إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) فأما قوله جل و عز (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فدلالهٔ على أنه تعالى أراد من جميعهم عبادته و أنه خلقهم لذلك لا كما يقوله المخالف من أنه أراد من المؤمنين الايمان و من الكافرين الكفر و أنه خلق بعضـهم للنار و بعضهم للجنهٔ و قد بينا أن قوله تعالى (وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ) لا يعارض ذلك لان المراد ذرأناهم للعبادهٔ لكن مصـيرهم الى جهنم من حيث لم يختاروها فهـذه اللام لام العاقبهٔ كقوله عز و جل (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) و قوله من بعد (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) فالمراد به وصـفه بالاقتدار على الامور لا أن المراد اثبات قوهٔ له تعالى اللّه عن الحاجهٔ علوّا كبيرا و لو كان المراد ظاهره لوجب مع قوته أن يوصف بالمتانهٔ التى هى الصلابهٔ و ذلك من صفات الاجسام.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۳

سورهٔ الطور

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا) أن ذلك يدل على ان للّه علينا كما يقوله بعض المشبههٔ. و جوابنا أنه إن دل على ذلـك دل على عيون و ليس أقله بـأن يـدل أولى من أكثره و ليس ذلك قولا لأحـد فالمراد به أنك بمرأى منا و مسـمع و إنا نعلم تعيين أحوالك و ذكرها تعالى ليبعثه على التشدد فى الابلاغ و الصبر على كل عارض دونه.

[مسألهٔ]

و ربمـا تعلق بعض المجبرهٔ بقوله تعـالى (وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمـانٍ أَلْحَقْنـا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) و زعموا أن ذلك يـدل على أن الايمان من فعل اللّه. و جوابنا ان المراد من يبلغ من الذريـهٔ و يؤمن فبين تعالى أنه لأجل مشاركتهم لهم فى الايمان ألحقهم بهم و بين ذلك قوله (وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) و العامل لا يكون الا مكلفا و قوله تعالى من بعد (كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ) يدل على أن احدا لا يؤخذ بكسب غيره فيبطل قول من خالفنا و زعم أن أطفال المشركين يؤخذون بذنب آبائهم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۵

سورهٔ النجم

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى أن ذلك يـدل على انه صلّى اللّه عليه و سـلم رأى ربه مرهٔ بعـد أخرى. و جوابنا أن المراد بـذلك جبرائيل عليه السـلام لأنه المذكور من قبل بقوله تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى ثمّ قال بعد ذلك (ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى فأثبته رائيا له ثمّ قال (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى فأثبته رائيا له ثانيا و أراد رؤيته له على صورته التى هو عليها فقـد كان ينزل على غير صورته فى سائر الحالات و بين ما قلناه قوله تعالى (ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى و ذلك لا يليق إلا بجبرائيل عليه السـلام و قوله تعالى من بعد (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ) يدل على أنه يغفر إلمام الانسان بصـغائر المعاصـى إذا اجتنبت الكبـائر و قوله تعالى (وَ إِبْراهِيمَ الَّذِى وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَ أَنَّ

سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى فيه دلالة على أن أحدا لا يؤخذ بذنب غيره.

[مسألة]

و ربما قالوا ان قوله تعالى (وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى يدل على أن أفعالنا مخلوقة للّه تعالى. و جوابنا أن ذلك إن دل فانما يدل على أنه فعل الضحك و البكاء و لا عموم فيهما فان فعلهما تعالى باثنين ثمّ الظاهر فمن أين أن كل ضحك و بكاء من فعل اللّه تعالى. فان قيل فما قولكم فى الضحك أ هو من فعل العبد أو من فعل اللّه و قد يتعذر على المرء ترك الضحك فكيف يكون من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۶

فعله. و جوابنا أن الضحك هو التفتح المخصوص الذى يظهر فى الوجه و ذلك يكون من فعل العبد و لا حال يضحك فيها الا و يجوز أن يتركه لأنه لو خوّف من الضحك لتركه فأما الابكاء فهو من فعله تعالى لأنه إنزال ما يدفع صفة الوجه فحقيقته أنه تعالى تعالى هو الذى يبكى العبد و إن كان العبد قد يتسبب فى ذلك و قد قيل ان المراد بقوله (أَضْحَكَ) انه أنعم على اهل الثواب بالجنة و الثواب (وَ أَبْكى انه عاقب اهل النار و استدلوا على ذلك بقوله تعالى (ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى و ذلك لا يليق الا بأمر الآخرة فشبه ما ينالهم من النعيم و السرور بالضحك و ما ينالهم من العقاب بالبكاء.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى كيف يصح ذلك و نحن نعلم ما لا يخلق من النطفة من الذكر و الانثى؟ و جوابنا ان جميع ما فعله من الذكر و الأنثى أصل الخلقة فيه النطفة و إن كانت ربما تكون بواسطة و ربما لا تكون و ما يوجد على غير هذا الوجه لا نعلم فيه الذكر من الانثى و قوله عز و جل (وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى يدل على وجوب الاعادة لاجل الاثابة لان فى قوله (وَ أَنَّ عَلَيْهِ) دلالة الوجوب. و قوله تعالى (وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى ظاهره أن بعد عاد عادا ثانيا فيكون هو الاول و قد روى ذلك فى الاخبار. و من قال أنه واحد تأول على ما قاله الحسن لانه قال هم الاول لنا من حيث كانوا قبلنا و نحن كالآخر لهم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۷

سورة القمر

[مسألة]

و ربما قيل كيف يصح قوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ) و لو كان قد انشق القمر على الحقيقة لنقل ذلك نقلا ظاهرا؟ و جوابنا ان فى العلماء من يقول المراد به و انشق القمر فى الساعة لأنه عند السابق ينشق القمر إلى غير ذلك من الشرائط لكن الصحيح ما قاله مشايخنا من أنه فى أيام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم انشق القمر و هو ظاهر القرآن فإذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة و فى سائر الأماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك و كان اهل ذلك البلد فى غفلة عنه إلا طبقة مخصوصة فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر بل يجوز ان ينقله الآحاد و قد نقل ابن مسعود و غيره هذا كما نقل رد الشمس فى ايام الرسول صلّى اللّه عليه و سلم فلم يجب فى نقله الظهور لأن ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين. و قوله (وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) على وجه الذم يدل على ان ذلك قد كان. و قوله من بعد (تَجْرِي بِأَعْيُنِنا) الجواب فيه ما قدمنا من قبل. و ما كرره اللّه من قوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يدل على انه تعالى يكرر هذه الامور لكى يعتبر الناس بها و أنه تعالى أراد من جميعهم الادّكار لا تركه على ما يقوله من خالفنا و قوله تعالى من بعد (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) لا يدل على ما يقوله مخالفنا و ذلك لأنه تعالى قال (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۸

بِقَدَرٍ) يعنى فى الآخرة فى معاقبة اهل النار لانه تعالى يعاقب كل أحد بقدر استحقاقه و لذلك قال بعده (وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) و ذلك لا يليق إلا بالآخرة التى لا يقع فيها من احد مخالفة للّه تعالى. و قوله (وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) يدل على ان كل ذلك يكتبه الحفظة ثمّ يقع التميز عند المحاسبة و يحتمل ان يريد ان ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ كما كتب تعالى الآجال و الأرزاق.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۰۹

سورة الرحمن

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ) أن ذلك يدل على أن علمه بالقرآن و البيان من فعل اللّه تعالى و ذلك ممّا لا نخالف فيه و انما القول فى العلم باللّه و توحيده و عدله و أنه اكتساب من العبد.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ وَضَعَ الْمِيزانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ) ان ذلك تكرارا لا معنى له. و جوابنا ان وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين و قوله تعالى (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ) المراد به كيفية استعماله فى المعاملات فأحد الأمرين مخالف للآخر.

[مسألة]

و ربما قيل إنه تعالى ذكر فى أول السورة أنّه (خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ) فكيف قال من بعد (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ). و جوابنا انه بعد ذلك ذكر مع الانس الجن فقال (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) ثمّ عطف على ذلك بقوله تعالى (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) لأنه كلف تعالى فى الأرض الانس و الجن و إنما كرّر تعالى فى هذه الآيات الكثيرة (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) لأنه ذكر نعمة بعد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۰

نعمة فاتبعه ذلك و هذا مما يحسن مما يذكر نعمه و أياديه فان قال ففى جملة الآيات ما ليس فيه نعمة كقوله (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) الى غير ذلك. و جوابنا ان ذلك من النعم اذا تدبره المرء و خاف منه فصار زاجرا له عن المعاصى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ) كيف يصح ذلك و إنما يخرج من أحد البحرين؟ و جوابنا أنه إذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما و المراد من هذا المجموع و قد قيل إنه لا يخرج من البحر الذى ليس بعذب إلا إذا مازجه الماء العذب.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ) كيف يصح ذلك مع أنه تعالى قد ذكر أنه يسألهم أجمعين فى

غير آيـة؟ و جوابنـا ان المراد انهم لاـ يسـألون على وجه التعرف لاـن ذلـك مكتوب معلوم و ان كانوا قـد يسألون على غير ذلك و قد تقدم كلامنا فى مثل هذه الآية.

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ) كيف يصـح ذلك و لا يجوز على اللّه تعالى الشـغل و الفراغ؟ و جوابنا ان ذلك مما يستعمل فى الوعيد لأنه اقوى فى الزجر و التهديد فالقائل يقول لمن يخوفه سأفرغ لك إن خالفت فلاجل هذه المبالغة ذكره تعالى و إلّا فالفراغ لا يصح الا على من يشغله فعل عن فعل من حيث يفعل و لا يصح أن يضيف إلى السكون حركة و لا إلى القيام قعودا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) كيف يصح وصف البطائن التى هى دون الظهائر التى هى الارفع؟ و جوابنا انه بذكر البطائن قد دلّ على الظهائر فإن كانت الظهائر ارفع

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۱

فقد دلّ بذلك انها ارفع من الإسـتبرق و قوله تعالى (وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) لا يدل على جواز المكان على اللّه تعالى لأنه تعالى خوّف بـذلك و التخويف لا يكون بالمكان فالمراد و لمن خاف مقامه للمسائلـة و المحاسـبة فأضاف المقام إليه و إن كان مقاما للعبد لأنه معـد من قبله لمقام العبـد و لوقوفه فيه و قوله تعالى (هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ) احـد ما يـدل على قولنا لأنه عز و جل بيّن ان من أحسن جازاه اللّه تعالى بالاحسان و على قولهم قد يؤمن ثمّ يخلق اللّه تعالى الكفر فيه فلا يصح ذلك على مذهبهم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۳

سورة الواقعة

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَ السَّابِقُونَ) كيف زاد السابقين على اصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة و فى سائر القرآن لم يذكر سواهما؟ و جوابنا انه تعالى اراد ان يبيّن أن فى العباد من له تقدم فى عظم الثواب كالأنبياء و غيرهم فخصهم بالذكر و إن كانوا من أصحاب اليمين.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) كيف يصـح فى الآخرة ذبـح الطيور و أكل لحمها و عندكم ان الآخرة ليست بدار تكليف للمرء؟ و جوابنا ان المراد بهذه الأطعمة انها على هيئة لحم الطير و صورته لا أنّ هناك طيورا تذبح.

[مسألة]

و ربمـا قيـل فى قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) كيف يصـح التوعـد بما لا يعرف من جملة الأشجار؟ و جوابنا ان لفظة الزّقّوم معروفة بأنها تستعمل فى الكريه من الأشياء. فجاز ان يتوعّد اللّه تعالى بذكرها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ) أ ليس ذلك يدل على ان فعل العباد

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۴

مخلوق للّه تعالى؟ و جوابنا ان إنزال النطفة ليس من فعل العبد عندنا و لذلك يختلف الحال فيه فمن النّاس من يمنى أسرع ممّا يمنى غيره كثر أو نقص و إذا كان ذلك من فعل اللّه و كذلك استقراره فى الرحم فلا سؤال علينا فى ذلك.

فإن قيل فما قولكم فى قوله (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أ ليس ذلك يدل على أنّ الزّرع من فعل اللّه تعالى؟

و جوابنا أن الزرع اسم للنبات الظاهر و ذلك من خلقه تعالى و إنما يفعل العبد مقدمته و بين ذلك أنه اضاف الحرث إليهم ثمّ أضاف الزرع إلى نفسه و بين ذلك انه عدّه فى نعمه و طرح البذر ليس بنعمة و إنما النعمة النبات فأما قوله تعالى (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ) فلا دليل للمشبهة فيه لأن الكلام فيمن حضره الموت فالمراد إذا إحاطة علمه بذلك فأما قوله تعالى (وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) فقد يقال فيه إن الكذب لا يجور عندكم فى الآخرة فما معنى ذلك؟ فجوابنا ان المراد وصفهم بذلك فى الدنيا فإن قيل فما تعلق بالكذب بالرزق. فجوابنا انهم كانوا يكذبون على المطر و الغيم و يقولون إنا سقينا بنوء كذا فأنكر اللّه ذلك عليهم فأما قوله تعالى من بعد (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ) فالمراد به الملائكة الموكّلة بقبض الأرواح و هو كقوله (وَ جاءَ رَبُّكَ) و المراد ملائكة ربك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۵

سورة الحديد

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ) كيف يصح هذا الوصف للّه تعالى مع تضاده؟ و جوابنا ان المراد هو الاول لأنه لا موجود إلا موجود بعده و هو الآخر لأنه لا موجود إلا و يفنيه فيبقى بعده و كلاهما فى وصف اللّه تعالى صحيح. و معنى قوله و الظاهر أنه المقتدر القاهر من ظهور القوم على الفعل كقوله (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ) و معنى الباطن انه عالم بالسرائر و كل ذلك صحيح فى أوصاف اللّه عز و جل و يدل قوله (هُوَ الْأَوَّلُ) على بطلان قول من يثبت للّه تعالى علما و قدرة و حياة و قدما لأنه لو ثبت ذلك لم يصح كونه اولا و يدل على انه تعالى يفنى الخلق ليصح ان يكون آخرا إذا الأدلة قد دلت على ان الجنة لا يفنى ثوابها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) ثمّ قال فى آخر الآية الثانية (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) كيف يصح ان يقول آمنوا (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) و جوابنا ان قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) جعله تعالى شرطا فى اخذ الميثاق لأنه صلّى اللّه عليه و سلم كان يأخذه بشرط الايمان و يحتمل ان يريد به إن رغبتم فى الايمان و تمسكتم به و قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) احد ما يدل على ان مراده بإنزال القرآن إلى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۶

الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و بعثته من بين الجميع ان يخرجوا من الكفر الى الايمان. فان قيل فقد قال تعالى (لِيُخْرِجَكُمْ) فيجب ان يكون الايمان من خلقه.

و جوابنا انه بيّن أنه يخرجهم بهذا السبب و لو كان الاخراج و الايمان من خلقه لم يصحّ ذلك لأنه سواء أنزل القرآن أو لم ينزل فالحال واحدة و قوله تعالى (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ) أحد ما يدل على فضل أكابر الصحابة و من تقدم إسلامه كالعشرة و غيرهم و إنما كان كذلك لأن موقع الانفاق من قبل كان اعظم من موقعه من بعد ثمّ قال تعالى (وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى متبها بذلك على ان الثواب يعمّ الكلّ.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) أ ليس ذلك يدل على ان الّذين آمنوا لم يكونوا خاشعين و أنه كان فيهم من هو قاسي القلب و ذلك بخلاف قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ). و جوابنا ان المؤمن لا يكون في الجملة إلا خاشعا خاضعا للّه و إنما امر تعالى أن يخشعوا لذكر اللّه و عند سماع القرآن لان فيهم من يسمع غافلا لاهيا فهو كقوله تعالى (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) فأما قوله تعالى (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فهو من وصف الكفار من قبل و قوله تعالى (وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) انما قاله فيمن أوتي الكتاب ثمّ آمن فيما بعد.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) كيف يصح ذلك و في جملتهم الفساق و أصحاب الكبائر؟ و جوابنا أن المراد بذلك من آمن بالرسول في أيامه و كذلك كانوا و لو

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۷

صح فيه العموم لحملناه على التخصيص لان المجاهر بالفسوق و الفجور لا يسمّى من الصدّيقين.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ) أ تقولون ان الميزان أنزله اللّه؟ و جوابنا انه قد قيل ذلك على ما تقدم ذكره. و قيل إن المراد العدل و بيان صحة المعاملات بالميزان و الظاهر هو الأول و كذلك قوله تعالى (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يتأول على ما قدمنا و قوله تعالى بعد ذلك (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) و المراد به وقوع النصرة التي هي حادثة دون العلم فانه تعالى عالم بكل شيء لم يزل.

[مسألة]

و ربما قالوا في قوله تعالى (وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً) أ ليس يدل ذلك على ان الرأفة و الرحمة من خلق اللّه تعالى؟ و جوابنا ان المراد بذلك ما لا ينكر أنه من قبله و هو لين القلب و ما به يفارق الرحيم غيره فلا يدل على ما قالوه.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ) كيف يصح وقوع المشي بالنور؟ و جوابنا أن المراد بهذا المشي التصرف أجمع. لأن ذلك لا يصحّ إلا بالنور الذي ينفصل من الشمس و بالعقل الذي يوصف بذلك مجازا و بعد فإن حمل على الظاهر جاز لأن المشي يحتاج صحيحه و مقصوره الى ضياء ليقع على الوجه الصحيح و قوله جل و عز (لِئَلَّا

يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ) لا يدل على ان أفعال العباد يخلقها اللّه تعالى و ذلك لأن المراد بهذا الفضل النعم التى هى الاجسام فيدخل فيها الاكل و الشرب و اللباس و غيرها.

تنزيه القرآن (۲۷)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۸

سورة المجادلة

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ) أ ليس ذلك كله يدل على جواز المكان على اللّه تعالى؟ و جوابنا بل يدلّ ذلك على خلافه لأنه قال تعالى (وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) فالمراد به العلم و التبيّن لا أنه كائن معهم و لذلك خصّ تعالى النّجوى التى تستر ليبيّن أنه عالم بكل ما يخفى على سواه و لذلك قال تعالى بعده (فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ) و لو لا صحّة ذلك لوجب أن يكون تعالى مع كل واحد منّا حتى يكون فى الاماكن كلّها و حتى إذا انتقل أحدنا من مكان إلى مكان يجب أن يكون تعالى منتقلا ليكون معه و ذلك يوجب فيه انه محدث تعالى اللّه عزّ و جلّ و قوله تعالى من قبل فى صيام الظّهار (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً) يدل على قولنا لأن عندهم أن الصحيح القوى لم يدخل فى الصوم و لو يستطيع الصيام فلا يكون لهذا الشرط فائدة بل يلزم الكل الاطعام و القول فى الاطعام كالقول فى الصيام و قوله تعالى من بعد (إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ) و لم يقل من الرحمن يدل على انه فعل العباد لا خلق اللّه تعالى و قوله (وَ لَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يعنى أن كل ضرر من غمّ و غيره يحصل عند الوسوسة

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۱۹

فليس من فعل الشيطان بل هو من قبل اللّه تعالى و هذا خلاف قولهم إن الشيطان يحبط الأعمال.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) كيف يصح أن يحلفوا على الكذب فى الآخرة و قوله تعالى بعده (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ)؟ و جوابنا أن المراد بذلك أنهم يحلفون أنهم كانوا مؤمنين عند أنفسهم لا كفارا فلا يكون ذلك كذبا منهم و قوله تعالى (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ) يعنى فى الدنيا فلا سؤال علينا فيه و قوله تعالى (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) المراد به فعل ما عنده فسقوا و أطاعوه.

[مسألة]

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ) أ ليس ذلك يدل على أنه خلق الايمان؟ و جوابنا أن المراد أنه كتب ما يعلم به الملائكة ايمانهم فنحن نحمله على الحقيقة و ان كان الايمان من فعل العبد.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۰

سورة الحشر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ) أنه يدل على ان اخراجهم من خلق اللّه. و ربما قيل أيضا ما معنى (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) فسمى خروجهم حشرا؟ و جوابنا أنه تعالى لما فعل سبب إخراجهم أضيف ذلك إليه و لما أمر بإخراجهم أضيف اليه أيضا و لذلك قال تعالى (وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) و ذلك لا يصح الا و الخروج من قبلهم و انما سمّاه حشرا من حيث وقع خروجهم على وجه الجمع و السوق كقوله تعالى (وَ الطَّیْرَ مَحْشُورَةً) و قوله تعالى من بعد (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) يدل على قولنا لأن مشاقّة العبد للّه و رسوله بأن اللّه تعالى يخلق ذلك فيه لا تصح و قوله تعالى (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَةٍ أَوْ تَرَکْتُمُوها قائِمَةً عَلی أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ) قد قيل فيه ان المراد بالاذن العلم و قد قيل بل المراد فبأمر اللّه و لذلك قال تعالى من بعد (وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَیُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ) أ ليس ذلك كالمتناقض؟ و جوابنا أنه بين بقوله تعالى (ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ) أنه لا نصرة يجدونها بعد هذه النصرة و على ذلك صح.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۱

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ) ما فائدة هذا التكرار؟ و جوابنا أن المراد بالاول أن يتقوا اللّه فى حفظ ما فعلوا من الطاعات و المراد بالثانى ان يتقوا فى جميع ما كلّفوا و لذلك قال (إِنَّ اللَّهَ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ) و أما معنى قوله تعالى (وَ لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ) المراد أنه بتركهم طاعة اللّه خلاهم و خذلانهم و لذلك قال (أُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ) كيف يصح ذلك فى الجبل و هو جماد؟ و جوابنا أن ذلك مثل ضربه اللّه تعالى لمن لا يتفكر فى القرآن و لا يخشع عنده و لذلك قال تعالى (وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ) و يمكن أن يقال إن المراد به أن الجبل لو كان حيا يصح أن يسمع و يتدبر لكان هذا حاله.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۲

سورة الممتحنة

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ) كيف يصحّ ان يستغفر له مع كفره؟ و جوابنا أنّ ذلك وعد منه و قد قال تعالى (وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِیَّاهُ فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) و ذلك يقتضى أنّ استغفاره كان بشرط و على وجه يحسن عليه و لو كان استغفاره مطلقا لما قال (وَ ما أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ) فإن قيل فما معنى قوله تعالى

من بعد (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قیل له أنهم سألوا ربهم أن یزیل عنهم الامور التی عندها یشمت الکفار بهم.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) کیف وصفهن بالمؤمنات قبل الهجرهٔ و قبل القبول من الرسول صلّی اللّه علیه و سلم لانه قال «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ»؟ و جوابنا أن المراد بذلک المظهرات للایمان الراغبات فی ذلک فلا تناقض فی هذا الکلام لأنّهن یظهرنه و یرغبن فیه ثمّ یدّعین و یختبرن فتعرف حالهن.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۳

سورهٔ الصف

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ) أنه جعلهم مع الکبیرهٔ مؤمنین و ذلک بخلاف قولکم. و جوابنا أنه قد یکون مؤمنا و إن وعد بما لا یفعل إذا کان وعده خبرا عن عزمه فلا یکون کاذبا و لکنه إذا أطلق الوعد و لم یستثن ثمّ لم یفعل یقبح منه و قد حکی عن الحسن أنه قال المراد المنافقون أظهروا الایمان و حالهم هذه و الاول أقرب و قوله تعالی من بعد (فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) فالمراد به عاقبهم علی زیغهم علی نحو قوله تعالی (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها).

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۴

سورهٔ الجمعهٔ

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ) کیف یصح أن یزکّیهم قبل أن یظهر منهم القبول و الطاعهٔ؟ و جوابنا أن المراد و یزکیهم علی الوجه الذی یحسن کما یتلو علیهم آیاته علی هذا الوجه و یجوز أن یراد به التزکیهٔ التی معها یجوز التکلیف من عقل و تمییز و غیرهما و یجوز أن یرید و یدعوهم الی ما یتزکون به و لذلک قال تعالی (وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) و قوله تعالی (ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) لا یدل إلّا علی أن النبوّهٔ و الکتاب من فضله فلیس لأحد أن یتعلق بذلک.

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (انْفَضُّوا إِلَيْها) لم لم یقل إلیهما؟

و جوابنا أن الکلام إذا دلّ علی ذلک جاز مثله و قد قیل إن المراد التجارهٔ لأنها المقصودهٔ من اللهو الذی هو تابع لها فکأنه نبّه بذلک علی ما ینفضون أجمع لاجله دون ما یختص به بعضهم دون بعض.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۵

سورهٔ المنافقین

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ) کیف یکونون کاذبین فی هذه الشهادة التی هی حق؟ و جوابنا أن شهادتهم کالأخبار عن اعتقادهم و لم یکونوا معتقدین لذلک فصاروا کاذبین و قوله تعالی من بعد (اتَّخَذُوا أَیْمانَهُمْ جُنَّةً) یدل علی ذلک و أنهم أظهروا ما لا حقیقة له و قوله تعالی (فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ) یدل علی أن الافعال من قبلهم لأن اللّه تعالی إن کان خلق ذلک فیهم فکیف یصح کونهم صادّین أو لیس ذلک یوجب أنهم یصدّون الخالق الفاعل و ذلک محال.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (سَواءٌ عَلَیْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ یَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) کیف یصح فی النبی صلّی اللّه علیه و سلم أن یکون استغفاره إذا وقع لا ینفع و لا یجاب إلی ملتمسه؟
و جوابنا أن المراد ما لم یقع و ما لم یقع لو وقع فکیف یکون حاله فلیس فی ذلک أنه لا یجاب الی ما یلتمس و بعد فانه یحتمل أن یستغفر لهم بشرط معلوم من حالهم خلاف ذلک لأن ذلک ورد فی المنافقین فیجوز أن یرید استغفاره لهم علی الظاهر فاذا علم اللّه تعالی نفاقهم علم أنه لا یغفر لهم و لا یکون فی ذلک ترکا لإجابته لأن طلب الغفران لهم إن کانوا علی صفة لیس هم علیها.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۶

سورة التغابن

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ فَمِنْکُمْ کافِرٌ وَ مِنْکُمْ مُؤْمِنٌ) أما یدل ذلک علی انه خلق الکافر کافرا و خلق المؤمن مؤمنا؟ و جوابنا انه لیس فیه إلا انه خلقهم ثمّ من بعد قسمهم فلا یدل إلا علی أن فیهم کافرا و مؤمنا ثمّ الکلام فی أنّ ذلک الایمان و الکفر ممّن لیس فی الظاهر؛ و قال أویس علیه رحمة اللّه لو کان کما ذکروا لما قال فمنکم کافر و منکم مؤمن و قوله تعالی من بعد (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) یدل علی ما نقوله من أنه خلقه لمنفعة العباد و لکی یطیعوا و وصفه تعالی ذلک الیوم بالتغابن یدل علی أن المقصّر بالکفر و المعصیة یعلم أنه کان یمکنه أن لا یقصر و قوله تعالی (وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ یَهْدِ قَلْبَهُ) یدل علی ما نقوله من علامات یفعلها لیمیز الملائکة المؤمنین من غیرهم.
تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۷

سورة الطلاق

[مسألة]

[مسألة]
و ربما قیل فی قوله تعالی (لا تَدْرِی لَعَلَّ اللَّهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذلِکَ أَمْراً) أن ذلک یدل علی ان الرجعة هو الذی یحدثها؟ و جوابنا أنه تعالی لم یفسر الأمر و المراد عندنا الشهوة و محبة القلب اللذان یدعوانه الی الرجعة و یغتم لأجلهما بما فعل من الطلاق و قوله تعالی من بعد (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْراً) و قد تقدم ذکر المعنی و أن المراد حکمه فی هذه الامور و قوله تعالی (وَ مَنْ قُدِرَ عَلَیْهِ رِزْقُهُ فَلْیُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ) المراد به من ضیّق علیه رزقه أمره بأن لا یبسط یده إلی ما لا یحلّ له بل ینفق مما آتاه من الخیرات.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) كيف يصح ذلك و فى الناس من لا يجد اليسر بعد العسر؟ و جوابنا أنه لا أحد ممّن ضيّق عليه اللّه تعالى إلا و يؤتيه يسرا بعد عسر من جهة أرزاق الدنيا أو من جهة ثواب الآخرة اذا صبر و احتسب.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۸

سورة التحريم

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) أ ليس ذلك يدل على ان اللّه تعالى يأمرهم و يكلّفهم و عندكم ان الآخرة ليست بدار تكليف؟

و جوابنا انه فى الآخرة يجوز أن يأمر تعالى و لا يكون أمره تكليفا كما تقوله فى قوله تعالى (كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً) و انما نمنع من ثبوت الأمر فى حال التكليف و لا يكون تكليفا و اللّه تعالى يأمر الملائكة الموكّلة بعذاب أهل النار بما يتلذذون به من عذاب أعداء اللّه فلا يعصون كما ذكره اللّه تعالى و لا يجوز فى الأمر إذا كان بشىء يلتذّ به أن يكون تكليفا و فى هذه السورة أدلّة على قولنا منها قوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً) فلو لم يكن تصرف العبد من فعله لما صح ان يقى نفسه و غيره و منها قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) لأنه لا يجوز أن يقول لا تعتذروا و لهم عذر لأن ذلك سفه فالمراد لا تعتذروا فما عذر لكم و لو كان تعالى خلق الكفر فى الكافر و أراده و أوجده فيه بالقدرة و الارادة لكان ذلك من أوكد ممّا يعتذرون به و لكان لهم أن يقولوا لو أقدرتنا على الطاعة لفعلنا و إنما أوتينا من جهة أنك لم تقدّرنا و لم تخلق فينا الايمان بل خلقت فينا ضدّه و منها قوله تعالى (إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فانه يدل على ان العمل من العبد و الجزاء من اللّه تعالى.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۲۹

سورة الملك

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ) كيف يصح فى النجوم ان يجعلها رجوما للشّياطين و هى ثابتة أبدا فى مكانها؟ و جوابنا أن المراد ما ينفصل منها ممّا يشاكلها فيصح بذلك إضافة الرجوم إليها.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) أ ليس ذلك يدل على أنه الخالق لقولهم و سرهم؟ و جوابنا ان المراد ألا يعلم من خلق الصدر ما يودعون فيه من سر و جهر فكأنه بين انه عليم بذات الصدور و مقتدر عليها و من هذا حاله لا تخفى عليه خافية و قوله من بعد (أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) لا يدل على أن السماء مكانه لأن المراد من فى السماء ملكه و قدرته على الخسف و الكسف و كذلك قال بعده (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً) و قوله تعالى (أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ) ربما تعلقوا به فى انه الخالق فيهم الوقوف فى الهواء. و جوابنا أن المراد أنه الفاعل فى الهواء ما عنده يصح منها الطيران و الوقوف.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۰

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ) كيف يصح ذلك و معلوم أن الماء المعين يخرجه من معه الآلة؟ و جوابنا أن المراد ان يصبحوا و الماء قد غار و يبس و ذلك يدل على انقطاع الماء فى ذلك المكان و لا يعمل بالفأس إذا انتهى مكان الماء إلى هذا الحد و بعد فلولا أنه تعالى يمد بالماء لمكان الفأس لم تؤثر فى ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۱

سورة ن

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) كيف يصح أن يكلف فى الآخرة بالسجود من لا يستطيعه؟ و جوابنا أن ذلك ليس بدعاء على وجه الأمر بل هو توبيخ و تبكيت لهم من حيث تركوا السجود و هم متمكنون و لذلك قال بعده (وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ) و لو كان الأمر كما يقوله المجبرة لكان الدعاء فى الدنيا و الآخرة سواء فى أنه إن خلق فيهم السجود صاروا ساجدين و إن لم يخلق كانوا تاركين و فى قوله تعالى من بعد (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) دلالة على أنه تعالى يكتب فى اللوح المحفوظ الكثير من الغيوب و أما ذكر السّاق فالمراد به شدّة الامر كقوله تعالى (وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) يعنى الشدة بالشدة يوم القيامة.

[مسألة]

و ربما تعلق بعضهم بقوله (وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) فقالوا إن العين حق.
و جوابنا أن المراد النظر المكروه منهم عند قراءة القرآن عليهم يبين ذلك أن العين لو كانت حقا كما يقولون لكانت تؤثر فيما يعجب به و يعظم لا فى خلافه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۲

سورة الحاقة

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ) كيف يصح ذلك و من خوطبوا بذلك لم يحملوا فى سفينة نوح؟ و جوابنا ان المراد حملنا من أنتم من نسله فهو بمنزلة قوله تعالى فى سورة البقرة (وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) و المراد من أنتم منهم و نجاتكم بنجاتهم.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) أ ليس ذلك خلاف قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ

ضَرِیعٍ)؟ و جوابنـا انه لا یمتنع فی قوم أن لا طعام لهم إلا من ضـریع و یجوز أن یکون المراد لیس لهم طعام إلا من ضـریع و لا شـراب إلا من غسلین و هو ما یسیل من صدیدهم فسمّاه طعاما من حیث یستطعم.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیم) کیف جعله قول جبریل و هو کلام اللّه تعالی؟ و جوابنا أنه إذا سمع منه جازت هذه الاضافـة لانه منه علم و لولاه لم یعلم فاما قوله من قبل (وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَةٌ) فلا یصـح أن یتعلق به المشـبهة لأن العرش فی السّماء مکـان لعبادة الملائکـة فیحملونه و یطوفون حوله و یضاف إلی اللّه تعالی من حیث خلقه کما یضاف العبـد الی اللّه تعالی و قوله تعالی (وَ لَوْ تَقَوَّلَ

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۳

عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ) لا یصـحّ تعلقهم به لاثبات الیمین له تعالی لأن المراد القدرة علی ما بیناه فی غیر موضع و علی هذا الوجه یقال إن فلانا یملک فلانا ملک یمین إذا أمکنه التصرف فیه و إن لم یکن له یمین و علی هذا الوجه قال الشاعر:

إذا ما رایة رفعت لمجد تلقاها عرابة بالیمین

یعنی ببأس و قوة.

تنزیه القرآن (۳۸)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۴

سورة المعارج

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (مِنَ اللَّهِ ذِی الْمَعارِجِ) أ لیس ذلک یـدل علی جواز الصـعود و النزول علیه؟ و جوابنا أن إضافة الشـیء لغیره بهـذا اللفظ قـد تکون بأن یفعله و قـد تکون بخلافه و للّه تعالی معارج خلقها للملائکة و لذلک قال (تَعْرُجُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ إِلَیْهِ) فلا تعلق للقوم بذلک.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً وَ نَراهُ قَرِیباً) کیف یصـح و هو متناقض و کیف یصـح القرب علی اللّه تعالی؟ و جوابنا ان المراد یوم القیامـة و قوله تعـالی (یَرَوْنَهُ بَعِیداً) بمعنی الظن (وَ نَراهُ قَرِیباً) بمعنی العلم و ذلک لا یتناقض و لا یجوز أن تراد به الرؤیـة و ذلک الیوم معدوم.

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) أ لیس یدل علی أن هلعه من خلق اللّه تعالی؟ و جوابنا أن المراد انه خلق و هو علی حد من الضعف یصیبه الهلع به عند الحوادث و لذلک قال تعالی بعده (إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَیْرُ مَنُوعاً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) ما

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۵

فائدهٔ ذلک و هل هو تعلق بما وصفه من طمعهم و کيف يعلمون ممّا ذا خلقوا؟

و جوابنا أن ذلک ورد فى الكفار الـذين قال تعالى فيهم (فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ) و لا يمتنع فيهم أنهم كانوا يعرفون مع كفرهم انهم خلقوا من نطفـهٔ و ان ذلک الخلق من فعله تعالى فيصـح قوله تعالى (إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) فى الجملهٔ و فائـدته أنه بين أنّ من خلق من ماء مهين لا يجوز أن يسـتوجب الجنـهٔ و إنما يسـتوجبها لعلمه إذ الفضل يقتضـى ذلک و يحتمل أن يريد خلقناهم مما يعملون من التكليف فكيف يصح أن يطمعوا فيما طمعوا فيه و لا أثر لهم فيه و لا عين.

[مسألهٔ]

و ربمـا قيـل فى قـوله تعـالى (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ) كيـف يصـح ذلـک و قـد ذكر فى موضع (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) و فى موضع (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ)؟

و جوابنا أن المراد بالمشـرق و المغرب جنس ذلک أو واحده فى كل يوم و المراد بالمشرقين مشرق الشتاء و مشرق الصيف و مغربهما و المراد بالمشارق ما نعلمه من اختلاف المطالع فى كل يوم فلا تناقض فى ذلک.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۶

سورهٔ نوح

[مسألهٔ]

و ربمـا قيـل فى قوله تعـالى (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) ثمّ قـال بعـده (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ) و هـذا متناقض؟ و جوابنا أنه لا تناقض فى ذلک، لأن ذلک الأجل المقدّر الذى ضـمنه إذا عبد اللّه تعالى و أطيع لا يتأخر و هذا الأجل عندنا مقـدّر غير محقق لأنهم إذا لم يعبـدوه فـأجلهم هو المكتوب و لا تـأثير يقع فيه. فـان قيـل فكيف قال تعالى (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) و من عبد اللّه و اتقاه اسـتحق غفران كلّ ذنوبه؟ و جوابنا أن من قد تدخل زائدهٔ كما تدخل للتبعيض و هى هاهنـا زائـدهٔ و يحتمـل أنه يريـد ان الغفران يكون فى هـذا الجنس كمـا يقال باب من حديـد و قوله تعالى من بعـد (قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً) المراد به تشـدد القوم فى الانكار و الجحود و النفور من قبول الحق و لـذلک قال تعالى (وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ).

[مسألهٔ]

و ربما تعلقت المشـبهٔ بقوله تعالى (ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً)؟ و جوابنا فى ذلک أن المراد ما لكم لا تعظمونه حق عظمته إذ الوقار الذى يظهر فى الاجسام يستحيل عليه تعالى و لذلک قال تعالى بعده (وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً) فالمراد ما يتعلق بخلقه من شكر عباده.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۷

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً) كيف يصح ذلک و نور القمر يكون

على الأرض لا فيما بين السموات؟ و جوابنا أن المراد و جعل القمر بينهن و بين الارض نورا أو لما جمع السماء أجمع بلفظة واحدة جاز فى نور القمر و هو ينالها أيضا كما ينال الأرض ان يقول ذلك.

[مسألة]

و ربما سألوا فى قوله تعالى (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً) كيف يصح ذلك و أكثر أهل الأرض من الكفار و كيف يصح ان يظهر خلاف ما قدره اللّه تعالى من بقاء هؤلاء الكفار و كيف قال تعالى بعده (وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) و المولود لا يكون بهذا الوصف؟ و جوابنا ان مراد نوح عليه السلام الكفار الذين كانوا فى زمنه و من أعلمه اللّه أنه لو أبقاهم أبدا لم يؤمنوا فدعا اللّه تعالى عليهم بهذا الدعاء و أجاب اللّه دعوته بأن أغرقهم فأما قوله تعالى (وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً) فالمراد من سيفجر و يكفر نبّه بذلك على أنه كما ان المعلوم أنهم لا يؤمنون فمن المعلوم أيضا أنه لا يكون فى نسلهم مؤمنون.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۸

سورة الجن

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ) كيف يصح ذلك؟ و جوابنا أن المراد ميلهم اليهم و إلى القبول منهم و من أطاع غيره و عظمه يوصف بذلك كما قال تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) بأن أطاعوهم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ) كيف يصح ذلك مع انقضاض الكواكب و الشّهب عليهم و منعهم من ذلك؟ و جوابنا أن المراد طلبنا لمس السماء و القرب منها لتعرف الاخبار فلذلك قال بعده (فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً) و ذلك بيان منهم انهم منعوا من ذلك.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) كيف يتعلق ما أمر به من ترك عبادة غير اللّه بأنّ المساجد للّه؟ و جوابنا أنها مكان العبادة و مبنية لذلك فقال فلا تعبدوا فيها سوى اللّه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۳۹

اللام لام العاقبة؟ فأما الكلام فى الضلال و الهدى فقد تقدم و قوله تعالى من بعد (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) فالمراد به الذكر الذى هو الطاعة لأنه من قبيل ما لا يصح من العبد أن يشاءه إلا و اللّه قد شاء منه و كلفه إياه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۰

سورة القيامة

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) أنه اقوى دليل على أن اللّه تعالى يرى في الآخرة؟ و جوابنا أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن اللّه تعالى جسم فإنا لا ننازعه في أنه يرى بل في أنه يصافح و يعانق و يلمس تعالى اللّه عن ذلك و انما نكلمه في انه ليس بجسم و ان كان ممن ينفي التشبيه على اللّه فلا بد من أن يعترف بأن النظر الى اللّه تعالى لا يصح لان النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلبا لرؤيته و ذلك لا يصح إلا في الاجسام فيجب أن يتأوّل على ما يصح النظر اليه و هو الثواب كقوله تعالى (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) فإنا تأولناه على أهل القرية لصحة المسألة منهم و بين ذلك ان اللّه ذكر ذلك ترغيبا في الثواب كما ذكر قوله (وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) زجرا عن العقاب فيجب حمله على ما ذكرناه و قوله من قبل (بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ) يدل على أنه لا عذر للعبد إذا هو عصى ربه و لو كان الكفر مخلوقا فيه لكان له أوكد العذر على ما قدمنا من قبل؟ و قوله تعالى من بعد (ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى هو الذى يورده العلماء على جواز الاعادة و صحتها فانه تعالى إذا قدر على الاحياء أولا على هذا الحد الذى نجد الاحياء عليه فيجب ان يقدر على اعادة ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۱

سورة المزّمل

[مسألة]

ربما قالوا في قوله تعالى (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) ما معنى وصف الوحي بالثقل؟ و جوابنا أن المراد ثقل العمل بما فيه و تدبره و المعرفة بمراد اللّه تعالى؟ و يحتمل أنه كان يثقل عليه ان يحفظه و أن يبلغه و كان يحتاج في ذلك إلى تكليف و ربما قيل في قوله تعالى (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً) كيف يصح وصف اليوم بذلك و كيف يضاف إليه؟ و جوابنا أن المراد ما يحصل في ذلك اليوم من الأهوال فضرب له هذا المثل كما يقال مثله في المخاطبات عند ذكر الامور الهائلة.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۲

سورة المدّثر

[مسألة]

ربما قيل ما معنى قوله تعالى (وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) و كيف يتعلق أحدهما بالآخر؟ و جوابنا ان المراد لا تستكثر ما تنعم به على غيرك بعثا له على الزيادة في الانعام و يحتمل ان يكون المراد لا تستكثره على وجه الامتنان.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً) كيف يصح مع فضلهم أن يجعلهم أصحاب النار و كيف يصح قوله تعالى (وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) و أى تعلق لعدتهم بافتتان الكفار؟ و جوابنا ان المراد الموكلون بعذاب أهل النار لأنهم يضافون إلى النار بأنهم أصحابها بل إضافتهم الى ذلك أحق لأنهم يتصرفون في التعذيب بها و معنى قوله تعالى (وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً) أن المعلوم من كثرة عددهم أنه اقرب إلى غمهم و حسرتهم و كل ذلك بعث من اللّه سبحانه على الطاعة و زجر عن المعصية فلذلك قال تعالى (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً) و قوله تعالى من بعد (وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) قالوا فيه

كيف يصح أن يجعل تعالى لهم عدة لهذا الوجه الذى يقبح منهم فعله؟ و جوابنا أن هذه

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۳

سورة الانسان

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله (هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) كيف يصح و قد وصفه بأنه إنسان و أتى عليه حين من الدهر أن لا يكون مذكورا و لا شيئا؟ و جوابنا أن المراد لم يكن له عند هذا الوصف من البنية و الحياة و العقل ما أخبر به اللّه تعالى فى خلق آدم صلّى اللّه عليه و سلم ثمّ قال تعالى بعد خلق آدم صلّى اللّه عليه و سلم (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً) أما يدل ذلك على أنه ليس فى المكلفين إلا كافر أو مؤمن؟ و جوابنا أن الشاكر قد يكون شاكرا و ان لم يكن مؤمنا برّا تقيا لأن الفاسق بغضب أو غيره قد يكون شاكرا فلا يدل على ما قالوا بل فى الآية دلالة على ما نقول من أن الكافر و المؤمن هما سواء فى أن اللّه تعالى قد هداهما لا كما قالت المجبرة أنه تعالى إنما هدى المؤمنين و المراد به أنه دلّ الجميع و أزال علتهم فمن عصى فمن جهة نفسه أتى.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً) كيف يصح الترغيب فى ذلك و ليس هو بمستطاب فى الدنيا؟ و جوابنا أن رائحة الكافور لا شبهة فى أنها مستطابة و اليسير منها مستطاب فرغّب تعالى فى ذلك على الجملة كما رغّب فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۴

الخمر، و ان كان طعمه فى الدنيا لا يستطاب و قد قيل ان المراد يشربون من نهر تربته الكافور و كذلك إذا سألوا عن قوله (كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا) إذا المراد التنبيه على الجملة و إن كان شراب أهل الجنة فى نهاية اللذة.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قوله تعالى (وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ) و هذا متناقض فلا يكون من فضة و يكون قوارير؟ و جوابنا أن المراد أنها من فضة و قد بلغت فى الصفاء و الحسن بحيث يرى ما فيها حتى لا تكون حاجزا و لا حائلا كالقوارير و هذا نهاية ما يقع به الترغيب فأما قوله (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) فالمراد به ما تشاءون من اتخاذ السبيل الى الرب إلا و اللّه قد شاءه و المراد انه شاء العبادات و لذا أنكره على القوم أنهم يصرحون بأنه تعالى قد شاء الفواحش و اللّه يتعالى عن ذلك.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۵

سورة المرسلات

[مسألة]

و ربما طعنوا على تكرير قوله تعالى (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) و جوابنا ان القصص اذا كانت مختلفة رجع الكلام الى كل واحد منها فيحسن كما ذكرناه فى سورة الرحمن.

[مسألة]

و ربما قالوا فى قصص الانبياء لم كرّره اللّه تعالى؟ و جوابنا أنه تعالى أنزل ذلك تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و سلم فيما كان المشركون يأتون به فكان ينزل مرة بعد مرة ليسليه فى حال بعد حال و لأن التالى يعتبر بذلك اعتبارا بعد اعتبار و قوله تعالى (أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ) و ربما تعلق به بعض المجبرة على أن افعال العباد مخلوقة من جهته تعالى و ذلك بعيد لأن كون ذلك الماء فى الرحم من فعل اللّه تعالى و قد بيّناه من قبل. و قوله تعالى (هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) من أقوى ما يدل على قولنا فى العدل لأنهم إذا لم يعتذروا و لهم عذر فذلك لا يصح و قد نزل بهم من العقوبة ما لا دليل عليه فالصحيح أن لا عذر لهم و ذلك لا يصح مع القول بأنه تعالى هو الذى خلق فيهم الكفر و قدرة الكفر و إرادة الكفر.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۶

سورة عمّ يتساءلون

[مسألة]

و ربما قيل لما ذا قال تعالى (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) كيف يصح مع القول بخلودهم فى النار أن يقدر كونهم فيها بالأحقاب؟ و جوابنا أن المراد أحقاب لا آخر لها كما يقال أوقاتا و ساعات لا نهاية لها لا أن المراد أحقاب منقطعة و الآية وردت فى الذين لا يرجون حسابا و هم الكفار فلا يمكن أن يتأول على فساق أهل الصلاة.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً) كيف يذاق البرد و إنما خلقت هذه الحاسة ليذاق بها الطعم؟ و جوابنا ان البرد قد يذاق بحاسة الطعم لا من حيث كانت حاسة لكن لأن محل الذوق يدرك به البرد و معلوم من حال المشرب أنه يكون باردا يبلغ فى اللذة ما لا يبلغه ما ليس كذلك فهذا معنى الكلام. و ربما قالوا فى قوله تعالى من قبل (وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً) كيف يصح ذلك و السبات و النوم واحد فكأنه قال و جعلنا نومكم نوما؟ و الجواب أن السّبات هو نوم مخصوص يجد الانسان فيه من الراحة ما لا يجده فى غيره و لذلك يوصف ذو النوم عند التعب بأنه فى سبات و لا يوصف بذلك إلا و قد غرق فى النوم فبين تعالى نعمته بهذا النوع و قوله تعالى (إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً) فالمراد به أنها طريق الكل ثمّ بالقرب منها يتميز المثاب من غيره كما قال تعالى (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۷

الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا) و أما قوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا) فقد قيل إن المراد به جبريل عليه السلام و قد قيل هو ملك فى صورة آدم صلّى اللّه عليه و سلم و قد قيل بل المراد من له الروح و هم بنو آدم فذكر تعالى انهم يقومون و الملائكة بهذا الوصف و أن جميعهم لا يتكلمون إلا بإذن الرحمن و أنهم لا يتكلمون فى الآخرة إلا بالصواب نبّه تعالى بذلك على الفصل بين الآخرة و الدنيا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۸

سورة النازعات

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً) ان ذلك قسم فعلى ما ذا وقع القسم؟ و جوابنا ان القسم قد يحذف جوابه اذا كان فى الكلام دليل عليه فكأنه قال لتحشرن و لتبعثن أو لترون يوم ترجف الراجفة تعظيما لحال ذلك اليوم و بعثا على الخلاص من أهواله.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها وَ أَغْطَشَ لَيْلَها) كيف يصح و السماء لا ليل فيها لأن الليل إنما يثبت بحركات الشمس فإذا ظهرت فهو نهار و إذا غابت فهو ليل و ذلك متعذر فى السماء؟ و جوابنا أن اضافة الليل إلى السماء كإضافة الشمس و القمر و النجوم الى السماء؟ لما كان لولاها، و لو لا حركات الشمس فى الأفلاك لم يكن ليل و لا نهار.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها) ان ذلك مخالف لقوله (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) (ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ). و جوابنا ان المراد بهذه الآية خلق نفس الأرض و أنه قبل السماء و المراد بقوله (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها) إنها و إن كانت مخلوقة فإن دحوها و بسطها متأخر فلا اختلاف فى ذلك فأما قوله تعالى من بعد (وَ الْجِبالَ أَرْساها) فهو تشبيه بإرساء السفن إذا استقرت فالمراد أنه وقفها فى أماكنها لا تزول و لا تحول و قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ طَغى وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى من أقوى ما يدل على أن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۴۹

العبد هو الفاعل لأنه لا يقال طغى فى فعل شىء إلا مع التمكن من فعله، و لا يقال آثر شيئا على شىء إلا و هو قادر على فعله و قوله تعالى (وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى يدل أيضا على تمكنه لأنه لا يوصف بذلك إذا كان الفعل مخلوقا فيه و فى قوله (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) مع أنه منذر للكل فائدة و هى أن من يخشى هو القابل للانذار و المنتفع به.

تنزيه القرآن (۲۹)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۰

سورة عبس

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وَ هُوَ يَخْشى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) كيف يصح وصفه للرسول بالتلهّى؟

و جوابنا ان العادل عن غيره لتشاغله بسواه يقال لهى عنه فليس ذلك من اللهو الذى هو اللعب و التشاغل بما لا يفعله العاقل، و عظم اللّه قدر القرآن بقوله (كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ) ثمّ إنه تعالى وصف الانسان بما يكون بعثا له على الطاعة فقال (قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ). فجمع هذه الكلمات ما يقتضى الخضوع للمعبود فقد خلقه كاملا ثمّ درجه الى أحوال الآخرة من الحشر و النشر ثمّ بيّن كيف قدر له الطعام مع ذلك بإنزال الماء و الإنبات و كيف قدر له أنعاما أيضا للطعام ثمّ بيّن مع ذلك أن يوم القيامة

(يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ) فان قيل كيف يفرّق فى الآخرة و لا مفر؟ فجوابنا أن المراد عدوله عنهم لعلمه بأنه لا ينتفع بهم و لا- ينتفعون به فيزول عن قلبه تلك الرقة و الشفقة الى غير ذلك من الأحوال و لذلك قال تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ).

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۱

قَتَرَةٌ أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) أما يدل ذلك على أنه ليس مع أهل الجنة الا الكفار؟ و جوابنا أن اثبات وصف الأمرين لا يدل على نفى ثالث إذا دل الدليل عليه فيجوز أن يكون بينهما من على وجهه غبرة و لا تلحقه القترة و هم الفساق الذين ليسوا بكفار بين ذلك قوله (أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) و فى الكفار من لا- يوصف بأنه فاجر فلو قيل للخوارج هل يجب فى كل كافر أن يكون فاجرا لم تجد فى ذلك من الجواب إلا ما ذكرنا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۲

سورة التكوير

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يعنى جبريل عليه السلام، كيف يصح إضافة القرآن اليه و هو كلام اللّه؟ و جوابنا أنه المظهر لذلك حتى لولاه لما عرف فصحّت إضافة القرآن إليه و قد يضاف كلام الغير إلى من تحمله و ذلك كثير فى اللغة. فأما قوله من قبل (وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) و قوله (وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) فيدل على انه تعالى يعيد كل هؤلاء يوم القيامة و يدل على أن من لا ذنب له لا يجوز أن يؤلم فيضل بذلك قول من يزعم فى أطفال المشركين أنهم يعذبون بذنوب آبائهم و يدل على بطلان القول بأن المعاصى مخلوقة من اللّه فى الانسان لأنه يجب أن يكون تعالى يعذّبه و لا ذنب له و قد نفى اللّه تعالى ذلك و أبطله و قوله تعالى (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) المراد به الاستقامة فأما غير ذلك فموقوف على الدليل.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۳

سورة الانفطار

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) كيف ينكر ذلك عليه مع وصفه نفسه بالكرم؟
و جوابنا أن المراد ما غرّك بذلك فى ارتكاب المعاصى العظيمة و لذلك قال تعالى بعد ذكر نعمه (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) و هذا أحد ما يدل على قدرة العبد على أن يعصى و لو لا ذلك لم يصح أن ينسب إلى الاغترار و قوله تعالى (وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ) هو بعث للمرء على الطاعة لأنه إذا تحقق فى كل ما يأتيه أنه محصى مكتوب فى صحيفته محاسب عليه زجره ذلك عن فعله و قوله تعالى (وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ) يدل على أن الفاجر من أهل الصلاة مخلد فى النار لأنه إذا لم يغب عن النار و لم يمت فهو كائن فيها، و يدل على أن الشفاعة لا تكون منه صلّى اللّه عليه و سلم لهم و إلا لم يكن ليعم كل فاجر بهذا الحكم.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ) أن ذلك تكرار لا فائدة فيه؟ و جوابنا أنه لما ذكر الأبرار و ما ينالونه من النعم و الفجار و ما ينزل بهم من العذاب جاز أن يقول (وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ) فيما يظهر فيه للابرار (ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ) فيما يحصل فيه للفجار و ذلك يفيد تعظيم شأن ذلك اليوم.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۴

سورة المطففين

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) كيف يصح و المطفف قد يطفف اليسير و ذلك من الصغائر؟ و جوابنا أن المراد ويل له بشرط أن لا يكون معه من ثواب طاعاته ما هو أعظم و بشرط أن لا يكون معه توبة فلا يلزم ما ذكروه؛ و بيّن تعالى أنهم إذا اكتالوا لأنفسهم يستوفون و إذا كالوا غيرهم يخسرون و ينقصون ثمّ زجر عن ذلك بقوله تعالى (أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) فإذا كانت هذه حالة مطفّف فكيف حال من يأخذ أموال الناس بغير حساب و قوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) لا يدل على قوله المشبهة لان المراد تعظيم شأن ذلك اليوم في العقاب و الثواب و لا يعظم بأن يكون تعالى قائما فيه تعالى اللّه عن ذلك فالمراد إنزاله بأهل الثواب و العقاب ما يستحقون و لذلك ذكر بعده الفجار و الأبرار لبيان حال كل واحد منهم و عظم شأن الابرار بتعظيم كتابهم و حقر شأن الفجار بتحقير الكتاب، ثمّ بيّن تعالى ما ينال المؤمن في الدنيا عن المجرمين و أنهم يضحكون منهم و ما يؤول أمر المؤمنين إليه في الآخرة من النعيم العظيم فقال (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ) فنبه بذلك على أن صنيع الفجّار و بال عليهم و أنه منقطع كأن لم يكن، و صنع المؤمنين بالفجار ما ذكره تعالى مع كونهم في نعيمهم يكونون أبدا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۵

سورة الانشقاق

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) أين الجواب لهذا الكلام؟ و جوابنا أن المراد و اذكر إذا السماء انشقت و تدبر إذا السماء انشقت فهو تنبيه على حال ذلك اليوم و ترغيب في الطاعة فلذلك قال تعالى بعده (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) و ذكر تعالى من أوتي كتابه بيمينه و كيف يكون حسابه و انقلابه إلى أهله مسرورا و كيف حال من أوتي كتابه وراء ظهره و أنه الآن يدعو ثبورا و يصلى سعيرا و قد كان من قبل في أهله مسرورا، و اذا ميّز التالي لهذه السورة بيّن هذين الامرين اللذين أحدهما يدوم و لا يبيد و الآخر ينقطع و يصير وبالا رغبة ذلك في الطاعة و عمارة أمر الآخر و قوله تعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) و قد دخل تحته المؤمن و الكافر يدل على أن المراد بكل لقاء ذكره اللّه تعالى في كتابه لقاء ما وعد و توعد لا كما يتعلق به من يقول إن اللّه يرى فيظن أن اللقاء إذا أضيف الى اللّه تعالى دلّ على الرؤية.

[مسألة]

و ربما قيل في قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً وَ يَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ

ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَ يَصْلى سَعِيراً) كيف يصح ذلك و قد ذكر تعالى فى عدة مواضع

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۶

اليمين و الشمال و ذلك مختلف؟ و جوابنا أنه لا يمتنع فيمن أوتى كتابه بشماله أن يكون فيهم من أوتى كتابه بشماله فقط، و فيهم من يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره فلا يعد ذلك مختلفا و يحتمل أن فى كل من يؤتى كتابه بشماله أن يؤتى على هذا الوجه فلا يتناقض ذلك أيضا. و ربما يقال فى جواب (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) انه فى قوله تعالى (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ) فكأنه قال انك كادح (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۷

سورة البروج

[مسألة]

و ربما يقال أين جواب القسم فى قوله (وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ)؟ و جوابنا انه قوله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) و قد قيل إنه محذوف و يحتمل ان يكون قوله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) و قد قيل إنه محذوف و يحتمل ان يكون قوله (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) جوابه و قوله (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) لا يدل على قول المشبهة فى أن العرش مكانه لأن هذه الاضافة تصح فى فعله كما تصح فى المكان و قوله (فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ) انما يدل على أن ما يريده يفعله و لا يدل على أن كل فعل يقع هو مراده.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۸

سورة الطارق

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ) كيف يصح أن لا تكون له قوة و إن كان يصح أن لا تكون له نصرة؟ و جوابنا أن المراد لا قوة له على دفاع ما ينزل به كما لا ناصر له و ذلك من اللّه تعالى زجر و تخويف و فيه دلالة على ما نقوله و ذلك لأنه لو كان لا قدرة له فى الدنيا على الايمان لم يكن ليصح أن يهدّد بذلك و يبكّت و يدل على أنه لا شفاعة لأهل العقاب لأنه لو كان لهم شفيع لكان لهم أقوى ناصر و قوله (وَ أَكِيدُ كَيْداً) فالمراد به إنزال العقاب بهم من حيث لا يشعرون فى الآخرة و يحتمل أن يريد إنزاله الخذلان بهم فى الدنيا من حيث لا يشعرون و ذلك تشبيه لا تحقيق.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۵۹

سورة الأعلى

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ) كيف يصح و التسبيح هو التنزيه أن ينزه الاسم و إنما يصح تنزيه المسمى الذى هو اللّه تعالى؛ و هلا دلّ ذلك على أن الاسم عين المسمى؟ و جوابنا ان الاسم غير المسمى لأنه حروف مؤلفة تسمع و تكتب و ليس كذلك المسمى لكن المراد تنزيهه تعالى فذكر الاسم و أريد المسمّى تعظيما و تفخيما، و ربما يقول القائل فى نبينا صلّى اللّه عليه و سلم صلوات اللّه على ذكره و يريده نفسه فيكون ذلك أدخل فى الاجلال و لذلك قال تعالى بعده (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) و ذلك من صفاته

لا من صفات الاسم.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ) كيف يصح ذلك و النسيان من فعل اللّه تعالى لا من فعل العبد؟
و جوابنا أن المراد سنقرئك فلا تترك تعهد ما أنزلنا عليك و لا تدع التمسك بالعمل به و يكون معنى قوله تعالى (فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ) بطريقة النسخ فإنه إذا نسخ تلاوة شىء كان متروكا و لا يجب أيضا العمل به إذا نسخ معناه و حكمه.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى كيف يصح ان يأمره بأن يذكر من تنفعه الذكرى و قد علمنا أنه يلزمه أن يذكر من هذا حاله و من لم تنفعه الذكرى بأن لا يقبل و يتمرد؟ و جوابنا أن
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۰
المراد تجديد الذكرى على من هذا حاله و إن كان البيان من جهته قد حصل بكل و من المعلوم أن من حاله أن تنفعه الذكرى يكون فى جملة ألطافه تكرير الذكرى عليه و يحتمل أن يريد الكل سواء قبلوا أم لم يقبلوا لأنهم إن لا يقبلوا لا يخرجوا من أن تكون الذكرى قد نفعتهم كما ينتفع الجائع بتقديم الطعام إليه و إن لم يختر الأكل.

[مسألة]

و ربما قيل ما معنى قوله تعالى (وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى كيف يصح أن يكون فى النار لا حيّا و لا ميتا؟ و جوابنا أن المراد أنه لا يموت فيستريح من من ذلك العقاب و لا يحيى حياة ينتفع بها.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۱

سورة الغاشية

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ) كيف يصح ذلك فى الوجوه و ذلك من صفات الحى الذى الوجه بعضه؟ و جوابنا أن المراد جملة المرء دون العضو و قد يذكر الوجه و يراد به نفس الشىء كما يقال هذا وجه الأمر و على هذا الوجه تأول العلماء قوله (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) و لذلك قال تعالى بعده (تَصْلى ناراً حامِيَةً تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) و ذلك منه تعالى زجر عن المعاصى التى تؤدى إلى هذا الوصف و قوله تعالى (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) تدل على قدرتها على خلاف ذلك لان من خلق فيه الشىء لا يوصف بهذا الوصف ثمّ بيّن تعالى الفضل بينهم و بين أهل الجنة فقال تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ لِسَعْيِها راضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ) فرغب بذلك فى الطاعة ثمّ عطف على الجميع فقال تعالى (أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) بعث بذلك على النظر فى أدلة اللّه تعالى و نعمه ثمّ قال (فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) فبيّن أن الذى اليه هذا القدر قبلوا أو لم يقبلوا. و دل بذلك على أنهم ممكنون لان الامر من اللّه تعالى لرسوله بأن يذكر لا يصح و المرء قد خلق فيه ما يمنعه من الكفر و قدرة الكفر.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۲

سورة و الفجر

[مسألهٔ]

ربما تعلقت المشبهة بقوله تعالی (وَ جاءَ رَبُّکَ وَ الْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا). و جوابنا أن المراد أمر ربک فلو جاز المجیء علیه لجاز علیه المشی و الانتقال و من هذا حاله لو جاز ان یکون قدیما لم نثق بأنّ العلم محدث و هذا کقوله تعالی (وَ سْئَلِ الْقَرْیَةَ) فاذا لم یمکن توجه السؤال الیها حملناه علی من یصح أن یسأل و کذلک قوله تعالی (وَ جاءَ رَبُّکَ) و قوله تعالی (یَوْمَئِذٍ یَتَذَکَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنَّی لَهُ الذِّکْری یَقُولُ یا لَیْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَیاتِی) دلیلنا علی أن العبد فی الدنیا قادر علی الایمان و ان کان کافرا و الا ما کان یصح أن یتمنی ما لا یقدر علیه و لا کان یصح أن یوصف بأنه یتذکر و أنی له الذکری لأنه علی قولهم فی الدنیا أیضا کان لا تمکنه الذکری.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۳

سورهٔ البلد

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی کَبَدٍ) ما معنی ذلک و انما خلق الانسان فی بطن امه؟ و جوابنا أن المراد أحد الأمرین أما ما ذکر عن الحسن أنه خلق یکابد السّرّاء و الضّرّاء و شدائد الدنیا، أو یکون المراد مکابدته فی الوضع فانه تلحقه الشدهٔ فی ذلک و قوله تعالی (أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ) یدل علی أنه قد هدی الکل من کافر و مؤمن.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۴

سورهٔ و الشمس

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها) بعد قوله تعالی (وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها) أ لیس یدل ذلک علی أن الفجور و التقوی من خلق اللّه تعالی؟ و جوابنا أن المراد بقوله تعالی (فَأَلْهَمَها) أعلمها و بیّن لها الفجور لتجتنب ذلک و التقوی لتقدم علیها فلا یصح ما قالوه و قوله تعالی من بعد (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکَّاها) لا یدل علی أنه تعالی یخلق فی العبد ما به یتزکی لأن المراد قد افلح من زکّی نفسه بأن یفعل ما به یصیر زکیا او یکون المراد من وصف نفسه بالایمان و الطاعهٔ لا علی وجه التفاخر لکنه علی وجه دفع التهمهٔ عن نفسه فلا یدل علی ما قالوه.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۵

سورهٔ و اللیل

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَأَمَّا مَنْ أَعْطی وَ اتَّقی وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْری أ لیس قد خص من هذه صفته بأنه یسّره للایمان فیجب أن یکون مخلوقا من قبله فیهم و کذلک قوله تعالی (وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنی وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْعُسْری ؟ و جوابنا أن المراد بالیسری الثواب العاجل و الآجل و بالعسری العقاب العاجل و الآجل فلا یصح ما قالوه و یحتمل أن یکون المراد فیمن صدّق بالحسنی تیسیره للالطاف التی لأجلها یثبت علی الایمان و فیمن کذّب بالحسنی تیسیره لأمور لأجلها یفضل الثبات علی ما هو علیه

فيكون كقوله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ) و قوله تعالى (إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى يدل على ان الهدى هو البيان فانه تعالى بالتكليف قد أوجبه على نفسه.

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى) أ ليس يدل ذلك على ان من لم يكذب و يتولى لا يصلى النار و هذا يدل على ان فساق أهل الصلاهٔ

تنزيه القرآن (۳۰)

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۶

آمنون من النار؟ و جوابنا ان المراد به نار مخصوصهٔ لا يصلاها إلا هؤلاء الكفار لأن هناك نيرانا و لها مراتب فلا يدل على ما قالوه و بيّن ذلك ان فى الكفار من لا يوصف بأنه يكذب و يتولى فلو سئلوا عنهم لم يكن جوابهم إلّا هذا الذى ذكرنا فلا يمتنع فى الفساق أن يكونوا فى غير هذه النار و بين فى الفساق ذلك بقوله تعالى (وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي) فمعلوم أن غير الأتقى يجنبها أيضا كمن ليس بمكلف من المجانين و الاطفال.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۷

سورهٔ و الضحى

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى أ ليس ذلك يدل على جواز الضلال على نبينا صلّى اللّه عليه و سلم و على سائر الانبياء؟

و جوابنا أن المراد بذلك ضالّا عن النبوّهٔ و الرسالهٔ و سائر ما خص اللّه تعالى به نبينا صلّى اللّه عليه و سلم من التعظيم و غيره فهداك اللّه إليها لأنه فى اللغهٔ قد يقال ضلّ عن كيت و كيت إذا كان ذلك طريق منافعه و لم يقل اللّه تعالى و وجدك ضالا عن الدين حتى يصح تعلقهم و قوله تعالى (وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) يدل على وجوب الشكر للّه تعالى على نعمهٔ ظاهرهٔ لا خفيّهٔ و يدل قوله تعالى (وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) على وجوب الاحسان الى السائل إما بالعطيهٔ و إما بالبشر و الطلاقهٔ كما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم (اتّقوا النّار و لو بشقّ تمرهٔ فإن لم يكن فبكلمهٔ طيّبهٔ).

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۸

سورهٔ أ لم نشرح

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) ان ذلك يدل على ان إيمانه من اللّه تعالى لأن شرح صدره إنما يقع بالايمان.

و جوابنا أن شرح الصدر ليس من الايمان بسبيل و ان كان قد يتقدم الايمان و يتبعه و المراد بذلك تكرير الأدلهٔ و المعجزات عليه على ما بيّنه اللّه تعالى فى كتابه فى غير موضع و أما قوله تعالى (وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) فلا يدل على جواز الكبائر عليه و قد يقال إنه تعالى امتن عليه بأمر كان يجوز أن يفعله و لو كان ذلك من الصغائر لم يصح ذلك فيه؟ و جوابنا ان الكبائر لا تجوز على الانبياء و المراد بذلك ما يتفق على وجه السهو من الصغائر؛ و الصغائر يضعها اللّه تعالى و يرفعها و قد يكون ذلك مما لا يجوز فى الحكمهٔ أن

لاـ یفعله و قوله تعالی من بعد (الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ) فی وصف ما وضعه من الوزر لا یدل علی أنه من الکبائر إذ المراد أنه انزل به الشدائد من حیث یلزمه من التوبهٔ و الندامهٔ ما فیه کلفهٔ فأما قوله تعالی (وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ) فمن جملهٔ ما امتن به من النعم لأن ذلک مما یقتضی سرورا عظیما و قد ذکر فی الخبر أنی لا أذکر إلا ذکرت معی کما فی الآذان و غیره.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۶۹

سورهٔ و التین

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ) کیف یصح ذلک و نحن نعلم ان فی الصورهٔ المقدور علیها ما هو أحسن من خلق الانسان؟ و جوابنا ان المراد بذلک البنیهٔ التی خصّ اللّه تعالی بها الانسان فهی أحسن من سائر البنی التی خلق علیها سائر الحیوانات و إن کانت صورهٔ الانسان تتفاوت و تتفاضل.

[مسألهٔ]

و ربما قیل ما معنی قوله تعالی (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِینَ) أما یدل ذلک علی انه رده من الایمان إلی الکفر؟ و جوابنا أن المراد رددناه إلی العقاب الذی هو علی الوصف اذا تمرد و عصی زجر بذلک العبد عن المعاصی و لذلک قال بعده (إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ) و هذا الاستثناء لا یلیق الا بما قلنا.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۰

سورهٔ العلق

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (کَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی أ لیس ذلک یدل علی أنه أغناه و إن ادی ذلک الی الطغیان و هذا هو المفسدهٔ التی تنزهون اللّه تعالی عن فعلها؟ و جوابنا انه لیس فی الظاهر انه تعالی فعل ذلک حتی ذلک السؤال و قد یجوز ان یقول (کَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی و یغنیه مع ذلک و یجوز أن یقول و لا یغنیه لأجل ذلک و مع ذلک فلیس فیه دلالهٔ علی انه لو لم یستغن کان لا یطغی بل یجوز ان یطغی علی کل حال عند ذلک و عند عدمه فلا یدل علی ما قالوه و یجوز ان یکون المراد یطغی بما یتمکن منه عند الاستغناء، و لو لا ذلک کان لا یتمکن کالانفاق فی وجوه المعاصی فیکون ذلک تمکینا لا مفسدهٔ و هذه الآیهٔ تدل علی ان العبد یتمکن من الطاعهٔ إذا عصی لأنه لا یجوز فی الاستغناء أن یدعوه الی المعصیهٔ إلّا و هو متمکن من الامرین و لو کان ما فیه من الکفر خلقا للّه کان لاـ یصح ذلک و قوله تعالی من قبل (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ) أحد ما استدل به العلماء علی أن القرآن مخلوق لأنه تعالی ذکر اسم ربه ثمّ وصفه بأنه خلق فیترجح أن یکون هذا الوصف راجعا إلیه و ان جاز ان یرجع الی غیره.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۱

سورهٔ القدر

[مسألهٔ]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) كيف يصح أن يراد به القرآن و لم يتقدم له ذكر؟

و جوابنا انه قد تقدم ذكره فى قوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) و غير ذلك، و اذا صار الامر معروفا جاز ان يحذف ذكره لعلم التالى به.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) كيف يصح ذلك و هل المراد به خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر و نفس الليلة كيف يصح ان تكون خيرا؟ و جوابنا ان المراد العمل فيها خير من العمل فى الف شهر تخلو عن ليلة القدر و ليس فى الآية تفصيل ذلك و ان هذا الخير فى كل المكلفين أو بعضهم فى كل الاعمال أو فى بعضها فيحتمل أن يريد انها خير على الجملة للعباد و يحتمل لكل مكلف و يحتمل ان تكون خيرا من ألف شهر لما يفيضه اللّه فيها من الأرزاق و النعم فلا يصح ما سألوا عنه و لذلك أتبعه تعالى بقوله (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) فنبه على ما ذكرناه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۲

سورة البينة

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا) ما الفائدة فى قوله تعالى (حُنَفاءَ) و اذا عبدوا اللّه و اخلصوا كفى ذلك؟ و جوابنا ان المراد مستقيمى الطريقة لأنهم أمروا بأن يعبدوا اللّه مخلصين له الدين على هذا الوجه و قد قيل فى الاخلاص أن المراد به تخليص الطاعات من الكبائر فيشهد لما ذكرناه و يجوز أن يراد به و ما أمروا إلا بذلك على هذا الوجه السهل كما قال صلّى اللّه عليه و سلم بعثت بالحنيفيّة السّمحاء و هذه الآية دالة على أن كل عبادة من الدين و على أن ما يعبد اللّه به يجب أن يفعل على هذا الوجه و فعله على هذا الوجه دون غيره لا يتم إلا و العبد متمكّن من فعله على غير هذا الوجه و قوله تعالى (وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) يدل أيضا على ما ذكرنا.

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ) أ ليس يدل ذلك على ان فى الكفار من ليس بمشرك و كذلك قوله تعالى فى أول السورة يدل على ذلك؟

و جوابنا انه فى أصل اللغة المشرك هو الكافر المخصوص الذى يتخذ مع اللّه شريكا لكن من جهة عرف الشرع أطلق ذلك على كل كافر كما عقل من قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۳

لِمَنْ يَشاءُ) و من قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فلا يمتنع أن يفصل بينهما فى بعض المواضع و هذا كما يقال مثله فى المسكين و الفقير و قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) الى قول اللّه (ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) يدل على ان العلماء خير البرية لقوله (إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ) و انت إذا جمعت بين الآيتين تثبت ما ذكرناه.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۴

سورة الزلزلة

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ) أ لیس ذلک یوجب ان الکافر و الفاسق إذا فعلا طاعات یریان ثوابها و ذلک خلاف قولکم؟

و جوابنا ان الخیر المستحق علی الطاعة هو الثواب و انما یستحقه فاعل الخیر اذا لم یکن معه معصیة أعظم من الطاعة فأما اذا کانت معاصیه من باب الکفر و الفسق فلن یری ذلک لأن الوعد و الوعید مشروط بما ذکرنا فی الثواب و العقاب و بعد فإن من یفعل الخیر اذا کانت أحواله سلیمة یری ثوابه و اذا کانت غیر سلیمة باقدامه علی المعصیة یری أیضا التحقیق بذلک من عقابه فیستقیم الکلام علی هذا الوجه.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۵

سورة العادیات

[مسألة]

و ربما قیل کیف یصح ان یقول تعالی (إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَکَنُودٌ) و لیست هذه حال کل انسان؟ و جوابنا أنه تعالی أتی بوصف لهذا الانسان یدل علی المراد به الخصوص و هو قوله تعالی (وَ إِنَّهُ عَلی ذلِکَ لَشَهِیدٌ وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَیْرِ لَشَدِیدٌ) و یحتمل أن یراد ان الجمیع کذلک لکن بعضهم یصرف نفسه عمّا حیل علیه من الهوی و الشهوة و بعضهم علی خلاف ذلک فیکون الکل داخلین فیه و یکون المراد هذه طریقة من انصرف عن هذا الامر أو أقدم علیه و ذلک زجر من اللّه تعالی عن المعاصی و لذلک قال بعده (أَ فَلا یَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِی الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِی الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ یَوْمَئِذٍ لَخَبِیرٌ) و اذا تصور المرء فی کل ما یأتی و یذر أنه تعالی عالم خبیر کان ذلک زاجرا له عن المعاصی.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۶

سورة القارعة

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِینُهُ فَهُوَ فِی عِیشَةٍ راضِیَةٍ وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ فَأُمُّهُ هاوِیَةٌ) أ لیس ذلک یدل علی موازین لکل أحد و ما معنی قوله (فَأُمُّهُ هاوِیَةٌ) و کیف تکون جهنم أمّا للبشر؟ و جوابنا أنه لیس هناک ثقل فی الحقیقة لان اعمال المکلف قد تقضّت و هی مع ذلک عرض لا ثقل فیه و إنما أراد بذلک رجحان طاعته علی معاصیه فشبه بما یوزن من الاشیاء الثقیلة و لا ینکر مع ذلک أن یکون هناک موازین یوزن بها صحائف أعمال العباد فیبین حال من رجح فی باب الطاعة و إنما قال تعالی (وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ فَأُمُّهُ هاوِیَةٌ) تنبیها بذلک علی لزوم العقاب له کلزوم الأم للشیء و ذلک ممّا إذا تبیّنه التالی عرف کثرة وجوه الفائدة فی هذا الکلام القلیل و عرف به مزیّة القرآن فی الفصاحة.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۷

سورة التکاثر

[مسألة]

و ربما قیل فی قوله تعالی (کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) کیف یحسن هذا التکرار؟ و جوابنا أن المراد بهما مختلف فالمراد بالأول (کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما ینزل بکم فی الدنیا فی حال الحیاهٔ و الممات، و المراد بالثانی (ثُمَّ کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما یکون لکم فی الآخرهٔ من ثواب و عقاب و هذا بعث من اللّه تعالی علی التمسک بطاعته و قوله تعالی من بعد (کَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ) المراد به التنبیه علی تقصیرهم فی المعرفهٔ و ذلک خاص ببعضهم و قوله تعالی (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ) یدل علی ان الواجب الشکر للّه تعالی علی نعمه و ان من لم یفعل یسأل عن ذلک و هذا یدل علی قدرته علی القیام بحق الشکر و إلا لم یکن یسأل عنه بل کان یجب ان کان تعالی یخلق فیه کفر النعمهٔ أن یکون سائلا نفسه و محاسبا لنفسه تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۸

سورهٔ العصر

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ) کیف یصح ذلک و اللّه تعالی خلقه لینتفع؟ و جوابنا ان المراد المکلف دون غیره فبین أنه لفی خسر إلا الذین آمنوا ثمّ بیّن صفتهم فقال تعالی (إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) و لم یقتصر علی ذلک حتی وصفهم بالنظر فی أمر غیرهم لأن المکلف کما یلزمه ما یخصه من ایمان و عبادهٔ کذلک یلزمه ما یتعلق بغیره من أمر بمعروف و نهی عن منکر و تعلیم للدین و صرف عن الباطل فلذلک قال تعالی (وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ) و هاتان الکلمتان قد دخل فیهما کل امر یلزم المرء فی غیره و ان فسرناه طال القول فیه.

نسخهٔ: حاشیهٔ وجدت بخط الیشکری من أصحاب أبی رشید سألت قاضی القضاهٔ عن الامر الذی یلزم المرء فی غیره ما هو قال هو کثیر من جملته ما یدخل فی قوله تعالی (وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ) و الدعاء الی الدین و التوحید و العدل و الانصاف فی المعاملات و الامر بالمعروف و النهی عن المنکر و اصلاح ذات البین و یدخل فی قوله (وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ) و هو الصبر علی الطاعات و الصبر عن المعاصی و الصبر علی ما یلحق المرء من المحن و الشدائد و المصائب من جهة اللّه تعالی و من جهة عباده الظلمهٔ بان لا یجزع و لا یهلع و لا ینتصف من ظالمه بأکثر من حقه و لا یریده بأکثر مما حده الله فیه و لا یحمله الغضب و الجزع علی ان یتعدی فیه الی حد ذم فان من الناس من اذا لحقته محنهٔ من ظالم یرید ان یلحق سائر الناس مثل ما لحقه و لو تمکن منه و من التشفی به لفعل و ربما سعی به الی السلطان و کل هذا مما نهی اللّه عنه و الواجب علی المؤمنین ان یوصی بعضهم بعضا بذلک کما ندب اللّه الیه. وفقنا اللّه للعمل بما یرضیه و یزلفنا الیه و السلام اه.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۷۹

سورهٔ الهمزهٔ

[مسألهٔ]

و ربما قیل هل یدخل فی قوله تعالی (وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) غیر الکافر او لا یدخل فیه الا الکفار؟ و جوابنا ان ذلک محتمل لاجل قوله تعالی (یَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ) و ذلک مما لا یلیق إلا بالکفار الذین لا یعتقدون فی أموالهم انها من قبل اللّه تعالی فلذلک رجحنا قول من صرف ذلک إلی الکفار.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۰

سورهٔ الفیل

[مسألهٔ]

و ربما قیل فیه کیف یصح فی الطیر الصـغیر أن یرسل الحجر فیؤثر فی الناس التأثیر الذی ذکره اللّه تعالی فی هذه السورهٔ؟ و جوابنا ان ذلک یصـح من احـد وجهین إما بأن یزیـد اللّه تعالی فی قوهٔ الطّیور فلزیادهٔ قوتهم یؤثر ذلک الحجر التأثیر العظیم، فقد روی ان ذلک الحجر کان ینفـذ فی الراکب و فی فرسه حتی یخرقهما جمیعا و الثانی ان یکون اللّه تعالی عند رمی الطیر کیف یفعل فیه من الانحدار الشدید ما یؤثر هذا التأثیر. فان قیل کیف یصح ذلک و لم یکن فی الزمان نبی و هذا من المعجزات العظام؟ و جوابنا أنه لا بد من نبی فی الزمان یکون هذا الامر معجزهٔ له و قد کان قبل نبینا أنبیاء بعثوا الی قوم مخصوصین فلا یمتنع أن یکون هذا الأمر ظهر علی بعضهم کما روی انه صلّی اللّه علیه و سلم قال فی خالد بن سنان ذلک نبی ضیعه قومه، و کما قال فی قس بن ساعدهٔ أنه یبعث یوم القیامهٔ امهٔ واحدهٔ لقلهٔ من قبل عنه فهذه طریقهٔ الکلام فی هذا الباب.

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۱

سورهٔ قریش

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَلْیَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَیْتِ الَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) کیف یصح ذلک و معلوم أن فیهم من لم یطعمه اللّه من جوع کالـذین یقطعون الطریق و یفسـدون فی الارض و فیهم من لم یؤمنه من خوف کالـذین یخافون الفتن و غیرها فی تلک البقعـهٔ و غیرهـا؟ و جوابنـا أن قوله تعـالی (فَلْیَعْبُـدُوا رَبَّ هـذَا الْبَیْتِ) مخصوص لأـنه راجع إلی قوله تعـالی (لِإِیلافِ قُرَیْشٍ إِیلافِهِمْ رِحْلَهَ الشِّتـاءِ وَ الصَّیْفِ) فانمـا ورد فی هؤلاـء التجـار و هؤلاـء لاـ یمتنع أن یکون ما ذکره اللّه تعالی واقعا فیهم فأطعمهم اللّه جمیعهم من جوع و آمنهم من خوف، فـان قیـل فـان کـان اللّه تعـالی أطعمهم فیجب أن یکون هو الخالق للأکل فیهم کما یقوله أهل الاجبـار؟ و جوابنـا أنه من جهـهٔ العـادهٔ یقـال ان فلانـا أطعم القوم اذا مکنهم من الأکـل و أبـاح ذلـک لهم فلمـا کـان تعـالی أباح لهم التصـرف فی التجـارات و غیرهـا و رزقهم من ارباحهـا مـا یکون طعامـا لهم جـاز أن یصف نفسه بـأنه اطعمهم من الجوع و آمنهم من الخوف و معلوم أنه قـد خص اللّه تعـالی هـذه البقعـهٔ من الأـمن بمـا باینت به غیرها من البقاع و لم یقل تعالی و آمنهم من کل خوف فورود بعض أسباب الخوف علیهم لا یخرجهم من أن یکونوا قد آمنوا من بعض آخر.

تنزیه القرآن (۳۱)

تنزیه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۲

سورهٔ الماعون

[مسألهٔ]

و ربما قیل فی قوله تعالی (فَوَیْلٌ لِلْمُصَـلِّینَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) کیف یصح مع السهو؛ و السهو من قبل اللّه تعالی و الساهی معـذور فیمـا سـها عنه فکیف یکون له الویـل؟ و جوابنا أن المراد بقوله تعالی (الَّذِینَ هُمْ عَنْ صَـلاتِهِمْ ساهُونَ) لیس هو السـهو الـذی یفعله تعالی فیهم بل هو ما ینالهم من الغفلهٔ لقلهٔ توفرهم علی الصلاهٔ و قد اوجب اللّه تعالی علی المکلف ان یتوفر بقلبه و بدنه و لسانه علی الصـلاهٔ فاذا قصـر فی ذلک مع التمکن جاز ان یوصف بأنه سـها عن صـلاته فهـذا هو المراد و لـذلک قال تعالی بعده (الَّذِینَ هُمْ

يُراؤُنَ وَ يَمْنَعُونَ الْماعُونَ) و المرائى بما يفعله لا يجوز ان يكون ساهيا على الوجه الذى يكون معذورا معه فى تلك العبادة.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۳

سورة الكوثر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ) ما وجه تعلق النحر بالصلاة حتى يعطف عليها و ما وجه تعلق هذا الامر بانعام اللّه تعالى عليه بالكوثر؟ و جوابنا أنه قد روى عن امير المؤمنين أن المراد به وضع احدى اليدين على الاخرى عند الصدر و لذلك تعلق بالصلاة لأنه أحد ما سن فيها على ما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال ثلاث من سنن المرسلين احدهما وضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة و قد قيل ان المراد بهذا النحر ما له تعلق بالصلاة يوم الاضحى و فى المناسك و قيل إنه تعالى ذكر فى العبادات ما هو الاشق من الصلاة و أتبعه بما هو الأشق فى نفار الطبع.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۴

سورة الكافرون

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) كيف يحسن ذلك فى الحكمة مع التكرار الذى فيه؟
و جوابنا أنه لا تكرار فى ذلك لان قوله تعالى (لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) المراد به فى المستقبل و قوله تعالى (وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ) المراد به فى الحال (وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ) المراد به فى المستقبل و فى الحال أى لا أعبد ما تقدمت عبادتكم له، و من يعد ذلك تكرارا فمن قلة معرفته و تدبره لأنه ينظر الى اللفظ و يعدل عن تأمل المعنى.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۵

سورة النصر

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) ما وجه تعلق الأمر بأن سبح بما تقدم ذكره و معلوم أنه مأمور بذلك فى كل حال؟
و جوابنا ان المراد (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) لاجل هذه النعمة العظيمة و هى النصر و الفتح و توفر الناس على الدخول فى الدين لأن كل ذلك من النعم الزائدة على محمد صلّى اللّه عليه و سلم و عند كل نعمة متجددة يجب الشكر المتجدد فأمره اللّه تعالى بذلك و بالتوبة و الانابة لأنه ما من حال يجب فيها شكره و تنزيهه الا و يجب معها التوبة و قد قيل ان السورة نزلت آخرا و قد نعى الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نفسه فنبه بهذا الكلام على ما ينبغى أن يتسدد فيه عند مفارقة الدنيا.
تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۶

سورة المسد

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (تَبَّتْ يَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ) كيف يصح أن يعرّفه اللّه تعالی بأنه سيصلی النار و أنه لا يؤمن و مثل ذلك اذا عرفه المرء صار كالصّارف عن الإيمان و الإغراء بالكفر؟ و جوابنا أن فی العلماء من قال ان هذا الخبر مشروط كما شرط اللّه تعالی فی الوعد الثبات علی الطاعة و اجتناب الكبائر و شرط اللّه تعالی فی الوعيد أن لا يتوب و لا يأتی بطاعة أعظم من معاصيه و اذا كان مشروطا فيجوز أن يؤمن فيخرج عن أن يكون خاسرا و أن يكون ممن يصلی النار قطعا و من العلماء من قال يجوز أن يكون مقطوعا به و إعلامه بذلك لعلم اللّه تعالی فيه أنه لا يؤمن و لا يمنع ذلك من حسن التكليف لانه فی أن لا يؤمن إنما يؤتی من قبل نفسه و علی هذا اختلفوا أيضا فی تعريف اللّه له هل هو بأنه لا يؤمن أو بأنه يبقی الی حين.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۷

سورة الاخلاص

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (اللَّهُ الصَّمَدُ) أ ليس فی الرواية أنه المصمت الذی لا جوف له و ذلك يدل علی ما تقوله المشبهة؟ و جوابنا أن المروی عن ابن عباس أن الصمد السيد و المروی عن الحسن و غيره أنه الذی يصمد اليه فی الحوائج و يفزع اليه فی الطلبات و كلاهما من أوصاف اللّه تعالی التی تمنع من أن يكون جسما لان السيد الذی لا يتقدمه غيره فی السؤدد و غيره لا يجوز أن يكون جسما و لأن من يفزع فی الامور علی كل حال لا يجوز أن يكون جسما. و فی الخبر ان بعض أهل الكتاب قالوا للنبی صلّی اللّه عليه و سلم أنعت لنا ربك أ من ذهب أم فضة فأنزل اللّه تعالی هذه السورة و بين لهم فيها فساد ما اعتقدوه لان قوله تعالی (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) يتضمن أنه الذی تحقّ له العبادة و ذلك لا يصح إلا للقدرة علی خلق من يستحق أن يعبده و الانعام عليه بالعقل و غيره ثمّ قال فی وصفه إنه أحد و لا يكون واحدا لا عديل له إلا و هو قديم لا يشبه الاجسام و لا مثل له و لا نظير فی الآلهية و ثمّ قال تعالی (اللَّهُ الصَّمَدُ) فأعاد ذكر الآلهية عند وصفه إليه فی الأمور ثمّ قال تعالی (لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ) فبيّن أن ذلك مستحيل عليه و لو كان جسما لم يستحل عليه ذلك ثمّ قال تعالی (وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) ليعلم انه لا نظير له ينازعه فی الملك و هذا إذا تأمله المرء عرف دخول كل أوصاف اللّه تعالی من الوحدة و العدل فی جملته لأن الآلهية تقتضی علی الاجسام و الفعل و الحياة و غيرهما و تقتضی العلم بأن المكلف كيف يعبد و كيف

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۸

يصل إلی الثواب و يقتضی ذلك أنه حیّ لان القادر العالم يجب أن يكون حيّا؛ و الحی اذا انتفت عنه الآفات يجب أن يكون سميعا بصيرا مدركا للمدركات و لا بد من أن يكون موجودا ليصح أن يكون قديما موصوفا هذه الاوصاف و الالهية تفيد الحكمة، و الحكمة تقتضی أن لا يفعل القبيح فليس لأحد أن يقول كيف يصح فی هذه السورة أن تكون جوابنا لقولهم الذی قالوا.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۸۹

سورة الفلق

[مسألة]

و ربما قيل فی قوله تعالی (مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ) إن ذلك يدل علی أن الشر من قبله كما أن الخير من قبله؟ و جوابنا أنه لو كان كما قالوا

لوجب ان يكون شرّيرا لكثرة الشر الذى يقع منه و أن يوصف بأنه من الاشرار فالمراد من شر خلقه، فالشر يضاف الى خلقه لا إليه. تعالى اللّه عن ذلك و فى جملة ما خلق ما يكون الشر منه كالحيّات و العقارب و غيرهما و على هذا الوجه أمر اللّه تعالى بأن يتعوذ من شرّ حاسد إذا حسد، و معلوم انه ليس يقع منه عند الحسد إلا ما يجرى مجرى الحيل و نبه تعالى بذلك على ان الواجب التحذر مما يضر فى الدنيا بالقول كما ينبغى ان يتحرز بالفعل و جعل ذلك كالسبب فى التحرز من المعاصى لأنه اذا شدّد فى التحرز من هذه الامور التى تقل مضارها كان التحرز من عقاب الآخرة أقرب.

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۰

سورة الناس

[مسألة]

و ربما قيل فى قوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ) أ ليس ذلك يدل على ان الشيطان يؤثر فى الانسان حتى أمرنا بأن نتعوذ من شرّه و انتم تقولون إنه لا على شىء من ذلك؟ و جوابنا أنه تعالى بيّن أن هذا الوسواس من الجنّة و الناس و معلوم ان من يوسوس من الناس لا يخبط و لا يحدث فيمن يوسوس له تغيير عقل و جسم فكذلك حال الشيطان و مع ذلك فلا بد فى وسوستهم من أن يكون ضرر يصح ان يتعوذ باللّه تعالى منه و هذا يدل إذا تأمله المرء على قولنا بان العبد مختار لفعله و ذلك لأنه تعالى لو كان يخلق كل هذه الامور فيه لم يكن لهذا التعوذ معنى لأنه إن اراد خلق ما يضره فيه و خلق المعاصى فيه فهذا التعوذ وجوده كعدمه و انما ينفع ذلك متى كان العبد مختارا فاذا أتى بهذا التعوذ كان أقرب الى ان لا يناله من قبل الجنة و الناس ما كان يناله لو لا ذلك.

و قد ذكرنا فى أول هذا الكتاب ان التالى للقرآن يجب أن يتأمل أسماء اللّه تعالى و أوصافه و يعرف معانيها على الجملة لينتفع بالدعاء و الثناء و نحن الآن نذكرها على اختصار فإنا إن بسطنا القول فيها كان كتابا مجردا فاعلم أن فى أم الكتاب خمسة أسماء منها قوله اللّه و معناه أن العبادة لا تحق إلّا له من حيث انعم علينا بما لا يصح إلّا منه. من الخلق و القدرة و الآلة و العقل حتى صرنا ممن يصح أن يعبده و يقوم بشكره. و منها الرب و معناه المالك لوجوه التصرف فيما هو ربه. و منها الرحمن و معناه المتناهى فى الانعام الى الحد الذى لا

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۱

يصح إلا منه. و منها الرحيم و معناه المكثر من فعل النعم. و منها الملك و المالك و معناه القادر على التصرف فى الاجساد إذا كانت معدومة و بالتقليب من حال الى حال اذا كانت موجودة و على هذا الوجه قال تعالى (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و يوم الدين هو يوم القيامة و هو معدوم الآن فأما فى سورة البقرة فأسماء كثيرة.

منها المحيط و هذا الاسم حقيقة انما يصح فى الاجسام التى تحتوى على الشىء كاحتواء الظرف على ما فيه و يقال ذلك فى اللّه من حيث يعلم أحوال العباد من كل وجه فيجب أن يريد الداعى بهذه اللفظة ما ذكرنا و انما قال تعالى (وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ) ليكون ردعا لهم عن الاقدام على المعاصى. و منها القدير و ذلك حقيقة فى اللّه يفيد المبالغة فى القدرة. و منها العليم و هو للمبالغة فى كونه عالما و منها الحكيم و يقال ذلك على وجهين أحدهما بمعنى عالم و الآخر بمعنى أنه فاعل لحكمة و كل ذلك صحيح. و منها التوّاب و معناه المبالغة فى قبول التوبة من العباد و ذلك كالمجاز الذى قد صار بالعرف كالحقيقة. و منها البصير و معناه أنه يدرك المبصرات إذا وجدت. و منها الواسع و ذلك مجاز فى الأصل لأنه يستعمل فى نقيض الضيق فهو حقيقة فى الاجسام فيراد به كثرة رحمته و جودة إنعامه و افضاله و منها البديع و المراد بذلك المبالغة فى اختراع الأمور من الاجسام و غيرها. و منها السميع و المراد

بـذلك أنه يـدرك المسـموعات إذا وجدت. و منها الكافى و المراد بذلك أنه متفضل على العباد بمقادير كفايتهم إما بسـبب أو بغير سبب. و منها الرءوف و فائدته الاكثار من فعل الرأفة.

و منهـا الشـاكر و ذلك فى اللّه مجاز و إن كثر فيه التعارف لأن الشاكر فى الاصل هو المنعم عليه اذا اعترف بالنعمـة و ذلك محال فى اللّه تعـالى فـالمراد به أنه مقابـل على الشـكر بالثواب كما يفعله الشاكر فى مقابلـة النعم او يكون المراد أنه المجازى على الشـكر و قد يجرى اسم الشـىء على ما هو جزاء عليه. و منها الواحد و المراد بذلك انه لا ثانى له فى قدمه و أوصافه. و منها الغفور و المراد بذلك انه لاـ يفعـل بالعصـاة اذا تابوا و كانت معاصـيهم صـغيرة ما يظهر به حالهم فهو مأخوذ من الستر كما يقال ذلك فى المغفرة و غيرها و ذلك و ان كان مجازا فى الأصل فقد صار

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۲

فى التعارف كالحقيقة. و منها الحليم و فائدته أنه لا يتعجّل العقوبة خشـية الفوت كما يفعله أحدنا. و منها القائم و المراد بذلك الدائم الـذى لاـ يجوز عليه الفنـاء و هو مخـالف لقولنا قائم بمعنى مضاد قاعـد. و منها الباسط و المراد بـذلك بسـطه النعم و الارزاق لخلقه و ذلك أيضا من حيث التعارف كالحقيقـة. و منها الحى و المراد بـذلك أنه مباين لما لا يصـح أن يكون قادرا عالما. و منها القيّوم و هو مبالغـة فى دوام الوجود. و منها العلىّ و المراد بـذلك الرفيع فى قـدرته و سـلطانه. و منها العظيم و المراد بذلك عظم شأنه فى قدرته و علمه. و منهـا الـوالى و المراد بـذلك تـوليه لمن يطيعه. و منهـا الغنىّ و المراد بـذلك نفى وجـوه الحاجـات عنه مـع كونه حيّـا. و منها الحميد و هو مبالغة فيما يلزم من الشكر و الحمد له و مبالغة فى إكرامه لمن أطاعه من عباده. و فى آل عمران أسماء.

منها القائم و قـد مضـى معناه. و منها الوهاب و فائدته المبالغة فى الانعام الذى هو تفضل من اللّه. و منها السّـريع. و ذلك كالمجاز فى الاصـل و المراد به نفى التـأخير عن تفضّـله بالأـرزاق و غيرهـا. و منها المجير. و فى النساء اسـماء. منها المقيت و معناه القيّم بالأمور. و منها الوكيل و لا يقال ذلك فى اللّه مطلقا بل يقال هو وكيل علينا. و منها الحسيب و هو المبالغة فى معرفة أحوال الخلق.

و منها الشـهيد و هو مبالغـة فى العلم بأحوال المكلفين. و منها العفو و معناه معنى الغفور و منها الرقيب و معناه المعرفة بأحوال الخلق. و فى الانعام اسماء.

منها الفاطر و معناه المخترع للأشـياء. و منها الظاهر و المراد به القاهر الذى لا يجوز المنع عليه و منها القادر و المراد به صحّة الأفعال. و منهـا اللطيف و المراد بـذلك المبالغـة فى اللطف و الاحسـان الواقعين منه. و منهـا الخبير و معنـاه انه عـالم بالاـمور لاـ يخفى عليه منها خافيـة. و فى سورة الأعراف المحيى و معناه فاعل الحياة فينا. و منها المميت و معناه فاعل الاماتـة و كلاهما نعمة لأن الموت و إن قطع عن نعمـة الـدنيا فله حـظّ عظيم فى التوصّـل به و معه إلى نعمـة الآخرة. و فى الانفال المولى و النصـير و معنى الاول الناصـر لنا فى أمر الدين و الدنيا إذا لم يكن ذلك من باب الفساد و النصير يفيد المبالغة فى النصرة. و فى

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۳

سورة هود الحفيـظ و هو مبالغـة فى دفع الآفـات عنـا و على هـذا الوجه نسـأل اللّه ان يحفظنا فى السـفر و الحضـر و القريب و المراد به العالم بأحوال العباد و هو فى الأصل تشبيه لمن يقرب فيعرف بقربه حال غيره ثمّ صار كالمتعارف. و المجيب و فائدته انه يجيب ادعية عباده و ينيلهم ما يطلبون من قبله بشرط الصّلاح.

و القوىّ و المراد به انه قادر. و المجيـد و المراد به انه كريم عزيز و على هـذا الوجه وصف تعالى القرآن بأنه مجيـد. و الودود و المراد به المبالغـة فى محبـة من أطـاعه و إرادة الاحسـان اليهم. و الفعّال و هو مبالغـة فى الاكثار من الفعل لكنه يقل دخوله فى الاسـماء التى تجرى مجرى الثناء إلا انه يقبل. و فى سورة الرعـد الكبير المتعال و المراد بالاول انه عظيم الشأن فى قـدرته و علمه و المراد بالثانى انه منزّه عما لا يليق به. و فى الحجر الخلاق و المراد به المبالغـة فى الاكثار من الخلق و فى مريم الصادق و المراد به إثبات اخباره صـدقا. و الوارث و المراد بذلك عود النعم التى ملكها العباد إلى ان تكون ملكا للّه. و فى الحج الباعث و المراد به بعثته للرسل و الى الرسل و

بعثته بعد الاماتهٔ ليوم الحشر. و فی سورهٔ المؤمنين الكريم و المراد به انه عزيز او المراد به الاكثار من فعل الكرم و فی سورهٔ النور الحق و هو فی الاصل مجاز لأنه حقيقهٔ فيما يضاد الباطل من الاعتقادات و المذاهب و غيرها فإنما يوصف تعالى بذلك على وجه المجاز و يراد به ان الحق من قبله و أنه لا باطل فی افعاله او يراد به انه مما لا يجوز ان يفنى فيجب ان يبقى. و فی هذه السورهٔ المبين و المراد به الفاعل لما به يتبين الخلق أحوال الاشياء و أحكامها. و منها النور و ذلک مجاز و لا يجوز أن يستعمل فی اللّه تعالى على حقيقته لقوله (اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ) فإن معناه منوّرها بما خلقه من شمس و قمر أو يكون المراد به أنه بالادلهٔ قد صيّر ما دل عليه منكشفا كما ينكشف الشيء بالنور و فی الفرقان الهادی و المراد بذلک أنه فعل هدايهٔ الخلق ليفصلوا بين الحق و الباطل و فی سبأ الفتّاح و المراد به أنه يفتح لخلقه طريق الخير و المعرفهٔ و يفتح عليهم بالنّصرهٔ ما طلبوا منه. و فی المؤمن الغفار و معناه ما تقدم فی غفور و فيه القابل و معناه قبوله للطاعات

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۴

و التوبهٔ و مجازاته عليهما. و فيه الشديد و ذلک مجاز لأن أصله الصلابهٔ فی الاجسام فقيل فی اللّه تعالى لشدّهٔ عقابه على وجه الردع. و فی الذاريات الرزّاق و فائدته المبالغهٔ فی فعل الرزق و فيه ذو القوهٔ و معنى ذلک أنه قادر قوی. و فيه المتين و ذلک مجاز لان المتانهٔ إنما تصحّ فی الاجسام الشّديدهٔ فلا يجوز إطلاق ذلک على حقيقته. و فی الطور البرّ و المراد بذلک إكثاره من فعل البر و الإنعام على خلقه.

و فی اقتربت المليک و معناه ملک و مالک على ما قدمنا. و فيه المقتدر و معناه المبالغهٔ فی قدرته على الاشياء. و فی سورهٔ الرحمن الباقی و المراد أنه لا يجوز عليه تجدد الوجود و الحدوث أبدا لم يزل و لا يزال. و فيها: ذو الجلال و معناه معنى قولنا عظيم و كبير و جليل و فيها: ذو الإكرام و معناه انه فاعل لذلک و أنه يليق به ما تأتيه من المدح و الثناء عليه. و فی الحديد الأول و المراد به الموجود قبل كل موجود. و الآخر و المراد به الموجود بعد الموجودات كلها.

و الباطن و المراد به أنه عالم بالسرّ و الظاهر و قد مضى معناه فی سورهٔ الانعام. و فی الحشر القدوس و فائدته المبالغهٔ فی تنزيهه عما لا يليق به.

و السّلام و المراد به ان السّلامهٔ من قبله و هو مجاز فی الاصل. و المؤمن و المراد به انه امّن من غيره من الخوف و غيره و فيه. المهيمن و يقرب معناه مما ذكرنا و فيه. العزيز و المراد به انه لا يضام و لا يمنع من مراده و فيه. الجبار و المراد به انه يقهر غيره و لا يصح ان يقهره و فيه. المتكبر و المراد به المبالغهٔ فی صفات المدح و ذلک كالذم فينا لأنا إذا تكبرنا صوّرنا انفسنا بحالهٔ ارفع مما نحن عليه و لا حال يليق باللّه تعالى و لا حال أرفع منه و فيه. الخالق و المراد به إيجاده للمخلوقات و فيه. البارئ و معناه ابتداعه لما خلق و فيه. المصور و المراد به فعله لهذه الصور العجيبهٔ و فی البروج. المبدئ المعيد. و المراد بالأول أنه تعالى المبتدئ بالخلق. و المراد بالثانی أنه بعد الفناء يعيدهم. و فی الاخلاص الاحد. معناه ما قد ذكرنا و الصّمد و قد ذكرنا معناه قال و هذه الاسماء و غيرها مما لم يذكر فإنما يذكر فی الدّعاء و فی مقدمات ما يطلب من قبل اللّه تعالى ليكون الدعاء أقرب إلى الاجابهٔ و لو قال قائل يا اللّه يا رحمن اغفر ذنوبنا لحسن

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۵

ذلک و لو قال يا موجود يا شیء لقبح ذلک. و إنما يحسن أيضا من المرء أن يطلب من اللّه ما يحسن ان يفعله دون ما يكون فسادا فالداعی يجب ان ينوی ذلک و يقصده أو يظهر ذلک بكلام فلو قال الدّاعی اللّهمّ ارزقنی اولادا و فی المعلوم انه إن رزق يرهقونه طغيانا و كفرا لم يحسن ذلک فيجب ان ينوی إن لم يكن فسادا فی دينه و كذلک القول فی سائر ما نطلبه من اللّه تعالى و على هذا الوجه لا يحسن منا أن نقول اللهم اغفر للكفّار و الفسّاق و يحسن ذلک فی المؤمنين و على هذا الوجه قال تعالى حكايهٔ عن إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) فی قوله (وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ) و على هذا الوجه

ايضا قال تعالى لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) و كذلك القول فيما يتصرف فيه لان التاجر يجب ان يطلب الربح فى تجارته بشرط أن لا يكون فسادا و كذلك الحرّاث و المحترف فالفعل فى ذلك إذا كان يطلب بدعاء شرط ان لا يكون المطلوب فيه فساد فى الدين و ينبغى للمؤمن ان يتفكر فى ذات الخالق تعالى لئلا يؤدى به إلى الكفر.

قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا) مدحهم تعالى على تفكرهم فبيّن انه ينبغى أن ينظروا ليعلموا انه تعالى ما خلق ذلك باطلا ليصحّ منهم هذا القول و ليصحّ منهم ان يقولوا (سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ) لأن ذلك تنزيه به عمّا لا يليق به فيجب ان تتقدم المعرفة فى ذلك. و إنما عظّم شأن القرآن لا لأنه يتلى و يحفظ فربّ صبىّ لم يبلغ حدّ كمال العقل يسابق الكبار من العقلاء فى حفظه و إنما عظّم ذلك من حيث إذا تدبّره المرء و تمسك بآدابه و أحكامه عظم نفعه دينا و دنيا. و قد ذكرنا هذا فى الكتاب و الحمد للّه على نعمه ما ينبه من نظر فيه على عظم شأن القرآن من أدلة على معرفته و على معرفة عدله و من

تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: ۴۹۶

ضروب من التنبيه على ما اودعه من وعظ و تذكير و انذار و تبشير و وعد و وعيد. و ذكرنا أيضا على وجه الاختصار ما يعرف به عظيم الغلط ممن طعن فى القرآن بذكر الشبه دون قصد الاستعلام على ما ظن أنه بخلاف الحكم الشرعى اما ذكر الشبه للاستعلام أو لبيان اجوبتها فلا يعدّ من الطعن فى القرآن؛ قال تعالى (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ). و الحمد للّه الذى اعاننى على إتمام هذا الكتاب و خدمة القرآن الكريم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ–

فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلةَ السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصفهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩